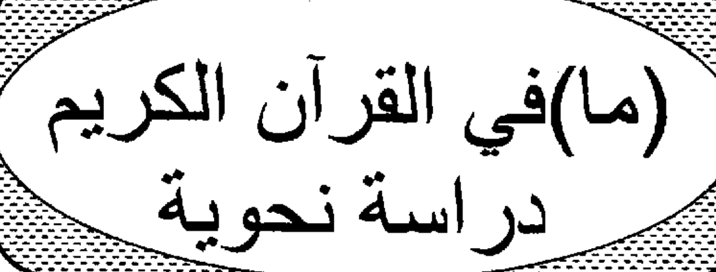


(ما) في القرآن الكريم
دراسة نحوية

الدكتور

عبد الجبار فتحي زيدان

الطبعة الأولى

الموصل

١٤٣٠هـ ٢٠٠٩م



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَــنِ الرَّحِيمِ ، والْحَمْدُ للّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، الرَّحْمَــنِ الرَّحِيمِ ، مَـــلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ، والصَّلاةُ والسَّلامُ عَلَى مُحَمَّدٍ رَسُـــولِ الله ، وخاتَمِ النَّبيين ، وعَلَى آلِهِ وأصْحابِهِ أجْمَعين ، من الأنصارِ والمهاجرين ، والذين اتبعوهم بإحسانٍ إلى يومِ الدِّين

وبعد ، فهذا كتابي : (ما) في القرآن الكريم /دراسة نحوية ، أسأل الله ، جلَّ شأنه ، أن ينفع به الباحثين والدارسين ، وأسأله سبحانه ، أن يتقبَّله منّي عملاً خالصًا لوجهه الكريم ، اللهمَّ آمين

مقدمة

بسم الله ، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه، اما بعد:

فهذا بحثي ((ما) في القران الكريم ، دراسة نحوية) دفعتني الى الكتابة فيه رغبتي في خدمة كتاب الله بموضوع يتعلق بالنحو القرآني، وبعد أنْ عقدت النية على ذلك تحريت أنْ تكون دراستي في موضوع لا تشغلني طول مادته بجمع شتاتها فيكون بحثي أقرب الى الجمع منه إلى الدراسة ، ولذلك رغبت في أنْ اقتصر على دراسة أداة واحدةٍ من الادوات فاخترت الأداة (ما) لكثرة ورودها وتعدد معانيها في القرآن الكريم.

لقد دُرِسَتْ (ما) في كتب النحو واللغة وعلم المعاني في ابوابٍ متفرقةٍ، وجمعت معانيها المختلفة الكتب التي اختصت بدراسة الأدوات، وفصّل أبو علي النحوي مسائلها المشكلة في كتابه (المسائلِ المشكلة) المعروفة بالبغداديات، ومن الكتب الحديثة التي تناولت هذه الاداة بالدراسة كتاب - (دراسات لأُسلوب القرآن) لمحمد عبد الخالق عضيمة. إلا انّ هذه الدراسات القديمة والحديثة على كثرتها تكررت فيها المعلومات أو تشابهت ، كما أنّها أظهرت أنّ في (ما) مسائل مشكلةً، وجدت أنها ما تزال تحتاج الى دراسةٍ، لذلك كان منهجي العام في هذا البحث مبنياً على ثلاثة اسس.

أحدها: العناية بدراسة المسائل المشكلة في (ما) والفرق بينها وبين الأدوات والألفاظ التي شابهتها في الدلالة أو جُعلتْ بمنزلتها.

والثاني: التعرف الى أصل (ما) الذي يجمع بين معانيها المختلفة.

والثالث: دراسة معاني (ما) الواردة في القرآن الكريم وتقسيمها وتسميتها كما قسّمتْ وسميتْ في كتب النحو.

لذلك تألف هذا البحث من بابين جعلت الاول في معاني (ما) الاسمية، وبدأت بالموصولة التي تعد معرفة عند النحاة، وهي أكثر معاني (ما) وروداً في اللغة والقرآن الكريم، ثم بالنكرة المجردة من معنى الحرف، تلتها النكرة المتضمنة معناه وجعلت كل قسم من هذه الاقسام فصلاً فتألف هذا الباب من ثلاثة فصول ضمنت الفصل الأول ثلاثة مباحث:

احدها (ما) الموصولة بين التعريف والتنكير.

والثاني (ما) الموصولة بين جواز عودها على العاقل وامتناعه.

والثالث معنى (ما) الموصولة ومعاني (ما) الاخرى.

وتضمن الفصل الثاني مبحثين: الاول: في النكرة الموصوفة والثاني في التعجبية.

وتضمن الفصل الثالث مبحثين ايضاً: الاول في الاستفهامية والثاني في الشرطية.

وجعلت الباب الثاني في معاني (ما) الحرفية، وبدأت بالمصدرية لاختلاف النحاة فيها، فهناك من ذهب الى انها اسم ثم تلتها (ما) النافية التي لا اختلاف في حرفيتها ،وجعلت الزائدة آخر معاني هذا الباب ؛ لأنها عدت عند النحاة ، كما هو ظاهر من تسميتها ، زائدةً ليس لها معنى اساسي وكذلك جعلت كل قسم من هذه الاقسام الثلاثة فصلاً ، تألف الفصل الاول من مبحثين: أحدهما بعنوان (ما) المصدرية والموصولات الحرفية والثاني بعنوان: معنى (ما) المصدرية ومعاني (ما) الاخرى.

وقد قسم النحاة (ما) النافية قسمين: عاملة وهي الداخلة على الجملة الاسمية وغير عاملة: وهي الداخلة على الجملة الفعلية ؛ لذا كان هذان الموضوعان مبحثي الفصل الثاني.

أما الفصل الثالث فيتعلق بـــ (ما) الزائدة وله ثلاثة مباحث.

أحدها: (ما) التي بمعنى صلتها.

والثاني: (ما) المحذوفة الصلة.

والثالث: (ما) المفردة الصلة.

أمّا المصادر الاساسية التي اعتمدت عليها فقد كانت كتب النحو مبتدئةً بكتاب سيبويه وكتب معاني الحروف كحروف المعاني للزجاجي ورصف المباني للمالقي، وكتب معاني القرآن كمعاني القرآن للفراء ومجاز القرآن لابي عبيدة، وكذلك كتب الإعراب كاعراب القرآن للنحاس ومشكل إعراب القرآن لمكي القيسي وأفدت من كتب التفسير كجامع البيان للطبري والكشاف للزمخشري ومن كتب القراءات ككتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد والمحتسب لابن جني، ومن كتب البلاغة كدلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني والايضاح للقزويني.

وكان كتابا التعبير القرآني ومعاني النحو أكثر المصادر الحديثة رفداً للبحث إذْ بسط الدكتور فاضل السامرائي في كتابيه هذين آراءه وافكاره في مسائل كثيرة تتعلق بـــ (ما) ومعانيها واستعمالاتها في القرآن الكريم فوافقناه في مسائل وكان لنا رأيٌ آخر في مسائل اخرى.

وقد وردت (ما) في القرآن الكريم في مواضع كثيرة ويكاد لا يخلو موضعٌ منها إلاّ ومن النحاة أو المفسرين من أجاز فيه أكثر من وجه وقد حددنا معانيها بترجيح بعضها على بعض بقرائن لفظية أو معنوية او بهما معاً.

هذا ما آتانيه ربي من العلم ولا يكلف الله نفساً إلاّ ما اتاها له الحمد أولاً وآخراً ، وهو أهل التقوى وأهل المغفرة وسبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

الباب الأول

(ما) الاسمية

الفصل الأول

(ما) الموصولة

المبحث الأول

(ما) الموصولة

بين التعريف والتنكير

عُدّت (ما) من الاسماء الموصولة وعرف الموصول بانه لا يتم بنفسه. ويحتاج الى كلام بعده ، تصله به. ليتم به اسماً ، فاذا تم بما بعده كان حكمه حكم سائر الاسماء التامة[1] وقد سميت الاسماء الموصولة، او اسماء الصلات ؛ لانها تفتقر الى صلات توضحها[2] وتعرب حسب موقعها من الجملة ونسب الى الاخفش قوله: ((ان الاسماء الموصولة تعرفت بالالف واللام، اما (ما) و(من) فهما في معني ما فيه الالف واللام[3]، وذهب جمهور النحاة الى انها تعرفت بالعهد الذي في الصلة واستدلوا على ذلك بـــ(ما) و(من) المجردتين من (ال)، فالاسم الموصول يعد عندهم معرفة لان الصلة تبينه وتزيل ابهامه وتنكيره، ولهذا قالوا عن (الذي) و(التي): ان الالف واللام فيهما زائدتان وليستا فيهما للتعريف، لان التعريف بصلتهما،

---

(١) الكتاب لسيبويه ٣/ ٦٩، وشرح المفصل لابن يعيش ٣/ ١٣٨ ، وشرح اللمحة البدرية في علم اللغة العربية لابن هشام ١/ ٣١٤ والكناش في النحو والصرف لابي الفداء عماد الدين ص١٣٦، وكاشف الخصاصة عن الفاظ الخلاصة لابن الجزري ص٣٩.، والمشكاة الفتحية عن الشمعة المضيّة للسيوطي ص١٠٥، وشرح الحدود النحوية للفاكهي ص٧٤.

(٢) اسرار العربية لابي البركات بن الانباري ص ٣٧٩- ٣٨٠.

(٣) شرح جمل الزجاجي لابن عصفور ٢/١٣٥.

وهي الجملة التي بعدهما، فلو كانتا فيهما للتعريف لادى ذلك الى ان يجتمع فيهما تعريفان، وذلك لا يجوز[1].

وبين النحاة الغرض من استعمال (الذي) وفروعها في الكلام، مما هو مبدوء بـــ(أل) فذكروا ان في العربية ادوات استعملت للوصل، من ذلك (أيها) فقد ذكر سيبويه (ت١٨٠هــ) انه لا يجوز ان تنادي اسماً فيه الالف واللام بياء النداء بل تستعمل (أيها) لنداء ما فيه (أل) وعلل ذلك بانهم جاؤوا بـــ(ايها) ليصلوا الى نداء الذي فيه (ال) وكذلك (من) و(ما) انما يذكران لحشوهما[2] ويعني بالحشو الصلة.

وذكر ابو بكر بن السراج (ت٣١٦هــ) أن ((الذي) اجتلبت في الكلام لتكون وصلة لوصف المعارف بالجمل، كما جاؤوا بـــ (أيّ) متوصلين بها الى نداء ما فيه (أل) فقالوا: يأيها الرجل والمقصود نداء الرجل و (ايّ) وصلة[3])).

واوضح ابن جني (ت ٣٩٢هــ) هذا الغرض بقوله: ((انّ (الذي) إنما وقع في الكلام توصلاً إلى وصف المعارف بالجمل، وذلك أنّ الجمل نكرات[4] ألا تراها تجري اوصافاً على النكرات، في نحو: مررت برجل ابوه قائم، ونظرت الى غلام قامت اخته فلما اريد مثل هذا في المعرفة، لم يمكن ان تقول : مررت بزيد ابوه قائم، على ان تكون الجملة (ابوه قائم) وصفاً لزيد، لانه قد ثبت ان الجملة نكرة ومحال أن توصف المعرفة بالنكرة فجرى هذا في الامتناع مجرى امتناعهم أنّ يقولوا: مررت بزيد كريم، على الوصف، فاذا كان الوصف جملة نحو: مررت برجل ابوه قائم

---

(١) المقتضب ١٩٧/٣– وشرح المفصل لابن يعيش ١٤١/٢.

(٢) الكتاب ٢/ ١٠٦.

(٣) الاصول في النحو ٢/ ٢٧٢.

(٤) تعد الجملة عند النحاة نكرة ، ينظر دلائل الاعجاز ص١٥٤.

لم يمكن اذا ارادوا وصف المعرفة بنحو ذلك أن يدخلوا (اللام)[1]، لان اللام من خواص الاسماء، فجاؤوا بـــ (الذي) متوصلين به الى وصف المعارف بالجمل، وجعلوا الجملة التي كانت صفة للنكرة صلة لـــ (الذي) فقالوا: مررت بزيد الذي ابوه منطلق وبهند التي قام ابوها ، ونظير هذا انهم لما ارادوا نداء مافيه لام المعرفة ولم يمكنهم ان يباشروه بــ (يا) لما فيها من التعريف والاشارة توصلوا الى ندائها بادخال (أيّ) فيها فقالوا: يا أيها الرجل، فالمقصود بالنداء هو الرجل و(أيّ) وصلة اليه، كما ان المقصود في قولك: مررت بالرجل الذي قام اخوه، أن يوصف الرجل بقيام أخيه، فلما لم يمكنهم ذلك لما ذكرناه توصلوا اليه بـــ (الذي)))[2]

واكد ابو حيان الاندلسي أنّ الغرض من استعمال الاسم الموصول (الذي) أنْ يكون ((وصلة الى وصف كل معرفة بصلته))[3] سواء أكانت هذه الصلة جملة أم شبه جملة أم مفرداً أم محذوفةً.

وقد أشار الى هذا الغرض نحاة آخرون منهم: عبد القاهر الجرجاني[4] (ت٤٧٤هـــ) والزمخشري[5] (ت٥٣٨هـــ) وأبو البركات بن الانباري[6] (ت٥٧٧هـــ)، وابن يعيش(٧) (ت٦٤٣هـــ) وغيرهم(٨) ومما تقدم من كلام النحاة نستنتج الحقائق الآتية:

---

(١) يعني بـــ (اللام) (ال) التعريف.

(٢) سر صناعة الاعراب ١/ ٣٥٣ -٣٥٤.

(٣) البحر المحيط ١/ ٧٧.

(٤) دلائل الإعجاز ١٥٤.

(٥) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ١/ ٧٣.

(٦) أسرار العربية ص٣٨٠- ٣٨١.

(٧) شرح المفصل ٣/ ١٤١.

(٨) بدائع الفوائد لابن قيم الجوزية ١/ ١٢٩.

ان النحاة راعوا في إعراب الاسم الموصول وصلته الجانب اللفظي، وهو ظهور علامة الإعراب عليه كظهورها على (أيّ) وظهورها عليه في التثنية نحو: اقبل اللذان فازا(١) وقد صرح ابن جني بأن المقصود في نحو، مررت بالرجل الذي قام أخوه أن يوصف الرجل بقيام اخيه ، وهذا يعني أنّ جملة: قام اخوه، لها محلّ من الاعراب ، وهو الجر في هذا المثال، ذلك أنها صفة للرجل، أما (الذي) فليست إلاّ أداة تُوصل بها الى هذا الوصف، وما ذكره ابن جني هو الذي عليه النحاة ، كما تبين سالفاً ، وقد مر تعريفهم للاسم الموصول بأنه لاتتم اسميته ولا يكمل معناه إلاّ بصلته فهو جزءٌ منها، بل صرحوا بأنهما كالاسم الواحد(٢)، لذلك ذهب بعضهم الى توحيد إعرابهما(٣)، ففي قولنا مثلاً: أقبل الذي فاز، كان ينبغي أنْ يعرب (الذي فاز) في محل رفعٍ فاعلا كأنه قال: اقبل الفائز(٤) واستقلال الموصول بهذا الاعراب هو الذي ادّى الى أنْ تترك الصلة من غير أنْ يكون لها محلّ، وكذلك نعامل (ما) الموصولة مع صلتها، هذا إذا استندنا في الإعراب الى المعنى والتعريف الذي ذكروه والغرض الذي بينوه.

لكون الجملة نكرة جاز أنْ توصف النكرات من الاسماء بالجملة دون وساطة أداةٍ، نحو: أقبل طالبٌ فاز في السباقِ ، فإذا عرّفنا الفاعل في هذا المثال وجب استعمال، (الذي) فيه وأنْ نقول: أقبلَ الطالبُ الذي فاز، ذلك أنّ (الذي) استعملت لتعريف الجملة كما استعملت (ال) لتعريف المفرد فكلاهما للتعريف، إلاّ أنّ (الذي) تزيد في بنائها على (أل) لأنّها خصصت

---

(١) مغني اللبيب عن كتب الاعاريب لابن هشام ٢/ ٤٠٩.

(٢) المقتضب ٣/ ١٩٧.

(٣) وهذا رأي نسبه ابن هشام الى بعض النحاة، مغني اللبيب ٢/٤٠٩.

(٤) وقد جعل سيبويه (((الذي ضرب) بمنزلة (الضارب))) الكتاب ٤/ ٢٢٨.

بتعريف الجملة والجملة تحتاج إلى أداة أقوى في البناء وأدل على التعريف مما يحتاج إليه المفرد.

صرح النحاة بأنّ (الذي) اجتلبت في الكلام لتكون وصلة لوصف المعارف بالجمل وهذا يعني انّ الاسماء الموصولة (الذي) وفروعها لا بدّ أن يكون لها موصوف إما ظاهر وإمّا محذوفٌ مقدرٌ قامت الاسماء الموصولة مقامه، فاذا كانت هذه هي الحقيقة فإنّ الضمير العائد في جملة الصلة يكون عائداً على هذا الموصوف لاعلى الاسماء الموصولة كما يعرب المعربون.

عندما صرح النحاة بأنّ الاسماء الموصولة المبدوءة بـــ (ال) تعد وصلة لوصف المعارف بالجمل، لم يعنوا بذلك إخراج الاسماء الموصولة غير المبدوءة بــ(ال) مثل (ما) و(مَنْ) من هذا الغرض بصفةٍ عامةٍ، فالاسم الموصول استعمل أداة لربط الموصوف بصفته، لذلك عرف بأنه ((اسمٌ مفعولٌ من وصل الشيء بغيره)) (١) وفي هذا يقول ابو البركات بن الانباري: ((إنّ اسماء الصلات إنما أدخلوها في الكلام توصلاً الى الوصف بالجمل)) (٢) ويريد باسماء الصلات: الاسماء الموصولة.

وقد ذكر النحاة أنه لا يوصف من بين الموصولات إلاّ بـــ (الذي) وفروعها(٣)، ولهذا ذكروأنّ (ما) الموصولة لا تقع صفةً(٤)، ذلك أنّ

---

(١) حاشية الخضري على شرح ابن عقيل ١/ ٧٠، وشرح التصريح على التوضيح لخالد الازهري ١/ ١٣٠.

(٢) اسرار العربية ص٣٨١- ٣٨٢.

(٣) الكشاف ٤/ ٣٨٩- ٣٩٠، وينظر دراسات لاسلوب القرآن، عبد الخالق عضيمة، القسم الاول ٣/ ٥٣٣.

(٤) لباب الاعراب للفاضل الاسفراييني ص٩٥، والبحر المحيط لابي حيان الاندلسي ٢/ ٢٣١، والبرهان في علوم القرآن للزركشي ٤/ ٣٩٩.

الاسم الموصول لا يعرب صفة إلا عند ظهور موصوفة، فان (الذي) التي أكد النحاة أنّها تستعمل وصلة لوصف المعرفة بالجملة، لاتعرب صفة إذا حذف موصوفها، لانها تقوم عندئذ مقامة، فنحو: اقبل الطالب الذي فاز، يعرب (الطالب) فاعلاً و (الذي) صيفة له، لكن عند حذف الفاعل وقولنا: أقبل الذي فاز، لاتعرب (الذي) عند النحاة صفة للفاعل المحذوف، بل تعرب عندهم فاعلاً، فلأن الموصوف بـ (الذي) غالباً ما يحذف لشيوعه ومعرفته، تقوم الصفة (الذي) مقامه فتأخذ حكمه وإعرابه.

و(ما) و(مَنْ) مثل (الذي) في هذا الباب إلاّ أنهما يختلفان عنها بأنّ موصوفيهما لا يصحّ إظهارهما ، وقد أشار أبو حيان (ت ٧٥٤هـ) إلى هذه المسألة عندما عرض لإعراب (ما) في قوله تعالى (مَّكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ) [الأنعام: ٦] فمنع أنْ تكون (ما) في هذه الاية بمنزلة (الذي)، لأنها تكون ((بتقدير: التمكين الذي لم نمكنكم فيه، فحُذِفَ المنعوت وأقيمَ النعت مقامه، وهذا لا يجوز، لأنّ (ما) لا تكون نعتاً للمعارف، لو قلت: ضَرَبَ الضَرْبَ ما ضَرَبَهُ زيدٌ، تريد: الذي ضَرَبَهُ زيدٌ، لم يجز، ولو قلت: الضَرْبَ الذي ضَرَبَهُ زيدٌ، جاز))(١)

وهو في كلامه هذا يؤكد مسألتين: إحداهما أنّ (الذي) لا بدّ من أنْ تكون نعتاً لمنعوتٍ، إن لم يكن ظاهراً وجب تقديره، والثانية: قوله ((إنّ (ما) لا تكون نعتاً للمعارف)): يعني أنها تكون نعتاً للنكرات العامة فلكون موصوفها لا يصح إظهاره، ذكر النحاة أنّ (ما) الموصولة لا تقع صفةً ، وهم لا يعنون من ذلك أنها لا موصوف لها بل هي مثل (الذي) لا بد لها من موصوف إلا أنّه يلزم حذفه فتقوم (ما) دائماً مقامه ، ولهذا يقول ابن الحاجب (ت٦٤٦هـ) في (ما) هذه: إنها وضعت ((للموصوف والصفة

(١) البحر الميط ٤/ ٧٦ وينظر دراسات لاسلوب القرآن ، القسم الثالث، ٣/ ٥٣٣.

جميعاً))(١) وإنها تتضمنهما معاً ((فإذا قلت: أعجَبني ما صَنَعْتَهُ، معناه أعجبني الشيء الذي صنعته، فإنّ (الشيء) موصوفٌ و(الذي صنعته) صفته)) (٢).

وما قلناه في (الذي) نقوله هنا في (ما)، وهو أنّ الضمير العائد في صلتها لا يعود عليها ، بل يعود على موصوفها المحذوف وهذا الموصوف المحذوف ليس معرفة، بل نكرة عامة، لأنّ (ما) ليست مثل (الذي) وصلةً لوصف المعرفة بالجملة، بل هي وصلةٌ لوصف ما هو مبهمٌ عامٌ غير محددٍ بالجملة.

تبين من كلام النحاة أنّ (ما) ليست أداةً للتعريف، و (الذي) وفروعها مثل (أل) أداةٌ للتعريف ويُقسِّم النحاة (أل) التعريف قسمين: عهديةً ويراد بها فردٌ معينٌ معهودٌ، وجنسيةً: ويراد بها أفرادُ الجنس أو هي لاستغراق الأفراد(٣)، ولهذا شاع في كتب النحو أنّ المفرد المحلى بـــ (ال) الجنسية معرفة لفظاً ونكرة معنىً، والحق أنّ كلتيهما معرفةٌ لفظاً ومعنىً وأنّ (ال) الجنسية لايراد بها أفرادَ الجنس بل الجنس بعينه لذلك ذُكِرَ ((أنّها لتعريف العهد فإنّ الاجناس معهودةٌ في الأذهان متميزٌ بعضها من بعضٍ ويُقسِّم المعهود إلى شخصٍ وجنسٍ)) (٤) فلا فرق بينهما سوى أنّ التعريف بـــ (أل) العهدية يراد به تعيين فردٍ من أفرادٍ، والتعريف بـــ (أل) الجنسية يراد به أيضاً تعيين شيءٍ واحدٍ إلاّ أنّ هذا الشيء إنما هو جنسٌ من الأجناس لا فردٌ من الأفراد.

---

(١) الأمالي النحوية، ص٣١٨.

(٢) الكناش ص١٤١.

(٣) الجنى الداني في حروف المعاني للمرادي ص٢١٧.

(٤) مغني اللبيب ١/ ٥٠.

وكذلك (الذي) فإنّها ترد لما يناظر هذين المعنيين(١) فالاسم الموصول وإن قيل عنه بصفةٍ عامةٍ: أنّه اسم مبهمٌ لا يتضح إلاّ بالصلة، إلاّ أنّ (الذي) وفروعها فرقت عن (ما) و (مَنْ) ((بأنها تتناول قوماً بأعيانهم))(٢) إما أنْ تتناول فرداً يعينه، كقوله تعالى (تبارك الذي بيده الملك) [الملك: ١] أو جنساً بعينه، كقوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تُبْطِلُواْ صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأذَى كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاء النَّاسِ) [البقرة: ٢٦٤].

ويؤكد النحاة هذه الحقيقة عندما يؤكدون أنّ (ما) الموصولة نفسها ، وليست النكرة الموصوفة أشد إبهاماً وإعماماً من (الذي) فهي عندهم اسمٌ مبهمٌ دائماً في غاية الإبهام، حتى إنها تقع على كل شيء وتقع على ما ليس بشيء، لذلك نقول: إنّ الله يعلم ما كان وما لم يكن، وما هو كائنٌ(٣).

وهنالك مسألة جديرة بالذكر، وهي أنّ جمهور النحاة، كما مر قبل قليل ذهبوا الى أنّ الاسم الموصول لم يتعرف بـ (أل) بل بجملة الصلة التي عرفته وأزالت إبهامه ولكن كيف يصح هذا والجملة عندهم لا تكون إلاّ نكرةً؟!

وقد بينّ ابن جني وغيره أنّ (الذي) وفروعها تستعمل في الكلام أداةً لتعريف الجملة، لوصف المعرفة بها، لأنّ من شروط الصفة أنْ تتبع الموصوف في التعريف والتنكير، فيكون الاسم الموصول (الذي) هو الذي عرف الصلة وليست الصلة هي التي عرفته وقد جعل النحاة والمعربون (الذي) تنوب مناب موصوفها المعرفة في الاعراب فاكتسبت دلالته الاسمية والمعرفية ، فعدت عندهم اسماً معرفةً ، وقد تبين أنّ (ما) التي عدت

---

(١) شرح الرضي على الكافية ٤/ ٢٥٢.

(٢) التبيان في إعراب القرآن للعكبري ١/ ٢٤.

(٣) كتاب سيبويه ٤/ ٢٢٨، ومغني اللبيب ١/ ٣٢٧، وبدائع الفوائد ١/ ١٣١، والبرهان في علوم القرآن ٤/ ٣٩٨.

موصولة تدخل ضمن هذا الغرض إلا أنها لم تستعمل وصلة لوصف المعرفة بالجملة، بل استعملت في الكلام وصلة لوصف ما هو مبهمٌ غير معرفة بالجملة ، فتكون العلة التي أدت الى عد (الذي) معرفةً غير موجودة في (ما) الموصولة ؛ لانه كما نابت (الذي) مناب موصوفها المعرفة فأكتسبت دلالته في التعريف نابت (ما) مناب موصوفها النكرة العامة فاكتسبت دلالته في التنكير والعموم.

يتبين مما تقدم نكره أنّ (ما) تستعمل فيما هو عام غير محدد وتستعمل (الذي) فيما هو معرفة وامرٌ معينٌ، وعلى هذا الاساس يفسر استعمال إحداهما دون الاخرى في القرآن الكريم.

نكر الاسكافي [١] (ت ٤٢٠هـ) والكرماني [٢] (ت٥٠٥هـ) ، والفيروز آبادي[٣] (ت ٨١٧هـ)، انه استعمل (الذي) في قوله تعالى(وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللّهِ مِن وَلِيٍّ وَلاَ نَصِيرٍ) [البقرة: ١٢٠] لانه قصد بالعلم علم الدين كله، واستعمل (ما) في قوله تعالى: (وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءهُم مِّن بَعْدِ مَا جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذَاً لَّمِنَ الظَّالِمِينَ) [البقرة: ١٤٥] ، لانه قصد بالعلم، علم القبلة، وهو جزء من علم الدين ، وزيدت (مِنْ) في (ما)، لان تقديره من الوقت الذي جاءك فيه العلم بالقبلة ، وليس الاول مؤقتاً بوقتٍ انتهى كلام الاسكافي والكرماني.

والظاهر أنّ (الذي) وردت في الاية الاولى لانه أريد بالعلم ، علم الاسلام، فكانت تعبيراً عن معرفة ، أمّا (ما) في الاية الثانية فلم تكن عائدةً على العلم بالقبلة ، فلو اريد ذلك لوردت (الذي) أيضاً للتعبير عما هو

---

(١) درة التأويل وغرة التنزيل في بيان الآيات المتشابهات في كتاب الله العزيز ص٢٥- ٢٩.

(٢) اسرار التكرار في القرآن الكريم ص ٣٣- ٣٤.

(٣) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ١/ ١٤٦- ١٤٧.

معرفة وإنما أريد بها علمٌ عامٌ ، ذلك، أنّ الرسول (صلى الله عليه وسلم)، أُعطِيَ علماً مجملاً وهو الاسلام، ثم أعطي العلم بهذا الدين مفصلاً فكان المقصود من (ما)، هذا العلم غير المحدد، الذي كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، ينزود منه حتى التحاقه بالرفيق الاعلى، ووردت (مِنْ) مع (ما) لابتداء الغاية، ذلك أنّ الشيء المكتسب الذي يستمر اكتسابه ، ويتدرج نموه ، يحسن أنْ تكون له بدايةٌ، أمّا الشيء الذي يُكْتَسَبُ جملة واحدة فلا يحسن له ذلك ، والتدرج في حصول الشيء إنما يكون، فيما يتعلق بتفصيلاته ، و(مِنْ) كما يذكر الكرماني تثبت قبل (بعد) اذا وردت بعد كلام فيه تفصيلٌ ، وتحذف بعد كلام فيه إجمالٌ[1].

ولأنّ (ما) يراد بها معنى النكرة العامة فقد وردت في قوله تعالى: (وَلِلّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ) [النحل: ٤٩] فهي في هذه الاية ونحوها لا يصح أنْ يكون المقصود منها فرداً معيناً ، ولو اريد هذا المعنى لاستعملت (الذي) العهدية ، وفي هذا الوجه لا يكون ثمّةَ التباس بينها وبين (ما) ولكنّ الالتباس يحصل اذا اريد بـــ (الذي) المعرفة الجنسية ، لان المقصود بكلتيهما شمول المستقرين في السموات والارض جميعاً بحكم سجودهم لله، ويكون الفرق بينهما أنّ الاية باستعمال (ما) تعني الخلق فرداً فرداً، على وجه الإعمام والتفصيل، ولو استعمل (الذي) لكان المراد جنس الخلق على وجه التعيين والاجمال، فوصف الشيء بـــ (الذي) لا يكون الا على نية جعله ، قبل ذلك جنساً من الاجناس من اجل تمييزه وتخصيصه من بينها ، مما يشعر المخاطب بمعنى حصر الحكم أو الصفة مع أنه ما اريد ذلك بل أريد اشعاره بمعنى الشمول والتفصيل ، وهذا المعنى يتحقق باستعمال (ما)، لا باستعمال (الذي) لما بيناه آنفاً ولأمرين:

---

(١) اسرار التكرار ص١٢٤- ١٢٥.

أحدهما: أن (الذي) اسم موصول خُصّ بالمفرد المذكر، فلو استعمله، لعبّرت الاية عن هذا النوع، ولم تشمل الانواع الاخرى المتصفة بالتانيث والتثنية والجمع، الا على سبيل التغليب، في حين أن (ما) اسم موصول غير مختص، يتناول انواع المخلوقات تناولاً مباشراً، فهو من هذه الناحية اشد من (الذي) توغلاً بين الافراد للتعبير عنهم ، أو هو أدل على استقصاء الانواع واستغراقهم.

والحق أنّ (الذي) الجنسية ما اريد بها افراد الجنس بل الجنس بعينه الدال على الافراد والتذكير.

وثانيهما: أن معنى الجنس في (الذي) لا يشمل افراد الجنس بدون استثناء، وهذا ما يصرح به النحاة ، فقولنا مثلا: الرجل اقوى من المرأة، لا يعني أنّ كل رجلٍ اقوى من كل امرأة ذلك محمولٌ على الاعم الاغلب[1]. فاذا قلنا مثلاً: قرأت الذي في المكتبة كان المعنى: قرأت أغلب كتبها، أي: جاز أن يكون عددٌ قليلٌ منها غير مشمولٍ بحكم القراءة أما اذا قلنا : قرأت ما في المكتبة لزم أنْ يكون المراد كتب المكتبة جميعها كتاباً كتاباً وأنّه لم يُترَكْ واحد منها لم يُقرأ فالآية باستعمال (الذي) تعني: ولله يسجد الشيء الذي في السموات والشيء الذي في الارض، وباستعمال (ما) تعني: ولله يسجد كل شيء في السموات وكل شيء في الارض ، فهي بهذا المعنى لا تغادر شيئاً إلا وتناولته بالحكم الذي تضمنته، وهذا هو المراد نفسه في اشعار المخاطبين، مثلاً في قوله تعالى: **(له ما في السموات وما في الارض)** [البقرة: ٢٥٥]. بانه جل شأنه يهيمن على كل فردٍ بالقوة نفسها التي يهيمن بها على نظيره من المخلوقات، وأنه لا توهن هيمنته وامتلاكه

---

(١) قطر الندى وبل الصدى لابن هشام ص١١٣.

لكل شيء كثرة مخلوقاته وسعتها فيستوي لديه الواحد وما لا يحصيه إلا هو كما قال تعالى: (مَّا خَلْقُكُمْ وَلا بَعْثُكُمْ إِلا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ)[لقمان: ٢٨].

وذكر النحاة أنّ (ما) اسم مبهم يقع معناها على المفرد والمثنى والجمع والمذكر والمؤنث، تقول مثلاً ، لمن اشترى جملاً او ناقةً أو جملين أو ناقتين أو جمالاً او نياقاً : أعجبَني ما اشتريتهُ (للمفرد المذكر) وما اشْتَرَيْتَها (للمفرد المؤنث) وما أشتَرَيتَهما (للمثنى المذكر والمؤنث) وما اشْتَرِيتَها (للجمع المذكر والمؤنث)، وتقول أعجبَني ما ركبا وما رُكبتا ، وما ركبن وكذلك قالوا في أختها (مَنْ) إذ أجازوا أنْ يقال: جاءني مَنْ قام ومَنْ قاما ومَنْ قامتا ومَنْ قاموا ومَنْ قُمْنَ وأعجَبَني مَنْ جاءتاكَ ومَنْ جاءَاكَ ومَنْ جاءوكَ ومَنْ جئْنكَ(1).

وهذا الكلام يوهم أنّ (ما) اذا وقع معناها على مفرد لزم إفراد الضمير العائد عليها ، واذا وقع على مثنى، لزم تثنيته واذا وقع على جمع لزم جمعه واذا وقع على مذكر لزم تذكيره واذا وقع على مؤنث لزم تأنيثه.

وليس الامر كذلك وهو خلاف ما أجمعوا عليه، فانه يلزم إفراد الضمير سواءً وقع معنى (ما) على مفردٍ أم مثنى أم جمعٍ، فهي تستعمل دائماً بمعنى النكرة العامة، فاذا أمرنا مثلاً رجلاً حاملاً حقيبةً أنْ يخرج منها كل شيء فيها، فلم يخرج منها إلا كتاباً واحداً ، لانه لم يكن يوجد فيها شيءٌ غيره ، فاذا أردنا أن نعبر عن هذه الحالة بمعنى الإفراد قلنا : أخرجَ الرجلُ كتاباً مِنْ حقيبتهِ واذا أردنا ان نعبر عنها بمعنى العموم قلنا: أخرج الرجل ما في حقيبته ؛ لأنها تكون بمعنى: أخرج جميع ما فيها وجميع ما فيها لم يكن غير هذا الكتاب.

---

(1) التبيان في إعراب القرآن ١/ ٢٤، وقطر الندى ص١٠٢، وشرح ابن عقيل ١/ ١٤٧.

ولإفادة (ما) هذا المعنى المبهم العام استعملت للتفخيم والتهويل كقوله تعالى: (**فَغَشِيَهُم مِّنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ**) [طه: ٧٨] وقوله تعالى: (**فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى**) [النجم: ١٠] وقوله تعالى: (**وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا**) [طه: ٦٩] ((كانه قال: ألق هذا الامر الهائل الذي في يمينك فانه يبطل ما أتوا به من سحرهم العظيم))[1].

فإن (ما) في هذه الاية وإن بدت عائدة على (العصا) إلا انه ما اريد بها معنى الافراد، بل اريد بها معنى الجمع، كأنّه ليس في يمينه شيءٌ واحدٌ فيكون سبباً لانتصاره ، بل اسباب النصر كلها ، فلم يقل سبحانه: والق التي في يمينك ، بل قال: (والق ما في يمينك) فعبر عن العصا بمعنى التنكير والعموم تهويلاً وتفخيماً لشأنها من جهةٍ ؛ ولأنّها ما زالت نكرة لا يعلم المخاطبُ حقيقتها من جهة أخرى، وعلى اية حال لو كان في يمينه العصا وأشياء سواها لشملهن الخطاب جميعاً لانّ الاية باستعمال (ما) تعني والق كل شيء في يمينك كائناً ما كان.

فلفظ (ما) هو بمعنى الفاظ الجمع (جميع) و (كل) و (كافة) أو عبارة (كل شيءٍ) أو أيّ شيء كان) أو نحو ذلك. فهذه الاداة تستعمل في الكلام لاعمام ما عادت عليه بغض النظر عن عدده لأنه بالاشارة الى عدده يزول معنى إبهام (ما) وعمومها، فلأنها اسمٌ مبهمٌ تصلح أنْ تقع على كل نوع وعددٍ فلا يلزم فيها لتعبر عن المؤنث أو الجمع تانيث العائد عليها أو جمعه، بل هي تعبر عن ذلك كله بإفراد الضمير، ولم اجد في كتب النحو التي رجعت اليها شواهد من كلام العرب او اشعارهم ورد فيها العائد مؤنثاً او جمعاً، وإنما اقتصر النحاة في هذا الباب على الامثلة المصنوعة التي

---

(١) معترك الاقران ٢/ ٣٥٠، ونتائج التحصيل في شرح كتاب التسهيل المرابط الدلائي ٢/ ٧٨٦. والطراز للعلوي ص٧٨- ٨١.

وضعوها للتمرين وقلما نجد في القرآن الكريم تانيث العائد أو جمعه في صلة (ما) وربما وجدنا هذا في توابعها من ذلك قوله تعالى: **(وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا)** [طه: ٦٩] ففي (تلقف) ضمير مستتر تقديره: (هي) عائد على (ما) حملاً على المعنى لأنّ المراد (العصا) وهي مؤنثة. وقيل (تلقفْ) للخطاب، بمعنى تلقف أنت[1] والصحيح الوجه الاول بدلالة قوله تعالى: **(وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ)** [الاعراف: ١١٧] وقوله تعالى: **(فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ)** [الشعراء: ٤٥] ومن ذلك قوله تعالى: **(وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لاَ يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَـؤُلاء شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ)** [يونس: ١٨] فأفرد العائد على (ما) في (ما لا يضرهم ولا ينفعهم) وجمع في (هؤلاء شفعاؤنا)[2].

ولم يرد الضمير جمعاً في صلتها في القرآن الكريم، إلا في موضعٍ واحدٍ هو قوله تعالى: **(وَيَجْعَلُونَ لِمَا لاَ يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَاهُمْ)** [النحل: ٥٦] فعبّر بـــ (ما) عن الاصنام وجمع الضمير العائد عليها في (يعلمون)، أي: يجعلون الاصنام التي لا تعلم شيئاً، نصيباً مما رزقناهم[3].

ولم يرد هذا أيضاً في أختها (مَنْ) إلا في موضعين في قوله تعالى: **(وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ)** [يونس: ٤٢].وفي قوله تعالى: **(وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَن يَغُوصُونَ)** [الانبياء: ٨١].

ويبدو أنّ السر في مجيء العائد جمعاً لا مفرداً في سورة النحل ، كان ليؤكد أنّ الاصنام جميعها، صغيرها وكبيرها لا تعلم شيئاً ، وكذلك

---

(١) البيان في غريب إعراب القرآن ٢/ ١٤٨.

(٢) البرهان في علوم القرآن ٣/ ٣٩٩، والإتقان في علوم القرآن ٢/ ٢٨٧.

(٣) الكشف في نكت المعاني والإعراب وعلل القراءات لابن ضرير، الجامعي النحوي ١/ ٢٠.

الحال في سورة يونس ورد جمعاً ليؤكد أنّ المستمعين من المشركين سراً من غير علم من يتبعونهم لقراءة الرسول (صلى الله عليه وسلم) ليلاً[1] كانوا في الاقل جمعاً، ذلك أنّ الاية تحدثت عن حالة غريبة، نادرة الوقوع، الامر الذي يجعل السامع يحمل (من) على اقل عدد ممكن، وهو المستمع الواحد، فاقتضى هذا المقام جمع العائد للإخبار بأن المستمعين كانوا ثلاثة فاكثر. ومد الفعل (يستمعون) بالواو يعبر عن طول استماعهم له، فقد كانوا يصغون لتلاوة القرآن تحت جنح الظلام ساعات طويلة وهو لا يعلم بهم ووردت (يستمع) بافراد الضمير العائد في قوله تعالى: **(وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ)** [الانعام: ٢٥]، ولعله اريد في هذه الاية استماع المشركين للرسول(صلى الله عليه وسلم) جهراً في النهار وهو بينهم يدعوهم الى الاسلام استماعاً من غير تدبر واصغاء فلم يقتض هذا المقام جمع العائد.

ولصلاح (ما) و (من) للتعبير عن الجمع بافراد الضمير في صلتهما ، صار جعله بصيغة الجمع لا فائدة منه، لذلك لم يرد منه في القرآن الكريم، إلا لوجه بلاغي احتاج اليه السياق كالوجه الذي بيناه في الايتين المذكورتين : أما عود الضمير مثنى على (ما) فنادرٌ، بل يكاد لا يصح

---

(١) عن البيهقي عن الحاكم بسنده الى الزهري أنّ أبا جهلٍ وأبا سفيان والاخنس بن شريق خرجوا ليلة ليسمعوا من رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وهو يصلي بالليل فاخذ كل رجل منهم مجلسا ليستمع منه، وكل لا يعلم بمكان صاحبه، فباتوا يستمعون له حتى اذا اصبحوا وطلع الفجر تفرقوا فجمعهم الطريق فتلاوموا وقال بعضهم لبعض: لا تعودوا فلو راكم بعض سفهائكم لاوقعتم في نفسه شيئا ثم انصرفوا، حتى اذا كانت الليلة الثانية عاد كل رجل منهم الى مجلسه فباتوا يستمعون له حتى اذا طلع الفجر تفرقوا فجمعهم الطريق فقال بعضهم لبعض مثل ما قالوا اول مرة ثم انصرفوا، فلما كانت الليلة الثالثة أخذ كل رجل منهم مجلسه فباتوا يستمعون له حتى اذا طلع الفجر تفرقوا فجمعهم الطريق، فقالوا: لا تبرح حتى نتعاهد الا نعود، فتعاهدوا على ذلك ثم تفرقوا، سيرة ابن هشام ١/ ٢٥٠.

وقوعه إذ يتعين في حالة التثنية معرفة العدد، وقد ذكرنا قبل قليلٍ أنْ الاشارة الى العدد تزيل ابهام (ما) وهو خلاف الغرض الذي وضعت له ، لذلك يبدو أنه لا يصح أن يقال أعجبني ما اشتريتهما أواعجبني ما رُكبا ، أو ما رُكبتا ، ولا يصح كذلك أن يقال : جاءني من قاما أو من قامتا ، وأعجني مَنْ جاءاك، أو جاءتاك كما مثل النحاة فلا يجوز استعمال (ما) أو (من) في التثنية إلا اذا بقيا على وضعهما يفيدان التنكير والاعمام، لذلك لم يرد في القرآن الكريم تثنية الضمير العائد على (ما) ولا على (من) لا في صلتهما ولا في توابعهما ، بل مثل هذا لم يرد في اللغة ، على الرغم من أنّ كتب النحو أجازت ذلك ، ومثلت له بل جعله ابن خالويه (ت ٣٧٠هـ) خارجاً عن كلام العرب، إذ ذكر أنّه ليس في كلامهم (من) وقعت على اثنين إلا في بيت الفرزدق(١).

تعال فإنْ عاهَدتَني لا تَخونُني   نَكُنْ مثلَ مَنْ ياذِئبُ يصطحبانِ[٢]

والشاعر في هذا البيت لا يعني من المثنى (يصطحبان) نفسه والذئب الذي يخاطبه، بل جعله مثلاً ينطبق عليه ، وعلى الذئب، وعلى كل من كان حالهما مثل حالهما فاذا قلنا مثلاً: هَنّاتُ مَن تزوّجا، عنينا : أي منزوجين كانا ، ولا يصح أنْ يكون المراد رجلاً بعينه وامرأةً بعينها ، فإذا أردنا هذا المعنى لزم استعمال (اللذين) العهدية وأنْ نقول : هَنّأتُ اللّذين تزوجا ، فقد صلحت التثنية هنا مع (من) لأنها جُعلتْ بهذا المعنى العام

---

(١) ليس في كلام العرب ص٢١٨.

(٢) البيت في ديوانه:

تعشّ فإنْ وافقتني لا تخونني   نكن مثل من يا ذئب يصطحبانِ

شرح ديوان الفرزدق ٢/ ٥٩٠.

المبهم ، و (ما) مثل (مَنْ) في هذه المسألة، لافرق بينهما في الأحكام، سوى وضع (ما) لغير العاقل، واختصاص (من) بالعقلاء.

المبحث الثاني

(ما) الموصولة

بين جواز عودها على العاقل وامتناعه

يقول النحاة : إنّ الأصل والأكثر في (ما) أن تجيء لغير العاقل، وقد جاءت للعاقل في كلام العرب كقولهم إذا سمعوا صوت الرعد : سبحان ما سخركن لنا ، وسبحان ما سبح الرعد بحمده[1].

وهذا ما أجازه النحاة والمفسرون في القرآن الكريم، فقد أجازوا ان تكون (ما) موصولة عائدة على العاقل في قوله تعالى: **(فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُواْ فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ)**{النساء :٣} بتقدير : او ما ملكته أيمانكم او مصدرية بتقدير : ملك أيمانكم[2] وكذلك أجازوا ان تكون موصولة في قوله تعالى: **(وَلاَ تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ آبَاؤُكُم مِّنَ النِّسَاء)** [النساء ٢٢] بتقدير: ولا تنكحوا من نكحهن آباؤكم، والمراد تحريم نكاح نساء الآباء او مصدرية بتقدير: ولا تنكحوا نكاح ابائكم، والمراد تحريم طرق النكاح التي كان يتبعها الاباء[3]، من الجاهليين.

---

(1) الكتاب ٢/ ٢٨٦ وتأويل مشكل القرآن لابن قتيبة، ص٥٣٣ والمقتضب، ٤٢/١، ٢٩٦/٢ واعراب القران المنسوب الى الزجاج ٩٢٢/٣ والصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها لابن فارس ،ص١٧١. والازهية في علم الحروف للهروي، ص٩٥ والاستغناء في احكام الاستثناء للقرافي، ص١١٢ والفوائد العجيبة ضمن كتاب: نصوص محققة ، ص٧٧٥.

(2) معاني القران للفراء ٢٥٤/٢ وجامع البيان في تفسير القران للطبري ٥٤٢/٧. واعراب القرآن للنحاس ٤١٤/٢ ومشكل اعراب القران ١٩٠/١، ١٩٥، ٥٨٠/٢.

(3) معاني القران للفراء ٢٦٣/٣-٢٦٤ ومجاز القران لابي عبيدة ١٢٠/١ وجامع البيان في تفسير القران ٥٤٢/٧، ٢٠٠/٢٣، ٢٠٩/٣٠ ومعاني القران واعرابه

وكذلك اجازوا هذين الوجهين في قوله تعالى: (**لا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ * وَأَنتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ * وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ * لَقَدْ خَلَقْنَا الْأنسَانَ فِي كَبَدٍ**) [البلد ١-٤] والمراد القسم بالوالد وبالذي ولده او بالوالد وولادته[١]. وفي قوله تعالى: (**قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ * لا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ * وَلا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ * وَلا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ**) [الكافرون ٣-٥] يكون المعنى: ولا انتم عابدون من اعبده ، وهو الله سبحانه او ولا انتم عابدون عبادتي[٢].

فجاز في ما في هذه الآيات الموصولية والمصدرية ، لان في صلتها ضميرا محذوفا يمكن تقديره او عدم تقديره.

واجازو كذلك ان تكون (ما) موصولة عائدة على العاقل في قوله تعالى: (**وَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تُقْسِطُواْ فِي الْيَتَامَى فَانكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاء مَثْنَى وَثُلاَثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُواْ فَوَاحِدَةً**) [النساء ٣] وجعلوا التقدير: فانكحوا من طاب لكم ، وأجازوا ان تكون مصدرية ظرفية بتقدير: فانكحوا مدة طيب النكاح لكم، او مصدرية مقدرة باسم الفاعل والمعنى:

للزجاج ٣٢/٢ والتبيان في تفسير القران ١٥٤/٣ ومفاتيح الغيب للرازي ١٧/٩ والجامع لاحكام القران ١٠٣/٥ وارشاد العقل السليم الى مزايا القران الكريم لابي السعود ٣٢٨/١ وفتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من التفسير للشوكاني ٤٤١/٢.

(١) معاني القران للفراء ٢٦٣/٣-٢٦٤ وجامع البيان في تفسير القران ٢٠٩/٣٠ والتبيان في اعراب القران ١٢٨٨/٢ وتفسير القران لابن كثير ٥١٢/٤ وارشاد العقل السليم ٢٦٤/٥.

(٢) معاني القران للفراء ٢٦٣/٣-٢٦٤ ومعاني القران واعرابه للزجاج ٣٤٦/٤ ورصف المباني في شرح حروف المعاني للمالقي ص٣١٤ وارشاد العقل السليم ٢٨٨/٥.

فانكحوا النكاح الذي طاب[1] غير ان النكاح مصدر (نكح) وليس مصدر (طاب)، فعند جعل (ما) مصدرية بمعنى الفاعل يلزم ان يكون التقدير: فانكحوا الطيب ، وعين النحاس الموصولية واستبعد المصدرية[2]، واجاز اغلب النحاة والمفسرين الوجهين ومن بينهم أبو حيان الاندلسي[3] واثروا معنى المصدرية ، لان جعل (ما) موصولة عائدة على العاقل مخالف للاكثر والاصل : وهذا ما صرح به المبرد (ت:٢٨٥هـ) اذ اشار الى ان جعل (ما) مصدرية ((اقيس في العربية)) [4] وذكر ان هذا هو الوجه ((الذي عليه النحويون))[5]. وقد تبين في المبحث السابق ان (ما) باجماع النحاة[6] تتعين ان تكون موصولة ، وتمتنع ان تكون مصدرية ، اذا عاد عليها الضمير، فكيف جاز عندهم ان تكون في هذه الاية مصدرية، وقد عاد عليها الضمير المستتر في (طاب)؟! مع ان هذا الضمير لا يصح

---

(1) معاني القران للفراء ٢٥٣/١-٢٥٤، ٢٨/٢، ٢٦٣/٣-٢٦٤ وجامع البيان عن تاويل أي القران ٥٤٢/٧، ٢٠٩/٣٠ واحكام القران لابن العربي ٣١٢/١، ومجمع البيان في تفسير القران للطبرسي ٥/٣، ومفاتيح الغيب ١٧٢/٩، والجامع لاحكام القران للقرطبي ٣٤/٥، والبحر المحيط ١٦٢/٣.

(2) اعراب القران ٣٩٣/١.

(3) مشكل اعراب القران ٩٠/١، ١٨٩، ١٩٥ ومفاتيح الغيب ١٧٢/٩ والتبيان في اعراب القران ٣٢٨/١ والجامع لاحكام القران ١٢/٥-١٣ والبحر المحيط ١٦٢/٣ والتدريب في تمثيل التقريب ص٧٠ وارشاد العقل السليم ٣١٤/١ وفتح القدير ٤٢٠/٢.

(4) المقتضب ١٨٥/٤، ٢١٨.

(5) المقتضب ٥٢/٢.

(6) (ما) المصدرية لا يصح ان يعود عليها الضمير عند النحاة سواء جمهورهم الذين قالوا بحرفيتها ام القلة منهم الذين قالوا باسميتها الا ان الفريق الثاني اوجب ذلك فقط في التقدير.

الغاؤه ، لانه فاعل، ولا يصح رده الى غير (ما) الا بتاويل لا يخلو من تكلف ظاهر ، يستلزم ذكره عند القول بجواز المصدرية، ولم اجد احدا منهم جاء باي تاويل كان ليسوغ به هذا الوجه ، وهذه قاعدة نحوية فقد استند اليها مثلا ابن هشام في تخطئته من قبله فقال: ((وللزمخشري غلطة .. فانه جوز مصدرية (ما) في **(وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مَا أُتْرِفُواْ فِيهِ)** [هود ١١٦] مع انه قد عاد عليها الضمير)) [١]، وما قاله الزمخشري في هذه الاية قاله جمهور النحاة والمفسرين في قوله تعالى (فانكحوا ما طاب لكم).

واجازوا كذلك ان تكون (ما) موصولة عائدة على العاقل في قوله تعالى: **(وَالسَّمَاء وَمَا بَنَاهَا * وَالأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا * وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا)** [الشمس: ٥-٨] والتقدير والسماء والله الذي بناها ، والارض والله الذي طحاها ، ونفس والله الذي سواها ، او مصدرية ، والتقدير: والسماء وبنائها والارض وطحوها ، ونفس وتسويتها[٢].

وضعف بعضهم الوجه الاول ، لانه به يتقدم ذكر المخلوق على الخالق[٣]. وقال الزمخشري : ((جعلت (ما) مصدرية في قوله: (وما بنيها) (وما طحيها) (وما سويها)، وليس بالوجه لقوله (فالهمها) وما يؤدي اليه من فساد النظم ، والوجه ان تكون موصولة)) [٤]، ورد عليه ابو حيان

([١]) الكشاف ٤٣٧/٢، ومغني اللبيب ٣٠٦/١.

([٢]) معاني القران للفراء ٤١٦/٢، ٢٦٣/٣-٢٦٤ ومعاني القران للاخفش ٥٣٩/٢، واعراب ثلاثين سورة ص٩٨ والازهية في علم الحروف ص٨١ والتبيان في تفسير القران ٣٥٧/١-٣٥٨ والكشاف ٧٥٩/٤ والتبيان في اعراب القران ١٢٩٠/٢ وتفسير القران لابن كثير ٥١٥/٤ وارشاد العقل السليم ٢٦٦/٥.

([٣]) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي الكلبي ٢٠٢/٤.

([٤]) الكشاف ٧٥٩/٤.

بقوله : ((ولا يلزم ذلك لانا اذا جعلناها مصدرية عاد الضمير على ما يفهم من سياق الكلام ، ففي (بناها) ضمير عائد على الله تعالى ، أي: وبناها هو، أي: الله تعالى ، كما اذا رايت زيدا قد ضرب عمرا فقلت : عجبت مما ضرب عمرا، تقديره: عجبت من ضرب عمرو هو، فصيحا جائزا، وعود الضمير على ما يفهم من سياق الكلام كثير))[1]. ويعني انها لا تكون مصدرية الا اذا جعلنا الاية بتقدير: والسماء وما بناها الله ، فتتجرد (ما) من عود الضمير المستتر عليها ، ولا يلزم ذلك ايضا لجواز جعل (ما) موصولة بعود الضمير الظاهر عليها ، والقسم بالمخلوق بتقدير: والسماء والكائنات التي بناها الله.

وما استدل به الزمخشري لا يحتاج اليه ، لان عود الضمير على (ما) قد ثبت وتعينت به الموصولية قبل ذكر (فالهمها).

وصح كلام ابي حيان الذي يدل على ان المصدرية لا تجوز الا بالتاويل الذي اشار اليه ، وكان ينبغي ان يشير اليه ايضا عندما نقل القول بجوازها في قوله تعالى: **(فَانكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم)**، والنحاة والمفسرون لم يجيزوا المصدرية بهذا التاويل، اذ لم يلتفتوا الى مسالة عود الضمير على (ما) والدليل على ذلك اني لم اجد احدا منهم غيره ذكره ، وذكره لابد منه ايضا لان المصدرية في هذه الايات لا تسوغ الا به ، والدليل الاخر تقديرهم : والسماء وبنائها ، فلو اردنا جعله من باب اضافة المصدر الى فاعله لأسندنا معنى الفاعلية الى السماء ، وهذا لا يصح لان المراد اسنادها الى البارئ عز وجل، ويكون من (وما بنته) او من (وما بنتها)، والآية: (وما بناها) ولو اردنا جعله من باب اضافة المصدر الى مفعوله لما صح ايضا ، لانه لا يكون الا من الفعل (بنى) بدون فاعله ، وكذلك يقال الكلام

---

(1) البحر المحيط ٨/٤٧٨-٤٧٩ وفتح القدير ٥/٤٤٨-٤٤٩.

نفسه في (وما طحيها) (وما سويها) وهذا مانبه عليه البيضاوي (ت٦٨٥هـ) في هذه الايات بقوله: ((وجعل (ما) مصدرية يجرد الفعل عن الفاعل)) [١]، فاذا اريد هذا الفعل مع فاعله الذي هو الله سبحانه حسب التاويل الذي اشار اليه ابو حيان، للزم اظهار ضميره اما باضافة المصدر اليه نحو: والسماء وبنائه اياها، او بابرازه منفصلا عنه نحو: والسماء وبنائها هو.

واجازوا كذلك ان تكون (ما) موصولة عائدة على العاقل في قوله تعالى: **(وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى * وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى * وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالأُنثَى * إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى)** [الليل: ١ – ٤] بتقدير: والله الذي خلق الذكر والانثى او مصدرية بتقدير: وخلقه الذكر والانثى[٢] ولم يشيروا في هذه الاية ايضا الى مسالة عود الضمير المستتر في (خلق) على (ما) الذي بمقتضاه تمتنع المصدرية.

ويصح تقدير المصدرية المذكور لو قال سبحانه : وما خلق الله الذكر والانثى، ولا يصح للذي ورد في نص القران الا على تاويل جعل الضمير المستتر عائدا على الله سبحانه المفهوم من السياق لا على (ما)، وهو ما لم يشر اليه النحاة والمفسرون وابو حيان نفسه الذي اجاز المصدرية في هذه الاية وقدمها على الموصولية[٣] دون ان يشير الى هذا التاويل الذي اكد الاخذ به في الايات التي تقدمتها في سورة (الشمس).

---

(١) انوار التنزيل واسرار التاويل ص٨٠٠.

(٢) معاني القران للفراء ٢٦٣/٣-٢٦٤ ومجاز القران ٣٠١/٢ وجامع البيان ٢٠٩/٣٠ ومعاني القران واعرابه للزجاج ٣٣٥/٥، واعراب ثلاثين سورة ص١٠٧، ومفاتيح الغيب ١٩٧/٣١ والتبيان في اعراب القران ١٢٩١/٢ وفتح القدير ٤٥٢/٥.

(٣) البحر المحيط ٤٨٣/٨.

ونسب الزمخشري الى الكسائي انه جعل (ما خلق): ((بمعنى وما خلقه الله أي: ومخلوق الله، الذكر والانثى ، وجاز اضمار اسم الله لانه معلوم لانفراده بالخلق اذ لا خالق سواه)) [١] وتعرب (الذكر والانثى) بدلا، والقسم بالمخلوق بتقدير: والشيء الذي خلقه الله.

واجازوا مجيء (ما) للعاقل في آيات أخرى، كقوله تعالى: (**خَالِدِينَ فِيهَا إِلاَّ مَا شَاء اللّهُ**) [الأنعام: ١٢٨] وقوله تعالى، (الا ما شاء ربك) [هود: ١٠٧-١٠٨]. والراجح ان (ما) هنا عائدة على الزمان[٢].

وكذلك قوله تعالى: (**وَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِن قَبْلُ**) [الزمر: ٨] فقد اجازوا ان تكون (ما) في هذه الاية موصولة عائدة على العاقل بتقدير: نسي الله الذي كان يدعوه، او مصدرية بتقدير: نسي دعاءه الى الله[٣] وقيل تم الكلام عند (نسي) و (ما) نافية، أي: نفى ان يكون دعاء هذا الكافر خالصا لوجه الله سبحانه[٤] والراجح، فيما يبدو ما ذهب اليه الزمخشري[٥]، وهو ان (ما) عائدة على الضر والتقدير:ونسي الضر الذي كان يدعو الله اليه، يؤيد ذلك،قوله تعالى: ((**وَإِذَا مَسَّ الإِنسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا**

---

(١) الكشاف ٧٦٢/٤.

(٢) جامع البيان ٤٨٤/١٥-٤٨٧ ومعاني القران وإعرابه للزجاج ٢٩٢/٢، والكشاف ٦٥/٢ والتبيان في إعراب القران ٢٧٠/١، ٥٣٩، ٧١٤/٢-٧١٥ وحادي الأرواح الى بلاد الأفراح، لابن الجوزية ص٢٧١-٢٧٣ وتفسير القران لابن كثير ٤٦٠/٢.

(٣) معاني القران للفراء ٤١٦/٢ وجامع البيان ٢٠٠/٢٣ ومعاني القران وإعرابه للزجاج ٣٤٦/٤ والتبيان في تفسير القران ١٢/٩.

(٤) البحر المحيط ٤١٨/٧ وينظر دراسات لأسلوب القران، عبد الخالق عضيمة القسم الأول ١٤٠/٣.

(٥) الكشاف ١١٦/٤.

فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرٍّ مَّسَّهُ)) [يونس:١٢] وكذلك اجازوا عودها على العاقل في قوله تعالى: ((قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا)) [الفرقان:٦٠] والتقدير: انسجد للذي تامرنا[١]؟.

ولان مجي(ما) للعاقل مخالف للاصل، انقسم النحاة في هذه القضية فمنهم من اجاز وقوع (ما) على احاد من يعقل مطلقا ، ومنهم من لم يجز وقوعها على عاقل الا بقرينة او مسوغ[٢]. ومن هذه المسوغات ما قيل في (ما) في قوله تعالى: ((فَانكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم)) وقوله تعالى: ((أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ)) انها وردت للعاقل، لان الإناث يجرين مجرى غير العقلاء لنقصان عقلهن ونقل هذا القول من دون ان يعلق عليه الزمخشري[٣] والرازي[٤] (ت٦٠٦هـ)، والنسفي[٥] (ت٧١٠هـ) وابن جزي الكلبي[٦](ت٧٤١هـ) وابو حيان الاندلسي[٧] وابو السعود[٨] (ت٩٥١هـ) وهو قول بعيد، ولا يصح نقله دون الرد على قائله ، لان (ما) كما وردت للعاقل المؤنث،وردت للعاقل المذكر، بل عادت على الله ، سبحانه في مواضع.

([١]) البيان في غريب إعراب القران٢/٢٠٧ والتبيان في إعراب القران٢/٩٩٠.

([٢]) البحر المحيط ٨/٤٧٨,وهمع الهوامع١/٣١٤-٣١٥.

([٣]) الكشاف١/٤١٧.

([٤]) مفاتيح الغيب ٩/١٧٢.

([٥]) منازك التنزيل وحقائق التاويل، تفسيره ١/٢٠٥.

([٦]) التسهيل لعلوم التأويل-تفسيره ١/١٢٩.

([٧]) البحر المحيط ٣/١٦٢.

([٨]) إرشاد العقل السليم ٢/١٤١.

وقيل: ان (ما) في قوله تعالى: ((وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ)) وردت للعاقل لمطابقة ما قبلها وما بعدها لتكون معهما على نسق واحد[1]، لانها وقعت بين قوله تعالى: ((لا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ)) [الكافرون:٢] وقوله تعالى: ((وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ)) [الكافرون:٤] وذكر ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١ هـ) هذا الوجه وعده من ازدواج الكلام في البلاغة والفصاحة[2]: مثل قوله تعالى: ((فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ)) [البقرة: ١٩٤] وقوله تعالى: ((نَسُواْ اللّهَ فَنَسِيَهُمْ)) [التوبة:٦٧].

الا ان المسوغ الذي شاع ، هو ان ورود (ما) للعاقل في القران الكريم ((كان على وضع النعت موضع المنعوت، لان (ما) تكون لغير الآدميين ولصفات الآدميين وأجناسهم وأنواعهم)) [3] وذكر الزركشي (ت٧٩٤هـ) ان (ما) الموصولة ((لا تكون لأشخاص ما يعقل على الصحيح، لانها اسم مبهم يقع على جميع الأجناس فلا يصح دخولها الا على الجنس)) [4] وجعل من ذلك قوله تعالى: (فَانكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم) ((والمعنى: انكحوا الموصوفة باي صفة أردتم من البكارة والثيوبة ونحوها)) [5] وكذلك قوله تعالى: (وَلاَ تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ آبَاؤُكُم) والمعنى: ولا تنكحوا المنكوحة من قبل الآباء، او بمعنى: ولا تنكحوا النوع الذي نكحه

---

(١) البيان في غريب إعراب القران ٥٤٢/٢ ومجمع البيان في تفسير القران للطبرسي ٥٥١/١.

(٢) التفسير القيم لابن قيم الجوزية ص٥٢٥-٥٢٦.

(٣) المقتضب ٤٨/١،ومعاني القران واعرابه للزجاج ٨/٢ وإعراب القران للنحاس ٣٩٣/١ والكشاف ٧٥٩/٤، ٧٦١، ٨٠٩ ومفاتيح الغيب ١٧٢/٩.

(٤) البرهان في علوم القران ٣٩٩/٤.

(٥) حاشية الخضري على ابن عقيل، لمحمد الخضري ٧٣/١.

آباؤكم[1]، وتناول ابن قيم الجوزية هذا الوجه، وصرح بأنه أحسن الوجوه عنده، ففصل القول فيه ، وجعل إطلاق (ما) على صفة ما يعقل ابلغ من استعمال (من) الدالة ((على الذات فقط)) [2].

(ما) ومعنى الجنس

تبين مما تقدم ذكره ان النحاة والمفسرين استندوا في تفسير مجيء (ما) للعاقل في القران الكريم إلى أساسين:

الأول: ان (ما) وضعت لذات ما لا يعقل ، ولصفة من يعقل.

والثاني: ان (من) وضعت لذات العاقل.

غير ان الذي يلحظ، هو ان العرب اذا أرادوا التعبير عن صفة الموصوف استعملوا (ما) و (من)، وجعلوا الأولى لغير العاقل، او لما هو عام ، وخصوا الثانية بالعاقل. وإذا أرادوا التعبير عن ذات الموصوف ، عاقلا كان أم غير عاقل، استعملوا (الذي) وفروعها ، مما هو مبدوء بـــ(ال)، ولما كان المراد من (الذي) الذات، اقتضى تعيين هذه الذات في الكلام، إما عهدا وإما جنسا، ظاهرة او مقدرة: ذلك ان التعبير عنها لا يتحقق الا بتعيينها.

اما (ما) فعلى العكس من ذلك، اذ انها لما لم يكن المراد من وضعها الذات، بل المراد صفتها، فقد اقتضى ذلك عدم تعيين هذه الذات لذلك لزم حذفها، أي: حذف الموصوف، وإذا اريدت الصفة لزم اعمامها، لانه يلزم ان يراد منها كل من اتصف بها.

وقد ذكر النحاة والمفسرون في الآيات التي مر ذكرها، كقوله تعالى: **(فَانكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ)**، انه استعمل (ما)، لانه اراد صفة من

---

(1) البحر المحيط ٣/١٦٢، ٢٠٨.

(2) التفسير القيم ص ٥٢٥-٥٢٦ وبدائع الفوائد ١/١٣١-١٣٤.

يعقل ولو اراد الذات لاستعمل (من) وقال فانكحوا من طاب لكم ، والحقيقة هي انه لو أراد صفة من يعقل لاستعمل (من) لا (ما)، لان (ما) لا تجيء الا لصفة غير العاقل، وكيف يصح في (من) ارادة الذات، وهذه الذات لا يصح اظهارها مع (من)، ولا تقديرها؟ اذ لا يصح ان يكون التقدير: فانكحوا المرأة من طابت.

ويمكن استعمال غير (ما) من الموصولات الاسمية في الكلام ولكن كلا منها تؤدي معنى لا تؤديه الاخرى. فلو اراد صفة الفرد لاستعمل (من) وقال: فانكحوا من طاب ؛ لان الفرد هنا مما يعقل ، ولكان المراد بالصفة كل فرد موصوف بها من غير تحديد ، وفي ذلك معنى الجميع والعموم والتقدير: فانكحوا أي امراة كانت طابت لكم ولأفرد العائد لانه هو الأصل والاكثر كما تبين هذا في المبحث السابق ولجاز التانيث والاغلب التذكير، كما جاز ذلك في (من) الشرطية في مثل قوله تعالى: (**وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُّؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ**) [الاحزاب: ٣١] فالخطاب موجه الى نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم جميعهن الا انه افرد العائد وذكره في (يقنت) وانثه في (تعمل).

ولو اراد ذات الفرد بمعنى العهدية او الجنسية لاستعمل (التي) وقال: فانكحوا التي طابت ، وفي كلا الوجهين معنى الافراد والتعيين، لان الوجه الاول يعني امراة بعينها والثاني يعني جنسا بعينه وأنّث لأنه عبر عن هذا الجنس المعين بالذات المؤنثة اذ التقدير: فانكحوا المراة التي طابت.

ولو اراد ذات الجنس لاستعمل (الذي) وقال: فانكحوا الذي طاب وافرد وذكر لانه أراد معنى الجنس المفرد المذكر والتقدير: فانكحوا الجنس الذي طاب اما (ما) فقد استعملت في الآية لتعبر عن صفة الجنس لذلك ذكر الضمير العائد ولم يؤنثه لأنه لم يعد على آحاد من يعقل من الإناث وهذا ما

صرح به الطبري من انه استعمل (ما) ولم يستعمل (من) ((لأنه لم يرد أعيان النساء واشخاصهن))[1].

وتبدو هذه القضية واضحة لاخلاف فيها حتى ان من النحاة من استند اليها لتفسير مسالة من مسائل الاعراب فقد قرئ قوله تعالى: (**حافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللّهَ**) [النساء: ٣٤] بنصب لفظ الجلالة (الله)[2]،فمن نصب جعل (ما) موصولة، وفي (حفظ) ضمير مستتر عائد عليها ، والمعنى: حافظات للغيب بالشيء الذي حفظ الله أي: حفظ امره او طاعته او دينه.

واجاز الزجاج[3] ومكي القيسي[4] ان تكون (ما) مصدرية ، ولا يصح هذا الوجه، لان (ما) لا تكون مصدرية الا إذا تجردت من الضمير المستتر العائد عليها، وهذا الضمير لا يصح الغاؤه، لأنه فاعل، كما انه لا يصح عوده على (النساء)، لانه مفرد، و (النساء) جمع مؤنث للعاقل، فإذا أريد عوده عليهن وجب إظهاره وقيل: حافظات للغيب بما حفظن الله[5]، إلا أن العكبري أجاز ذلك في حالة واحدة، وهي ان يكون هذا الضمير عائدا على جنس النساء فيجوز عندئذ أن يكون مفردا مذكرا مستترا، لان معنى الجنس يعامل معاملة المفرد المذكر غير العاقل[6].

واستعمل (ما) دون (الذي) لأنه أراد بها كل جنس موصوف بالطيب من غير تحديد أي إذا كانت (الذي) تعني ذات الجنس فان (ما) تعني الاجناس جميعها المتقرعة منه على وجه الاستقصاء فهناك الابكار

---

(1) جامع البيان٧/٥٤٢.

(2) وهي قراءة يزيد ابن القعقاع، معجم القراءات ٢/١٣٠.

(3) معاني القران ٢/٤٧.

(4) مشكل اعراب القران ١/١٩٧.

(5) البيان في غريب اعراب القران ١/٢٥٢.

(6) التبيان في اعراب القران ١/٣٥٤.

والمطلقات والأرامل وذوات القربى والأجنبيات، فالمراد إعمام الاجناس التي احل الله نكاحها لإشعار المخاطب باتساع دائرة الحلال والمعنى: فانكحوا أي جنس كان طاب لكم.

وكذلك يقال الكلام نفسه في قوله تعالى: **(أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ)** والمعنى: او أي جنس كان ملكته ايمانكم ، وقوله تعالى: **(وَلاَ تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ آبَاؤُكُم مِّنَ النِّسَاء)**، والمعنى: ولا تنكحوا أي جنس كان نكحه اباؤكم ، فقد عبر عن هذا المعنى بـــ(ما) الدالة على العموم، لإشعار المخاطب بعظم اثم هذا النكاح، ولحمله على استبشاعه، والدليل على ذلك، انه سبحانه، جعله أبشع من الزنى، فقد قال عز وجل في الزنى : **(وَلاَ تَقْرَبُواْ الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاء سَبِيلاً)** [الإسراء: ٣٢] على حين قال في نكاح امرأة الأب **(وَلاَ تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ آبَاؤُكُم مِّنَ النِّسَاء إِلاَّ مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاء سَبِيلاً)** [النساء: ٢٢]. فوصفه بما وصف به الزنى وأضاف إليه صفة المقت، وهو الكره الشديد.

فهذا هو المراد من (ما) في هذه الآيات والتي على نحوها ، وما يمكن ان يفسر بمعنى الجنس العام، فتكون (ما) عندئذ على بابها ، عائدة على غير العاقل.(٣)

(ما) ومعنى الشيء

جعل النحاة والمفسرون (ما) عائدة في مواضع على الله، ســبحانه، وقد تقدم ذكر شواهدهم في هذا الباب وهي: قول العــرب : ســبحان مـــا سخركن لنا ، وسبحان ما سبح الرعد بحمده، وكقوله تعالى: **(وَالسَّمَاء وَمَا بَنَاهَا)** وقوله، تعالى: **(وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالأُنثَى)** وقوله تعـــالى: **(وَلا أَنـــتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ)** الا أنهم قدروها مرة بمنزلة (الذي) ومرة بمنزلة (مـــن)

ولم يفرقوا في المعنى بين هذين التقديرين[1] فيذكر الزجاج مثلا في قولـــه تعالى (والسماء وما بينها) ((وقيل معنى (ما) ههنا معنى (من)، والمعنـــى: والسماء والذي بناها)) [2]، وقرأ عبد الله بن مسعود (رضـــي الله عنــه): والـــــــــــــــــــــــذي خلـــــــــــــــــــــــق

الذكر والأنثى فرجح الطوسي (ت ٤٦٠ هــــ)[3] والزمخــشري[4] وابـــو السعود[5]، ان تكون (ما) عائدة على الله بدلالة هذه القراءة، ولا يتعين هذا الوجه لان (الذي) اسم موصول ، يستعمل للعاقل ، نحو: احسن الى الـــذي أحسن اليك ، ولغير العاقل، نحو: اقرا الكتاب الذي ينفعك ، بخلاف (من) التي اختصت بالعاقل. وكثير من الذين جعلوها بتقدير (الذي) لم يوضحوا او يعينوا المراد من هذا التقدير، للعاقل المعين ام لغير العاقل المبهم؟ ولهذا أجاز مكي وأبو البركات بن الانباري في (ما) في قوله تعالى (والسماء وما بينها) وقوله تعالى: **(وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالأنثَى)** ثلاثة اوجه.

الأول: ان تكون مصدرية ، والتقدير: والسماء وبنائها ، وخلقه الذكر والأنثى.

والثاني: ان تكون بمنزلة (من) والتقدير: والسماء ومن بناها ومـــن خلق الذكر والانثى.

([1]) ينظر مثلا مجاز القران ٢٤١/١، ٣٠٦/٢.

([2]) معاني القران واعرابه ٣٣٢/٥.

([3]) التبيان في تفسير القران ٣٦٣/١٠.

([4]) الكشاف ٧٦١/٤.

([5]) ارشاد العقل السليم ١٦٦/٩.

والثالث: ان تكون بمنزلة (الذي) والتقدير: والسماء والذي بناها والذي خلق الذكر والانثى.وهذا ما ينطبق على قوله تعالى: (وَلا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ) [1].

الا انهما لم يشيرا الى المقصود من الوجهين: الثاني والثالث ولا الى الفرق بينهما ، ومن الواضح انهما كانا يعنيان بجعل (ما) بمنزلة (من)، عودها على الله، عز وجل، والتقدير: والسماء والله الذي بناها ، وكان يعنيان بجعل (ما) بمنزلة (الذي) عودها على الشيء لا على الله سبحانه ، والتقدير: والسماء والشيء الذي بناها ، لذلك جعلهما العكبري وجهين مختلفين، في قوله تعالى: (وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَاء ذَلِكُمْ) [النساء: ٣٤]، فاجاز ان تكون (ما) بمنزلة (من) عائدة على النساء اللآتي احل نكاحهن بالمهور، واجاز ان تكون بمنزلة (الذي) عائدة على فعل الشيء غير المحرم، أي (واحل لكم تحصيل ما وراء ذلك الفعل المحرم) (٢).

وعود (ما) على (الشيء) يؤكده النحاة والمفسرون من خلال تفسيراتهم الآتية :

١-في قوله تعالى: (قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ) [ص: ٧٥] بين السهيلي (ت، ٥٨١هـ) انه جاز عود (ما) على العاقل ، لان الله، سبحانه، ما أراد ان يأمر إبليس بالسجود، لذات ادم ، بل للسجود لشيء خلقه الله، كائنا ما كان هذا الشيء ، ادم ام غيره، فيكون هذا السجود تعظيماً لله الخالق، لا لآدم المخلوق، ويكون عدم السجود تكبرا على الله، عز وجل، لا على ادم، عليه السلام(٣).

---

(١) مشكل اعراب القران ٨٢٢/٢، والبيان في غريب اعراب القران ٥١٦/٢، ٥١٨.

(٢) التبيان في اعراب القران ٣٤٦/١-٣٤٧.

(٣) الروض الانف ٣٢٣/٣-٣٢٥، وبدائع الفوائد ١٣٢/١.

وهذا يعني ان (ما) وردت لغير العاقل ، لانه أريد بها التعبير عن شيء عام مبهم ، وبهذا التفسير وجهوا الشواهد الأخرى.

٢-ذكر الزركشي في البرهان أنّ مجيء (ما) من دون(مَنْ) في قوله تعالى: (وَلا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ) ، كان لجهل الكفار بهذا المعبود . وجاء فيه ايضاً أنه استعمل (ما) دون (مَنْ) في هذه الآية، ((لانّ الكفار كانوا يحسدون النبي (صلى الله عليه وسلم) كائنا ما كان معبوده ، فليس ذلك كراهية لذات المعبود ، ولكن انفة وكراهية لاتباعه ، (صلى الله عليه وسلم)، إذ التقدير: ولا انتم عابدون أي شيء كان أعبده ، فلا يصح لأداء هذا المعنى إلاّ لفظة (ما) لإبهامها)) (١).

٣-ذكر المبرد أن (ما) لا تكون للعاقل ، لكنه جاز ((أن تقع على الآدميين لإبهامها)) (٢) . وجعل من ذلك قوله تعالى: (رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا) [آل عمران: ٣٥] (٣).

٤-وأجاز ابن يعيش(٤) وابن الحاجب(٥) إطلاق (ما) على البارئ عز وجل في مثل قول العرب: سبحان ما سخركن لنا ، وسبحان ما سبح الرعد بحمده، وقوله تعالى: (وَلا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ)، ((لان ذات البارئ غير معلومة الحقيقة، لذلك صارت مبهمة بهذا الاعتبار)) فالعرب اذا أرادت الشي مبهما او ارادوا ان يبهموه ، اتوا فيه بلفظ (ما) ، الا ترى انك

---

(١) البرهان في علوم القرآن ٤/ ٤٠٠ والتفسير القيم ص٥٢٥-٥٢٦.

(٢) المقتضب ١/ ٤٢.

(٣) البيان في غريب اعراب القران ١/ ٢٠٠ وشفاء العليل في ايضاح التسهيل لابي عبد الله السلسبيلي ١/ ٢٤٠.

(٤) شرح المفصل ٤/٥.

(٥) الامالي النحوية ص٣١٥-٣١٦.

تقول لشبح رفع لك من بعيد لا تشعر به: ما ذاك؟ والمعنى: أي شي ذاك؟ فاذا شعرت انه انسان قلت: من ذاك؟ والمعنى أي إنسان ذاك؟.

٥-ذهب الزمخشري إلى ان (ما) في قوله تعالى: (ووالد وما ولد) بمنزلة (من)، لأنه أريد بذلك التعظيم ، كقوله تعالى: (وَاللّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ) [ال عمران: ٣٦]، (أي: أي شيء وضعت؟ يعني موضوعا عظيم الشان) (١).

٦-قال السهيلي في (ما) في قوله تعالى: (وَلا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ): انها عادت على الله، عز وجل، (لان من جلت عظمته حتى خرجت عن الحصر، وعجزت الافهام عن كنه ذاته ، وجب ان يقال فيه : هو ما هو:،كقول العرب: سبحان ما سبح الرعد بحمده، ومنه قوله تعالى: (وَالسَّمَاء وَمَا بَنَاهَا)، فكأن المعنى: ان شيئا بناها لعظيم ، وما أعظمه من شيء، فلفظ (ما) في هذا الموضع يؤذن بالتعجب من عظمته كائنا ما كان هذا الفاعل)(٢).

فالعربي بقوله : سبحان ما سخركن لنا وسبحان ما سبح الرعد بحمده يعني، ان الشيء الذي سخّر السحاب ، وسبح له الرعد ، يستحق ان يمجد ويوحد، ويقال فيه (سبحانه) كائنا ما كان هذا الشيء، والمتكلم يعلم انه ما من شيء وما من احد، يتصف بهذه الصفة الا الله: سبحانه ، فهذا الشيء الذي عبر عنه بالمعنى العام، لا بد ان يعود على البارئ، عز وجل، وينحصر فيه وهذا التعيين لم يجئ من (ما) إذ هي اسم مبهم عام ، ولكن جاء من مقتضى الحال والأمر الحاصل فهو أسلوب فيه معنى العموم

---

(١) الكشاف ٧٥٤/٤ وينظر مفاتيح الغيب ١٨٠/٣١ والتسهيل لعلوم التنزيل ٢٠٠/٤.

(٢) الروض الانف ٣٢٣/٣-٣٢٥.

والنكرة المبهمة ولكن عند ربطه بالواقع تنتهي نتيجة هذا المعنى الى الافراد والعلم والمعرفة.

وكذلك كان قوله تعالى: (وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا) فهي بمعنى: والسماء وأي شيء كان بناها ، فانه يستحق التعظيم والقسم به كائنا ما كان ، إلا ان هذا الكائن لا يمكن ان يكون الا امرا عائدا على الله سبحانه ، وهو قدرته او حكمته او تدبيره او قوله للشيء : كن فيكون ، وقد عبر السهيلي عن هذا المعنى بقوله: (كائنا ما كان هذا الفاعل) وهذا الفاعل لا يكون الا الله.

وخلاصة ما تقدم ان العرب كانوا اذا ارادوا تعظيم الله ، تعالى، بصفة من الصفات، لم يستعملوا (الذي) لتدل عليه ولا (من) التي اختصت بالعقلاء، وانما اطلقوا المعنى وأعموه باستعمال (ما) التي تقع على كل شيء، عاقلاً كان أم غير عاقل ، ثم يتخصص هذا المعنى العام المطلق ، فيعود دالا على الله سبحانه وتعالى، ويقتصر عليه من دون غيره بحكم الواقع والحال لا بحكم الأداة.

وقد استعمل القرآن هذا الاسلوب الذي يبدو انه من ابلغ اساليب التعظيم واقواها.

يتبين مما تقدم ذكره انه لا يصح استعمال (ما) الا اذا قصد عودها على معنى مما يعامل معاملة غير العاقل كمعنى الجنس او الشيء او النفس كقوله تعالى: (وَمَا أُبَرِّىءُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلاَّ مَا رَحِمَ رَبِّيَ) [يوسف ٥٣] إذ التقدير الا نفسا رحمها الله بالعصمة[1].

والمشهور في كتب النحو ان (ما) اختصت بغير العاقل، والحق انها لم تكن مثل (من) مختصة بجنس معين ، بل هي كما قالوا : تقع على كل شيء ، على ما كان وما لم يكن، والعاقل شيء وعنصر مما هو كائن ،

---

(1) الكشاف ٢/٤٨٠-٤٨١.

لكن الذي قاد الى الظن باختصاصها بغير العاقل، استعمال (من) مختصة بالعاقل. فسدت بذلك جزءا من وظيفة (ما) العامة ، لانه حين يراد التعبير عما هو عاقل فحسب ، يؤتى بالاداة المختصة به ، لا بالأداة العامة التي تعنيه وتعني الجنس الآخر، لذلك أصبحت (ما) تطلق على معنيين:

الأول: على ما لا يعقل لعدم وجود أداة اختصت به.

والثاني: على كل جمع عم وضم جنس العاقلين وغير العاقلين.

ومن أمثلة ذلك في القران الكريم، قوله تعالى: (**إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ**) [الأنبياء: ٩٨] وقد ذكر الزركشي[١] ان (ما) هنا استعملت للعاقل، لاختلاطه بغير العاقل، ثم استثنى الله، سبحانه، من ذلك الملائكة والأنبياء بالآية التي بعدها: (**إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَى أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ**) [الأنبياء: ١٠١].

فالأداة (ما) لا تجيء مختصة بالآدميين ، ولكن تعود عليهم عند اختلاطهم بغيرهم، وهي في هذه الآية ونحوها عادت على جنس العقلاء وغير العقلاء جميعا، ولم تشمل الجنس الأول على سبيل التغليب بل شملته بحكم معناها الدال على العموم بخلاف (من) فانها اذا عادت على غير العاقل لاختلاطه بالعاقل، عادت عليه على سبيل التغليب كقوله تعالى: (**أَلا إِنَّ لِلّهِ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ**) [يونس:٦٦].

---

(١) البرهان في علوم القران ٣٩٩/٤.

المبحث الثالث

معنى (ما) الموصولة ومعاني (ما) الأخرى

تحتمل (ما) الموصولة لمعان اخرى في ايات من القران الكريم من ذلك قوله تعالى: **(وَاتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَـكِنَّ الشَّيْاطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولاَ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلاَ تَكْفُرْ)** [البقرة: ١٠٢].

فمن ذهب الى انزال السحر او الشرع على الملكين جعل (ما) موصولة في قوله تعالى: **(وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ)** والا جعلها نافية[١] واختار الطبري (ت ٣١٠هـ)[٢] والزجاج (ت ٣١١هـ)[٣] ومكي القيسي (٤٣٧هـ)[٤] والزمخشري[٥] ان تكون (ما) موصولة، ومنع الطبري ان تكون نافية، وقال: (لو كانت نافية لما كان في قوله تعالى: **(وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولاَ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلاَ تَكْفُرْ)** معنى): لان الملكين كانا يعلمان الناس السحر، وهذا هو الوجه، وعند جعل (ما) موصولة جاز ان تكون معطوفة على (ما) الاولى او على السحر والمعنى: ان الملكين كانا يعلمان

---

(١) المسائل المشكلة المعروفة بالبغداديات، ٣٥٤، ومفاتيح الغيب، تفسير الرازي ٢١٨/٣، والتبيان في اعراب القران ٩٩/١، والجامع لاحكام القران / تفسير القرطبي ٥٠/٢-٥١.

(٢) جامع البيان عن تاويل أي القران ٤٢٤/٢.

(٣) معاني القران واعرابه ١٨٣/١-١٨٤.

(٤) مشكل اعراب القران ١٠٦/١.

(٥) الكشاف ١٧٢/١.

الناس السحر من اجل اجتنابه وان الله جعلهما فتنة للناس فمن اتبعهما كفر ومن اجتنبهما نجى[1].

وذهب الفراء (ت٢٠٧هـ) [2] والطبري[3] والنحاس (ت ٣٣٧هـ) [4] والرازي[5] الى ان (ما) الثانية في قوله تعالى: **﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوَءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا﴾** [آل عمران:٣٠] موصولة، معطوفة على (ما) الاولى و (تود) حال لها او مرفوعة على الابتداء و (تود) خبرها ، وذكروا انهم لم يعلموا احدا قرأ (تود) بالجزم ، وان كان هذا جائزا في النحو واجاز مكي القيسي[6] والزمخشري[7] وجهاً ثانيا وهو الشرطية ، وعلى تقدير (فاء) محذوفة في الجواب، أي: فهي تود ، واجاز العكبري (ت٦١٦هـ) رفع (تود) من غير تقدير (فاء) محذوفة ؛ لأن الشرط هنا ماض واذا لم يظهر لفظ الجزم في الشرط جاز في الجواب الجزم والرفع[8] واثبت ابو حيان الاندلسي مجيء جواب (ما) الشرطية مرفوعا كثيرا مستشهدا بالفصيح من كلام العرب[9].

ويقوي هذا الوجه عندهم قراءة عبد الله بن مسعود (ودت) بالماضي.

---

(١) زاد المسير في علم التفسير ١/١٢٢-١٢٣.

(٢) معاني القران ١/٢٠٧.

(٣) جامع البيان ٦/٣١٩-٣٢٠.

(٤) اعراب القران ١/٣٢١.

(٥) مفاتيح الغيب للرازي (تفسيره) ٨/١٦.

(٦) مشكل اعراب القران ١/١٥٥.

(٧) الكشاف ١/٣٥٢.

(٨) التبيان في اعراب القران ١/٢٥٣.

(٩) البحر المحيط ٢/٤٢٦-٤٣٠.

والوجه ان (ما) موصولة لكون (تود) مرفوعة ورفع جواب (ما) الشرطية ان جاز في كلام العرب فانه لم يرد في القران الكريم.

ومن النحاة والمفسرين من اجاز ان تكون (ما) استفهامية في قوله: (مَا جِئْتُم بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللّهَ سَيُبْطِلُهُ) [يونس: ٨١] وهو عندهم استفهام يراد به التوبيخ والتحقير او التقرير، وليس هو باستخبار حقيقي، لان موسى (عليه السلام) قد علم انه سحر وإنما وبخهم بما فعلوا ولم يستخبر عن شيء لم يعلمه[١] وتكون (ما) بهذا الوجه في موضع رفع مبتدأ و (جئتم به) خبره و (السحر) مرفوعة على انها خبر لمبتدأ محذوف تقديره: هو السحر، او مبتدأ والخبر محذوف، تقديره: السحر هو او تكون مرفوعة على البدلية من (ما) [٢].

وأجاز الفراء[٣] ان تكون (ما) شرطية و (جئتم به) في موضع جزم وفاء جواب الشرط محذوفة، بتقدير: ما جئتم به السحر فان الله سيبطله على ان حذف فاء الشرطية لا يجيزه الكثير من النحاة الا في ضرورة الشعر ومنهم من اجازه[٤].

([١]) معاني القران واعرابه ٣٠/٢ والتبيان في تفسير القران تفسير الطوسي ٤١٧/٤، ومجمع البيان في تفسير القران للطبرسي ١٢٦/٥٠.

([٢]) اعراب القران للنحاس ٧٠/٢، ومشكل اعراب القران ٣٥١/١-٣٥٢ والامالي الشجرية ٢٣٤/٢-٢٣٥، ومغني اللبيب ٢٩٨/١.

([٣]) معاني القران ٤٧٥/١.

([٤]) مشكل اعراب القران ٣٥١/١.

والوجه ان (ما) موصولة بتقدير: الذي جئتم به السحر يعضد ذلك قراءة عبد الله بن مسعود: ما جئتم به سحر وقراءة ابي بن كعب ما اتيتم به سحر[1]. وكلتاهما قراءة تفسيرية.

وقرا ابو عمرو ومجاهد واصحابه (السحر) بالمد أي: على الاستفهام فعلى هذه القراءة تكون (ما) استفهامية ولا يجوز ان تكون بمنزلة (الذي) إذ لا خبر لها[2].

وأجاز الفراء[3]والزمخشري[4] أن تكون (ما) موصولة في قوله تعالى: **(وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلا اللَّهَ)** [الكهف: ١٦] بتقدير: واذ اعتزلتموهم واعتزلتم معبوديهم من الالهة إلا الله او ان تكون نافية وهو كلام معترض إخبار من الله تعالى عن الفتية المؤمنة انهم لم يعبدوا الا الله بتقدير: وإذ اعتزلتموهم غير عابدين الا الله فيكون هناك التفات من الخطاب الى الغيبة واقتصر الزجاج[5] على ذكر الوجه الاول ، واجاز الانباري[6] والعكبري[7] وجهاً ثالثاً، وهو أن تكون مصدرية بتقدير: واذا اعتزلتموهم وعبادتهم الا الله او بتقدير: واذ اعتزلتموهم وعبادتهم الا عبادة

---

(١) معاني القران للفراء ٤٧٥/١، ومجاز القران لابي عبيدة ٢٨٠/١، وجامع البيان ١٦٢/١٥، والمحلى لابن شقير ص ٢٨٩، والازهية للهروي ص٧٣، والكشف عن وجوه القراءات لمكي القيسي ٥٢٢/١، والكشاف ٣٦٢/٢-٣٦٣.

(٢) معاني القران للاخفش ٣٤٧/٢، والقراءات السبع لابن مجاهد ص ٣٢٨ والبيان في غريب اعراب القران ٤١٨/١-٤١٩.

(٣) معاني القران ٢/ ١٣٦.

(٤) الكشاف ٢/ ٧٠٧.

(٥) معاني القرآن واعرابه ٢٧٣/٣.

(٦) البيان في غريب إعراب القرآن ١٠٢/٢.

(٧) والتبيان في إعراب القرآن ٢/ ٨٤٠.

الله والوجه أن تكون (ما) موصولة، لان المراد اعتزال الالهة من المعبودين بدلالة استثناء إلله منهم فيكون الاستثناء متصلاً.

وتحتمل (ما) في قوله تعالى: **(وَلَوْلا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاء اللَّهُ)** [الكهف: ٣٩] أن تكون موصولة في موضع رفع خبراً لمبتدأ محذوف بتقدير: هو ما شاء الله أو: الامر ما شاء الله او مبتدأ والخبر محذوف بتقدير: الذي شاءه الله كائن، او ان تكون شرطية بتقدير: ما شاء الله كان وجاز حذف الجواب لكونه معروفاً[1] .

وجاز ان تكون (ما) مصدرية في قوله تعالى: **(إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ)** [طه: ٧٣] بتقدير: ليغفر لنا خطايانا واكراهك ايانا على السحر وقيل انها نافية بتقدير: ليغفر لنا خطايانا من السحر ولم تكرهنا عليه[2]، ولا يخفى تكلف هذا الوجه.

والصحيح انها موصولة والمعنى: ليغفر لنا خطايانا وخطيئة السحر الذي اكرهتنا على تعلمه لإضلال الناس[3].

وقرئ قوله تعالى: **(لِيَأْكُلُوا مِن ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ)** [يس: ٣٥] وما عملت ايديهم، فعلى القراءة الأولى اجاز الفراء ان تكون (ما) موصولة بتقدير: والذي عملته ايديهم ، واجاز ان تكون نافية بتقدير: ولم تعمله ايديهم، وكذلك اجاز الوجهين في القراءة الثانية ثم رجح الموصولية ؛ لأنه

---

(1) معاني القرآن للفراء٢/ ١٤٥، وجامع البيان ١٥/ ٢٤٨. ومعاني القران وإعرابه ٢٨٨/٣. وإعراب القرآن للنحاس ١/ ٢٧٦. ومشكل إعراب القرآن ١/ ٤٤١. والكشاف ٢/ ٧٢٣. والبيان في غريب إعراب القرآن ٢/ ١٠٨.

(2) معا ني القران للفراء ٢/ ١٨٧ معاني القران واعرابه ٣/ ٣٦٩.

(3) اعراب القران للنحاس ٢/٣٥٠-٣٥١، ومشكل إعراب القران ٢/٤٧٠، والتبيان في اعراب القران ٢/٨٩٨.

عند جعلها نافية تحتاج الى تقدير مفعول محذوف لـ(عملت) في حين ان حذف العائد من الصلة مستساغ[1].

واشار الى جواز هذين الوجهين الطبري[2] والزجاج[3] والنحاس[4] ومكي القيسي[5] والزمخشري[6] وفسر الاخير معنى الموصولية بقوله: ((من الغرس والسقي والإبار[7] وغير ذلك من الاعمال، يعني ان الثمر نفسه فعل الله وخلقه وفيه اثار من كد بني ادم ، وهذا هو الوجه والمعنى المراد من الاية فنحن مما خلق الله من الزرع والاثمار نصنع بايدينا ما لذ وطاب من الاشربة والاطعمة.

والوجه في (ما) ان تكون موصولة اذا دخلت على اداة من ادوات النفي ، كدخولها على (لا) في قوله تعالى: **(قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ)** [البقرة: ٣٠] و (ليس) في قوله تعالى: **(وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ)** [الاسراء : ٣٦] و(ان) في قوله تعالى: **(وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِن مَّكَّنَّاكُمْ فِيهِ)** [الاحقاف: ٢٦] و(ان) هنا نافية والمعنى : ان الله اعطى القوم من قبلكم ما لم يعطكم ، هذا ما قال به الفراء[8] والطبري[9] والاخفش[10] وغيرهم[1].

---

(1) معاني القران ٣٧٧/٢، وما عملت ايديهم: قراءة حمزة والكسائي وعاصم معجم القراءات ٢٠٧/٥.

(2) جامع البيان ٢٣/ ٤.

(3) معاني القران وإعرابه ٢٨٦/٤.

(4) اعراب القران ٧٢٠/٢.

(5) مشكل اعراب القران ٢/ ٦٠٣.

(6) الكشاف ١٥/٤ وتفسير القران العظيم لابن كثير ٥٧١/٣.

(7) ابر النخل ابراً واباراً وابارة: اصلحه ولقحه. المعجم الوسيط ٢/١ .

(8) معاني القران ٣/ ٥٦.

(9) جامع البيان٢٦/ ٢٨.

(10) معاني القران ١/ ١١٢.

وذكر الزجاج أن(إن) في النفي مع (ما) التي في معنى (الذي) احسن في اللفظ من (ما) الا ترى انك لو قلت: رغبت فيما ما رغبت فيه لكان الأحسن ان تقول : رغبت فيما ان رغبت فيه ، لاختلاف اللفظين[٢]، ومثل هذا قال الزمخشري: انه استعمل (ان) دون (ما) مخالفة ما قبلها في التكرير المستبشع وقال ((ولقد اغث ابو الطيب بقوله :

لعمرك ما ما بان منك لضارب

وما ضر لو اقتدى بعذوبة التنزيل فقال :

لعمرك ما ان بان منك لضارب))[٣]

فقد جعل الزمخشري (ما) الأولى موصولة والثانية نافية في بيت المتنبيء على حين انهما على العكس من ذلك. وهذا البيت في ديوانه

يرى أنَّ ما ما بان منك لضارب   بأقتلَ ممَّا بان منك لعائب

وذُكر في شرحه ان اسم (ان) ضمير الشأن محذوف وان (ما) الأولى نافية والثانية بمعنى (الذي) والتقدير : يرى انه ليس الذي ظهر منك للضارب يعني السيف او السنان ، باقتل ، أي: بأسرع من الذي ظهر منك للعائب ، يعني اللسان بل هما سواء في الحدة ، أي: لايرى القتل اشد من العيب[٤] .

وقيل : ان(ان) في الآية زائدة وأشار العكبري الى هذا الوجه بالتضعيف[٥] وقال به الرضي[١] والصحيح الوجه الاول وقد دلت عليه غير

---

(١) تفسير القران لابن كثير ٤/٦٢.

(٢) معاني القران واعربه ٤/ ٤٤٦ والبرهان في علوم القران ٣/ ٧٦ ومشكل اعراب القران ٢/ ٦٦٨.

(٣) الكشاف ٤/ ٣٠٨-٣٠٩.

(٤) ديوان المتنبيء، شرح الواحدي ص٣٣٣، وشرح البرقوقي ١/ ٢٨٥.

(٥) التبيان في اعراب القرآن ٢/ ١١٥٨.

آية كقوله تعالى: (وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَاثًا وَرِئْيًا) [مريم: ٧٤] وقوله تعالى: (أَلَمْ يَرَوْاْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ) [الانعام: ٦] (وهو ابلغ فى التوبيخ وادخل في الحث على الاعتبار [٢]).

وأجازوا ان تكون استفهامية اذا وقعت بعد (علم) و(درى) و (نظر) كقوله تعالى: (وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ) [البقرة: ٣٣] وقوله تعالى: (وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلا بِكُمْ) [الاحقاف: ٩] وقوله تعالى: (وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ) [الحشر: ١٨] [٣].

واجازوا كذلك لها هذا المعنى بعد أفعال أخرى كقوله تعالى: (قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ) [الانعام: ١٥١][٤]، والوجه انها موصولة في هذه المواضع كلها.

وكثيرا ما تحتمل (ما) الموصولة معنى المصدرية ويلزم ان تعرب موصولة اذا كانت صلتها جملة فعلية فيها ضمير يعود على (ما) ؛ لان المصدرية لا يصح ان يعود عليها الضمير ، ويكون فاعلا مستتراً كما في قوله تعالى: (وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ) [الانعام: ١٣]، ويكون ظاهرا كقوله تعالى: (وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ) [البقرة: ٢٧].

وتلزم الموصولية كذلك إذا كانت صلتها شبه جملة ظرفا، كقوله تعالى: (وَيَكْفُرونَ بِمَا وَرَاءهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقاً لِّمَا مَعَهُمْ) [البقرة: ٩١] أو

---

(١) شرح الرضي ٤/٤٣٤.

(٢) الكشاف ٤/ ٣٠٨-٣٠٩.

(٣) البرهان في علوم القرآن ٤/ ٤٠١ والاتقان في علوم القرآن للسيوطي ٢/٢٩٠ ومعترك الاقران في اعجاز القرآن للسيوطي ٢/٥٥٣.

(٤) معاني القرآن واعرابه ٢/ ٣٠٣ والكشاف ٢/ ٧٨ والامالي الشجرية ١/٤٧ والبيان في غريب اعراب القران ١/ ٣٤٩، ومغني اللبيب ١/٢٥٠.

جارا و مجرورا، كقوله تعالى: **(وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ)** [آل عمران: ١٥٤] ذلك إن شبه الجملة متعلقة بعامل يقدره النحاة بـــ(استقر) وفي هذا الفعل ضمير مستتر يعود على (ما).

وكذلك إذا كانت صلتها جملة اسمية، كقوله تعالى: **(فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ)** [طه: ٧٢]، لان المصدرية لا تدخل على الجملة الاسمية عند جمهور النحاة[١].

ومن ذلك دخولها على (ان) ومعموليها في قوله تعالى: **(وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ)** [القصص: ٧٦].

وتلزم كذلك الموصولية عند فساد المعنى بالمصدرية، كقوله تعالى: **(يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ)** [النور: ٤٥]، فان (ما) هنا موصولة، ولا يصح أن تكون مصدرية، لأنه لا يصح ان يكون التقدير: يخلق الله مشيئته.

وإذا كانت صلة (ما) جملة فعلية ، فيها ضمير محذوف ، يصح عوده عليها ، جاز ان تكون موصولة عند تقدير هذا العائد ، وجاز ان تكون مصدرية عند عدم تقديره، وكثر احتمال (ما) لهذين الوجهين في القران الكريم ، اذ كثيرا ما يحذف الضمير العائد عليها ، كما في قوله تعالى: **(وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ)** [آل عمران: ٤٩]، فجاز ان تكون (ما) موصولة، بتقدير: وأنبئكم بالذي تأكلونه وتدخرونه ، او مصدرية بتقدير: وأنبئكم بأكلكم وادخاركم[٢]، ونظيره قوله، تعالى: **(فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ)**

---

(١) ارتشاف الضرب من لسان العرب ٤٣٨/٢.

(٢) معاني القران واعرابه للزجاج ٤١٤/١.

[الحجر: ٩٤] فـــ (ما) موصولة عند تقدير (به)، أي: فاصدع بالذي تؤمر به، ومصدرية عند عدم تقديره، والمعنى: فأصدع بالأمر[1].

وإذا جاز الوجهان، فلا بد من ان يكون المراد احدهما ، ويترجح من خلال السياق، كما في قوله تعالى: **(وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ)** [الصافات: ٩٦]، فمن النحاة من حمل (ما) على المصدرية، ورد بشدة على من قال بانها موصولة، فقد نسب مكي القيسي الى المعتزلة انهم لم يعربوا (ما) مصدرية لان الآية بهذا الإعراب تفيد خلق الله للأعمال شرها وخيرها وهو خلاف ما يعتقدون به بان الله خلق الخير ولم يخلق الشر لذلك جعلوها بمنزلة (((الذي) فرارا من ان يقروا بعموم الخلق لله)) ونسب الى شيخهم عمرو بن عبيد ابي عثمان البصري (ت١٤٤هـــ) انه قرا قوله تعالى: **(مِن شَرٍّ مَا خَلَقَ)** [الفلق: ٢] بالتنوين وهي قراءة شاذة لجعل الاية بمعنى: من شر لم يخلقه الله[2].

واذا كان اعراب (ما) هنا مصدرية يثبت خلق الله للاعمال جميعها فإعرابها موصولة لا ينفي ذلك ، بل هذا هو الوجه الذي يقتضيه المعنى والسياق، ذلك لتكون على نسق ما قبلها ، وهو قوله تعالى: **(قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ)** [الصافات: ٩٥] الذي فيه (ما) موصولة بلا خلاف والمعنى : أتعبدون الأصنام التي تنحتونها؟ ولكون الآية في سياق توبيخ الله للمشركين ، في انه كيف يصح ان يعبدوا الأصنام التي صنعوها بأيديهم ، ولا يصح ان تكون مصدرية لانه لا يصح ان يوبخهم الله على عبادتهم للأصنام ، ثم يبين لهم انه قد خلق عبادتهم هذه فالآية بهذا المعنى تكون حجة لهم لا

---

(1) معاني القران للاخفش ٢/٩٣-٩٤ والبغداديات ص٢٨١-٢٨٣، والكشاف ٢/٥٩٠-٥٩١ والامالي الشجرية ٢/٢٣٩ والبيان في غريب اعراب القران ١/٩٢، ٢/٧٢-٧٣.

(2) مشكل اعراب القران ٢/٦١٥-٦١٦.

عليهم ، والمراد من خلق الأصنام خلق جواهرها لا اشكالها، فخالق جوهرها هو الله وصانعو اشكالها هم الذين يشكلونها بنحتهم وعمل ايديهم فالوجه ان تكون الاية بمعنى: والله خلقكم وخلق ما تعملونه من الاصنام، وليست بمعنى: والله خلقكم وخلق عملكم(1).

ومما يرجح موصولية (ما) التي حذف فيها الضمير العائد عليها، عود هذا الضمير على نظيرها ، كما في قوله تعالى: (**يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ**) [المؤمنون: ٣٣].

فقد ذهب الفراء الى ان (ما) الثانية في هذه الآية موصولة ، والعائد محذوف، والتقدير: ويشرب مما تشربون منه(2) ورد النحاس عليه ، بانه لا يجوز حذف (منه) وان (ما) مصدرية ، لا تحتاج الى عائد(3) والوجه انها موصولة فهو ادل على نسق النظم.

وفيما يتعلق بالضمير العائد على (ما) فان النحاة قد وضعوا شروطا لحذفه ، الا انه يمكن جمعها بمسوغ عام ، وهو انه يجوز حذف الضمير، اذا دل عليه دليل، ولم يلتبس حذفه بغيره(4).

والغرض من حذف الضمير إعمام معناه، كقوله تعالى: (**وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ**) [فصلت: ٣١]، ولا يذكر الا عند تخصيص معناه، لوجه بلاغي ، فالمؤمن يجد في الجنة ، جعلنا الله من اهلها ، كل ما تشتهي نفسه ، وما لم يعهده من قبل ، الا أن نفس الإنسان تشتهي احيانا شيئا بعينه ، بأوصاف معينة ، فإذا طلب أهل الجنة مثل هذا

---

(1) الكشاف ٤/٥١-٥٢ وودائع الفوائد ١/١٤٨-١٤٩.

(2) معاني القران ٢/٢٣٤ وينظر جامع البيان ١٨/١٩ والكشاف ٣/١٨٦.

(3) اعراب القران ٢/٤١٧، ومشكل اعراب القران ٢/٥٠٠.

(4) الامالي الشجرية ١/٧٥، ٢/٢٣٥ وشرح المفصل لابن يعيش ٢/١٥٢ وتسهيل الفوائد ص ٣٥، وشرح الرضي ٣/٤٠ ومغني اللبيب ٢/٥٦٦.

الشيء كائنا ما كان ، فان الله ، سبحانه ، يعطيهم إياه بلا زيادة او نقصان ، فالصورة الذهنية التي تستحضرها النفس، يجعلها الله ماثلة في الواقع، وهذا ما عناه ذكر الضمير العائد في قوله تعالى: **(وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الأَنفُسُ وَتَلَذُّ الأَعْيُنُ)** [الزخرف: ٧١].

الا ان الله، سبحانه ، اعد لاهل الجنة اسمى مما يتمنونه مما لم تستطع أنفسهم إدراك أوصافه ، لذلك كثر حذف الضمير ولم يذكر في مادة الاشتهاء والادعاء الا في هذه الآية، وذكره هنا يرجح موصولية (ما) في الآية التي سبقتها.

الفصل الثاني

(ما) النكرة المجردة

المقصود بالنكرة المجردة ، المجردة من معنى الحرف وتشمل: النكرة الناقصة الموصوفة ، والنكرة التامة (التعجبية).

المبحث الأول

النكرة الناقصة الموصوفة

(١)

أمثلة النكرة الموصوفة في القران الكريم

فرق النحاة بين (ما) الموصولة و (ما) الموصوفة من حيث التسمية والموقع الإعرابي فسميت الجملة بعد الأولى صلة لا محل لها من الإعراب، وسميت بعد الثانية صفة، ولها محل من الإعراب[١].

وقد تبين في الفصل الاول أن (ما) تستعمل في الكلام وصلة لوصف ما هو مبهم عام بالجملة فلأن موصوفها الواجب حذفه غير محدد. جاز في الذهن تقديره بالنكرة او بالمعرفة فاذا قدر بالاول صارت (ما) نكرة موصوفة ، واذا قدر بالثاني صارت موصولة. ، فهما (ما) واحدة لذلك كثر احتمالها لهذين الوجهين في كتب الاعراب، ففي قولنا : يعجبني ما صنعته ، يحتمل ان تكون الجملة بتقدير: يعجبني الشيء الذي صنعته، فتكون (ما) اداة وصل لوصف المعرفة: (الشيء) المقدر بجملة (صنعته) ويصح ان تكون (ما) اداة وصل لوصف نكرة مقدرة بشيء بجملة (صنعته)، أي: تقوم بالغرض نفسه إلا ان هذا الموصوف لا يصح تقديره مع الذي؛ لانه

---

(١) البغداديات ص٢٦١ وشرح المفصل لابن يعيش ٣٠٢/٤ وشرح الرضي على الكافية ٨/٣.

نكرة ، ولا مع (ما) لانه لا يصح إظهار موصوفها ، لذلك جعلت (ما) بتقديره ومعناه فبدلا من أن تجعل هي وصلتها صفة للنكرة ، جعلت هي النكرة نفسها وصلتها صفتها. فصارت موصوفة ، والمعروف عند النحاة ان (ما) وصلتها يعدان كالاسم الواحد ، لا يجوز الفصل بينهما ؛ لذلك أنكر بعضهم أن تقع (ما) نكرة موصوفة بصلتها[1].

ويجمع النحاة والمفسرون على جواز مجيء (ما) نكرة موصوفة بمنزلة (شيء) من ذلك ما ذهبوا اليه في اعراب (ما) المتصلة بنعم وبئس التي صلتها جملة فعلية فقد نسب الى الكسائي انه جعل نحو: بئس ما صنعت، بتقدير: بئسما ما صنعت، فاضمر (ما) لجعل هذا المثال ونحوه بمنزلة بئس الرجل عبد الله وذهب الفراء إلى ان (نعما) و (بئسما) كلمة واحدة بمنزلة (كلما) و (حبذا) وقيلت أوجه أخرى[2].

الا ان الشائع بين النحاة جعل (ما) نكرة موصوفة منصوبة على التمييز بتقدير: بئس شيئا ، ونعم شيئا ومنهم من أجاز ان تكون معرفة بمنزلة (الشيء) [3].

ولا يجيز اكثر النحاة ان يكون فاعل (نعم) و (بئس) (الذي) او (ما) الموصولتين لان كلتيهما عندهم معرفة تقع على شيء بعينه وسبب ذلك

---

(1) الامالي النحوية لابن الحاجب ص ٣١٨ وهمع الهوامع ٣١٦/١.

(2) معاني القران للفراء ٥٦/١-٥٨ وإعراب القران للنحاس ١٩٧/١-١٩٨ ومشكل اعراب القران ١٠٤/١، والحلل في اصلاح الخلل ص٣٥١.

(3) الكتاب ١٥٥/٣-١٥٦ ومعاني القران للاخفش ٣٧/١-٣٨، ١٣٩ ومعاني القران وإعرابه ١٧٢/١ والبغداديات ص٢٥٢-٢٥٣ ومشكل اعراب القران ١٤١/١، ٢٣٥ والكشاف ٥٢٣/١، ولباب الاعراب للاسفراييني ص٩٦، والبرهان في علوم القران ٤٠٨/٤.

كما يذكر ابن عصفور ((انهم عزموا على ان لا يكون فاعلهما الا الجنس او ما يفهم منه الجنس)) [1].

واشار ابن الاثير الحلبي (ت ٧٣٧هـ) إلى ان ((المعرفة ما دلت على شيء بعينه ، والنكرة ما دلت على واحد لا بعينه)) [2] و (ما) لا يصح ان تكون معرفة بمنزلة (الشيء) لا المعرفة العهدية ولا الجنسية ، لانها لا تدل على فرد بعينه ولا على جنس بعينه ولا يصح أيضا ان تكون نكرة بمنزلة (شيء) لان نكرة (شيء) تدل على الآحاد والإفراد ونكرة (ما) تدل على الجميع والعموم ، فمن غير المناسب لدلالة (ما) ان تكون بمنزلة احد هذين الوجهين ، والوجه ان تكون موصولة فهي أصلح من الجنس لان تقع فاعل (نعم) و (بئس)، لأنها اعم كما تبين هذا في الفصل الأول وقد اجاز نحاة ان تكون (ما) فاعل (بئس) بعد أن جعلوها بمنزلة (الذي) الجنسية في قوله تعالى: (**بِئْسَمَا اشْتَرَوْاْ بِهِ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُواْ بِمَا أنَزَلَ اللّهُ**) [البقرة: ٩٠] وقوله تعالى: (**لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ اللّهُ عَلَيْهِمْ**) [المائدة: ٨٠] وفاعل (نعم) في قوله تعالى: (**إِنَّ اللّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ**) [النساء: ٥٨] والمخصوص بالذم في سورة البقرة (**أَن يَكْفُرُواْ**) وفي سورة المائدة (**أَن سَخِطَ اللّهُ عَلَيْهِمْ**) اما المخصوص بالمدح في سورة النساء فمحذوف للعلم به وتقديره: اداء الامانة والحكم بالعدل[3] وتتعين الموصولية في هذه الايات لعود الضمير في صلتها عليها ونظير ذلك قوله تعالى: (**قُلْ**

---

(1) الحلل ص٣٥٢، والبيان في غريب القران ١/١٧٧-١٧٨ وشرح جمل الزجاجي ١/٦٠٠.

(2) جوهر الكنز ص٢٨٨.

(3) الكشف في نكت المعاني والإعراب ١/٥٧، والإيضاح في شرح المفصل لابن الحاجب ٢/١٠١، والبيان في غريب اعراب القران ١/٩١، ٣٠٢، والجنى الداني ص٣٣٦-٣٣٧.

بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ) [البقرة: ٩٣] وجاز عند حذف العائد اعرابها مصدرية ويقدر المخصوص عند عدم ذكره بما يدل عليه السياق فقوله تعالى: (وَتَرَى كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ) [المائدة: ٦٢] تقديره : لبئس العمل الذي كانوا يعملون، اذا جعلنا (ما) مصدرية، وبتقدير: لبئس الشيء الذي كانوا يعملونه ، اذا جعلنا (ما) موصولة والمخصوص بالذم في الوجهين محذوف يدل عليه ما قبله ، تقديره: اسراعهم في الاثم والعدوان وأكلهم السحت ، والمخصوص بالذم في قوله تعالى: (قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِن بَعْدِيَ) [الإعراب: ١٥٠] محذوف أيضا تقديره: اتخاذكم العجل، دل عليه المعنى الذي تضمنه قبل ذلك قوله تعالى: (وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِن بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلاً جَسَدًا لَّهُ خُوَارٌ) [الأعراف: ١٤٨].

وقد قالوا بالنكرة الموصوفة في مواضع أخرى كثيرة في القران الكريم كقوله، تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَقْرَبُواْ الصَّلاَةَ وَأَنتُمْ سُكَارَى حَتَّىَ تَعْلَمُواْ مَا تَقُولُونَ)، [النساء: ٤٣] والتقدير عندهم: حتى تعلموا شيئا تقولونه والآية لا يصح فيها هذا التقدير ؛ لانه ليس المراد ان يكونوا عالمين بآية مما يتلونه ، بل المراد ان يكونوا عالمين بكل آية يتلونها في أثناء الصلاة. ، ونظيره قوله تعالى: (وَاللّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ) [النساء: ٨١]. والتقدير: والله يكتب شيئا يبيتونه(١). ولا يصح أيضا ان تكون الاية بهذا المعنى ؛ لان المراد ان الله يكتب كل شيء يبيتونه، او الاشياء جميعها التي يبيتونها، لا شيئا واحدا منها ، ومثله قوله تعالى: (ولهم ما يدعون) [يس: ٥٧] والتقدير: ولهم شيء يدعونه(٢). وهذا المعنى غير مناسب

---

(١) التبيان في اعراب القران ١/٣٦١، ٣٧٥.

(٢) مشكل إعراب القران ٢/٦٠٧ والتبيان في إعراب القران ٢/١٠٨٥.

لإكرام الله لعباده وهم عنده في جنته، فالمراد من الآية ، كما هو ظاهر: ان أهل الجنة لهم كل شيء، او أي شيء كان يطلبونه ، أي: الأشياء جميعها ، وليس شيء واحد منها ، ومن النحاة والمفسرين من أشار إلى هذه المسالة ، فمنع ان تكون (ما) نكرة بمنزلة (شيء) ؛ لأنها ضد معنى العموم ، ورأى ان تكون بمنزلة (الذي) الجنسية. ففي قوله تعالى: **(وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ)** [البقرة: ٣] قال ابو حيان: ((وابعد من جعل (ما) نكرة موصوفة وقدر : ومن شيء رزقناهموه ، لضعف المعنى بعد عموم المرزوق الذي ينفق منه فلا يكون فيه ذلك التمدح الذي يحصل بجعل (ما) موصولة لعمومها)) [1]

وفي قوله تعالى: **(والَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ)** [البقرة: ٤]. قال العكبري: (((ما) هنا بمعنى (الذي) ولا يجوز ان تكون نكرة موصوفة ، أي شي انزل إليك، لأنه لا عموم فيه على هذا ، ولا يكمل الإيمان إلا ان يكون بجميع ما انزل على النبي، صلى الله عليه وسلم، و (ما) للعموم وبذلك يتحقق الإيمان)) [2]،وأجاز أن تكون (ما) نكرة موصوفة في قوله تعالى: **(وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ)** [البقرة: ٢٧] [3]:فرد عليه أبو حيان.بان ((المراد بذلك المعنى المطلق، وبه يقع الذم البليغ ، وان هذا الذم لا يتحقق بجعل (ما) نكرة موصوفة بمنزلة (شيء).)) [4]

والصحيح أنها لا ترد بهذا المعنى في كل موضع وإنما يراد منها دائما اعمام صلتها بالحكم ، وان بدت خلاف ذلك. كما في قوله تعالى: **(هَذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ)** [ق: ٢٣]، فقد جعلت (ما) في هذه الآية نكرة بمنزلة

---

(١) البحر المحيط ٤١/١.

(٢) التبيان في إعراب القران ١٩/١.

(٣) المصدر نفسه ٤٤/١.

(٤) البحر المحيط ١٢٨/١ وينظر دراسات لأسلوب القران الأول ١٧/٣.

(شيء)[1]، والحق انها بمنزلة النكرة العامة، والمعنى: إني أحضرت كل ما وكلت بإحضاره. «وبهذا الوجه جاء تفسيرها (أي: معتد محضر بلا زيادة ولا نقصان)[2].(٢)

حذف (ما)

أ. حذف (ما) غير المعطوفة:

ذهب الفراء الى ان هناك (ما) محذوفة في قوله تعالى: **(لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ)** [الانعام: ٩٤] ويعضد ذلك عنده قراءة ابن مسعود التفسيرية، رضي الله عنه: (لقد تقطع ما بينكم) وفي قوله تعالى: **(قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ)** [الكهف: ٧٨] عند نصب (بينك). والتقدير: هذا فراق ما بيني وبينكم. وقوله، تعالى **(وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا)** [الدهر:٢٠]. والتقدير: واذا رايت ماثم رايت نعيما[3].

واشار ابن فارس (ت٣٩٥هــ)[4] والزركشي[5] الى هذا الحذف في هذه الايات.

---

(1) معاني القران للاخفش ٣٦/١.

(2) تفسير القران العظيم لابن كثير ٢٢٥/٤.

(3) معاني القران ٣٤٥/١، ١٥٦/٢، ٢١٨/٣.

(4) الصاحبي في فقه اللغة ص١٧٢.

(5) البرهان في علوم القران ٤٠٥/٤.

وردّ الاخفش[1] والزجاج[2] والنحاس[3] والزمخشري[4] وغيرهم[5] على الفراء بانه لا يصح اسقاط الموصول وترك صلته لانهما بمنزلة الاسم الواحد ونسبوا إليه انه جعل (رأيت) فعلا متعديا، وهو لازم هنا عند اكثر البصريين، فلا يحتاج الى تقدير (ما) موصولة لتكون مفعولا به وذكر مكي في (بينكم) من قوله تعالى: (لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ) وجهي النصب والرفع ، ثم قال: ((وقيل: ان من نصب (بينكم) جعله مرفوعا في المعنى بـ (تقطع)، لانه فاعل ، لكنه لما جرى في اكثر الكلام منصوبا ، تركه في حال الرفع على حاله)) الذي هو النصب. ونسب هذا القول إلى الاخفش، وقال: والمعنى بهذا الوجه يكون واحدا في القراءتين[6]؛ وبمثل هذا قال ابن السيد البطليوسي (ت٥٢١هـ) [7] والطبرسي (ت٥٤٨هـ) [8] وقال أبو حيان ((سوغ القائلون بهذا المذهب لزوم (بينكم) النصب؛ لانه جرى مجرى المثل الملازم لموضعه))(٩).

والبصريون يجيزون اضمار (ما) في (تقطع) و (رايت) لكن على أن تكون نكرة موصوفة بمنزلة (شيء) لا موصولة ، لأنهم يجيزون حذف الموصوف ، ولا يجيزون حذف الموصول الذي

---

(١) معاني القران ٢/٥٢١.

(٢) معاني القران وإعرابه ٢/٢٧٣، ٥/٢٦١.

(٣) إعراب القران ٣/٥٨٩.

(٤) الكشاف ٤/٦٧٣.

(٥) مشكل إعراب القران ٢/٧٨٥-٧٨٦، وتذكرة النحاة لأبي حيان ص٤٧٨.

(٦) مشكل إعراب القران ١/٢٦٢-٢٦٣.

(٧) الاقتضاب في شرح ادب الكتاب ١/٦٣.

(٨) مجمع البيان في تفسير القران ٤/٣٢٦.

(٩) تذكرة النحاة ص٣٨٦-٣٨٧.

أجازه الكوفيون(١). وهذا خلاف المقصود في الآيتين ، فالمراد من الآية الأولى أن تكون بمعنى : لقد تقطع كل شيء بينكم، وليس : لقد تقطع شيء بينكم . والمراد من الآية الثانية أن تكون بمعنى : وإذا رأيت أي شيء كان هناك رأيت نعيما. وليس : إذا رأيت شيئا هناك رأيت نعيما.

ويبدو انه يجوز في هاتين الآيتين إضمار (ما) وعدم إضمارها. فعند الإضمار يكون المراد معنى الفاعل في سورة الأنعام ، ومعنى المفعول في سورة الدهر وعند عدم الإضمار يكون المراد معنى الفعل في كلتيهما ؛ فيتحقق بذلك اعمام أوسع، وهذا ما ذهب إليه الطبري حين أنكر إضمار (ما) في قوله تعالى: (وإذا رأيت ثم)، رادا بذلك على الفراء ، فرأى أن مفعول (رأيت) لم يذكر، لأنه ((يريد رؤية لا تتعدى))[٢]. وكذلك رأى الزمخشري «التشيع بعدم ذكره الرؤية وتعم[٣]. فالفعل هنا ((ليس له مفعول ملفوظ ولا مقدر ولا منوي بل معناه : أن بصرك اينما وقع في الجنة رأيت نعيما وملكا كبيراً)) [٤] وان فاعل (تقطع) لم يذكر أيضا لهذا الغرض[٥].

وقيل في قوله تعالى (ووالد وما ولد) [البلد: ٣] ان المراد بالوالد الذي يولد له، وبقوله (وما ولد) العاقر الذي لا يولد، على جعل (ما) نافية ، فتحتاج إلى تقدير موصول ليصح المعنى، كأنه قال: والذي ما ولد[٦]. ولا يخلو هذا التقدير من تكلف.

---

(١) البيان في غريب اعراب القران ٣٣٢/١.

(٢) جامع البيان ٢٢١/٢٩.

(٣) الكشاف ٦٧٣/٤.

(٤) ارشاد العقل السليم ٧٤/٩.

(٥) الكشاف ٦٧٣/٤.

(٦) البحر المحيط ٤٧٥/٨.

والذين أشاروا إلى إضمار (ما) لم يستشهدوا بغير الآيات التي استشهد بها الفراء. ويبدو جواز هذا الاضمار في الآيات التي هي من قبيلها كقوله تعالى: **(فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ)** [البقرة: ١٠٢] والمعنى: يفرقون به ما بين المرء وزوجه من صلات الزوجية وقوله تعالى: **(رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ)** [الأعراف: ٨٩] والمعنى: ربنا افتح ما بيننا وبين قومنا وقوله تعالى: **(وَلاَ تَجْهَرْ بِصَلاَتِكَ وَلاَ تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً)** [الإسراء: ١١٠] أي: ما بين ذلك، والمعنى: وابتغ الشيء الذي بين الجهر والخفوت وقوله تعالى: **(حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ)** [الكهف: ٩٣]، أي: بلغ ما بين السدين وقوله تعالى: **(حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ)** [الكهف: ٩٦]. أي: ساوى الشيء الذي بينهما وقوله تعالى: **(إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ)** [الحجرات: ١٠]. والمعنى: أصلحوا ما بين أخويكم من علاقات الإخوة حين تتعرض للانفصام. ، وقوله تعالى: **(فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاء ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ)** [المعارج: ٣١] والمعنى: فمن ابتغى ما وراء ذلك من الانكحة المحرمة. فالأفعال في هذه الآيات متعدية ، تحتاج الى مفعول به ، وأريد به أن يكون معنى عاما ، فلم تصلح لتقديره إلا (ما)، فقد أضمرت لإرادة معنى المفعول ، وقد تحذف ، ويرجح ان لا تضمر مع جواز ذكرها أو إضمارها ، عندما يتطلب السياق اعماما أوسع، كما في قوله تعالى: **(سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ)** [الاسراء: ١]. فلم يقل: سبحانه: باركنا ما حوله، أو فيما حوله، فحذفت (ما) لارادة معنى الفعل. وهذا واضح من سياق الآية، فالمراد اعمام البركة والمبالغة فيها حول مسجد يعد مسرى النبي، محمد صلى الله عليه وسلم، وأولى القبلتين وثالث الحرمين.

وحذف (ما) مع نية اضمارها أريد به الإيجاز، وهو ابلغ من الذكر إذا كان الحذف لا يخل بالمعنى ؛ لان من التطويل ذكر ما يمكن الاستغناء عنه ، فذكر (ما) يكون عندئذ بالاهتمام بمعناها وتأكيده.

ب. حذف (ما) المعطوفة.

وردت (ما) معطوفة على (ما) قبلها ، وصلتها جملة فعلية ، كالذي في قوله تعالى: **(يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا)** [سبا:٢، الحديد:٤]، او جملة منفية بـــ(ليس) كالذي في قوله تعالى: **(وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَا لَيْسَ لَهُم بِهِ عِلْمٌ)** [الحج: ٧١]. او شبه جملة، ظرف: كالذي في قوله تعالى: **(يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ)** [الأنبياء: ٢٨، الحج: ٧٦]، أو جار ومجرور، كالذي في قوله تعالى: **(لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ)** [طه: ٦]. ولم ترد (ما) معطوفة محذوفة في القران الكريم الا حين تكون صلتها جارا ومجرورا، كالذي في قوله، تعالى **(لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ)** [لقمان ٢٦] وقوله تعالى: **(وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ)** [الأنعام: ٥٩]. فقد حذفت (ما) هنا ، وذكرت هناك. فما سر هذا وذاك؟.

ذكر الاسكافي في قوله تعالى: **(أَلا إِنَّ لِلّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَلاَ إِنَّ وَعْدَ اللّهِ حَقٌّ وَلَـكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ)** [يونس:٥٥]، ان (ما) لم تكرر مع أهل الأرض؛ لأنها لم تكن في موضع توكيد ، بخلاف موضعها في قوله تعالى: **(قَالُواْ اتَّخَذَ اللّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَات وَمَا فِي الأَرْضِ)** [يونس: ٦٨]. فقد كررت هنا للتوكيد ، كأنه قال: إذا كان له كل ما في السموات وكل ما في الأرض فلِمَ يتخذ الولد؟[1].

---

(1) درة التنزيل وغرة التأويل ١/٢١٤-٢١٥.

الا ان قوله تعالى: (قالوا اتخذ الله ولدا) ورد في موضع اخر، لم تذكر فيه (ما)، وهو قوله تعالى: **(وَقَالُواْ اتَّخَذَ اللّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَل لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ)** [البقرة: ١١٦].

وذكر الكرماني ان (ما) كررت في قوله تعالى: **(يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ)** [جمعة: ١، التغابن: ١] لاختلاف تسبيح اهل السماء عن أهل الأرض في الكثرة والقلة، والبعد والقرب من المعصية والطاعة[1].

ولو كان هذا هو السر لاقتضى ذكر (ما) في المواضع كلها الا انها حذفت في قوله تعالى: **(سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ)** [الحديد: ١]. وفي قوله تعالى: **(يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ)** [الحشر: ٢٤].

وذكر د. فاضل صالح السامرائي ان (ما) تكرر عندما يراد ذكر أهل الأرض بأمر من الأمور واحتج على ذلك بقوله تعالى: **(سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن دِيَارِهِمْ لأَوَّلِ الْحَشْرِ)** [الحشر: ١-٢] وبين انه لذلك حذفت في قوله تعالى: **(سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ)** [الحديد: ١]. وفي قوله تعالى: **(يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ]** [الحشر: ٢٤] لوقوعها في اخر السورة[2].

وهذه العلة غير مطردة في القران الكريم كما صرح بذلك الدكتور فاضل اذ جعلها خاصة في آيات التسبيح فلم تحذف مثلا في قوله تعالى: **(صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ أَلا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ**

---

(١) أسرار التكرار في القران ص٢٠٤-٢٠٥.

(٢) التعبير القرآني ٨٧-٩١ ومعاني النحو ١٥٥-١٥٨.

الأمُورُ) مع انها وقعت في آخر سورة الشورى [٥٣] كما ان ذكر أهل الأرض قد ورد أيضا بعد (ما) المحذوفة كالذي في قوله تعالى: **(وَإِن تَكْفُرُواْ فَإِنَّ لِلّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَكَانَ اللّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا *يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ وَلاَ تَقُولُواْ عَلَى اللّهِ إِلاَّ الْحَقِّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَآمِنُواْ بِاللّهِ وَرُسُلِهِ وَلاَ تَقُولُواْ ثَلاَثَةٌ انتَهُواْ خَيْرًا لَّكُمْ)** [النساء: ١٦٩-١٧٠] ونظير ذلك قوله تعالى: **(وَلَهُ مَا فِي الْسَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا أَفَغَيْرَ اللّهِ تَتَّقُونَ {٥٢} وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ)** [النحل: ٥٢-٥٣] وذكر انها تكرر أيضا اذا كان الموطن دالا على التفصيل والإحاطة، كالذي في قوله تعالى: **(أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَى ثَلاثَةٍ إِلا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلا خَمْسَةٍ إِلا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلا أَدْنَى مِن ذَلِكَ وَلا أَكْثَرَ إِلا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ)** [المجادلة: ٧].

فذكرت (ما) لان الآية في سياق إحاطة علم الله بكل شيء، في السموات وفي الأرض ومثله قوله تعالى: **(لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ * يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاء وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ)** [سبأ: ١-٢]. فذكرت (ما) في هذه الآيات؛ لان الموطن موطن إحاطة وشمول[1]، وهذا هو السر في ذكر (ما) فيما يبدو.

ومن الشواهد الاخرى في هذا الباب ، قوله تعالى: **(لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ * وَلِلّهِ مَا فِي**

([1]) المصدران السابقان والصفحات نفسها.

السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاء وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاء وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) [آل عمران: ١٢٨-١٢٩]، وقوله تعالى **(وَلِلّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَانَ اللّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا)** [النساء: ١٢٦] وقوله تعالى: **(قُلْ أَتُعَلِّمُونَ اللَّهَ بِدِينِكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ)** [الحجرات ١٦] فقوله تعالى في سورة آل عمران: **(لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ)** تأكيد أن أمر كل شيء بيد الله ، وقوله تعالى في سورة النساء **(وَكَانَ اللّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا)** وقوله تعالى في سورة الحجرات: **(قُلْ أَتُعَلِّمُونَ اللَّهَ بِدِينِكُمْ)** وقوله: **(والله بكل شيء عليم)** ألفاظ واضحة الدلالة على ان المراد معنى الإحاطة والشمول؛ لذلك اقتضت ذكر (ما).

ومن ذلك قوله تعالى: **(يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ)** [الجمعة: ١] فقد قصد في هذه الآية شمول الخلائق كلها بتسبيح الله، يدل على ذلك وصفه سبحانه نفسه بانه الملك القدوس. وتقديس الله يكون بكثرة المسبحين له. ونظيره قوله تعالى: **(يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)** [التغابن: ١] فقوله (له الملك وله الحمد) مناسب لذكر (ما) ولو قال: له الملك والحمد لناسبها حذفها؛ لان تكرار (له) يدل على ان المراد الاحاطة والتفصيل.

وقد مر ما قاله الاسكافي والكرماني والدكتور السامرائي في (ما) الثانية وتعبيرهم عن ذكرها بتكرارها. ولا يصح إدخالها في هذا الباب؛ لانها غير (ما) الاولى؛ اذ الحديث عن اسرار تكرار الموصول يكون مثلا في قوله تعالى: **(سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى * الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى * وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى * وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى * فَجَعَلَهُ غُثَاء أَحْوَى)** [الاعلى:١-٥] فتعدد الموصول المعطوف في هذه الايات يفيد تعدد الموصوف مع ان

الموصوف واحد وهو الله عز وجل. فذكر الموصول المعطوف الثاني والثالث يعد تكرارا ينبغي معرفة سره؛ لان الاصل حذفه[1]،وتكراره خلاف الأصل، بخلاف ذكر (ما) مثلا في قوله تعالى: **(لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ)** [طه:٦]، فهنا ينبغي معرفة سر حذفها اذا حذفت؛ لان الأصل ذكرها وحذفها خلاف الأصل ؛ لذلك يحسن في هذه الآية ونحوها اطلاق لفظه (الذكر) بدلاً من لفظة (التكرار) لئلا يظن انها كذلك ، فتفسر بما تفسر به الألفاظ التي تكرر في اللغة، وهذا ما حصل في ما يبدو مما تقدم ذكره.

فقد ذهب الكرماني مثلا كما مر- سالفا- الى ان (ما) الثانية كررت للتوكيد في حين ان ذكرها لم يكن تكرارا لتكون توكيدا فالاية بذكر(ما) تعني شيئين: وصف الاول باستقراره في السماء ووصف الثاني باستقراره في الأرض، وبحذفها وعدم اضمارها تعني شيئاً واحداً وصف بالصفتين المذكورتين. وهو معنى لا يصح ؛ لاستحالة ان يستقر شي في مكانين في وقت واحد. فاذا قلنا مثلاً: زرت اخي الذي في بغداد والبصرة؛ امتنع عدم اضمار (الذي) الثانية ؛ لامتناع ان يكون المقصود اخا واحدا يسكن المدينتين ووجب ان يكون المقصود اخوين، يسكن احدهما بغداد ويسكن الاخر البصرة فوجب اضمار (الذي) ليصح المعنى وليكون التقدير:زرت اخي الذي في بغداد والذي في البصرة. وكذلك الحال في قوله تعالى: **(سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ)**[الحديد:١] فانه لا يجوز عطف الارض على السماوات وجعلهما معا من صلة (ما) المذكورة ؛ لان الشي اما ان يكون في السماء ، واما ان يكون في الأرض؛ فاقتضت هذه

---

(١) فالاصل توحيد الموصوف ويكون: ذلك اما بحذف (الذي) الثانية والثالثة وعطف صلة كل منهما على صلة (الذي) الاولى او ذكرهما من غير عاطف لتكون كل منهما بدلا.

الحال اضمار (ما) ليكون معنى الآية سبح لله الأشياء التي في السماوات والأشياء التي في الأرض ولذلك ذكر مكي ان هناك (ما) محذوفة والتقدير ((وما في الأرض))[1].

وقد مر في الموضوع السابق وهو ((حذف (ما) المعطوفة))، ان البصريين أجازوا حذف الموصوف ولم يجيزوا حذف الموصول، وهذا مذهبهم ايضا في حذف (ما) المعطوفة ، الا ان منهم من ذكر في (من) انها اذا وقعت نكرة فمن الخطأ اوغير المستحسن حذفها ، ويقوم نعتها وهو (الجملة)؛ مقامها لان نعتها صار بمنزلة الصلة، والاسم الموصول لا يجوز حذفه وبقاء صلته[2].

وقد ورد حذف (من) وصلتها او صفتها شبه جملة في القران الكريم، معطوفة على (من) قبلها ، كما في قوله تعالى: **(وَلِلّهِ يَسْجُدُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ)** [الرعد:١٥]، و (من) هنا لا بد من اضمارها لفساد المعنى بإلغائها، فيكون حذفها جائزا قياسا سواء أكانت موصولة ام نكرة موصوفة ، وكذلك اختها (ما) لا بد من اضمارها في الآيات التي مر ذكرها ونظائرها ، وهذا ما عليه النحاة. الا ان البصريين اوجبوا إضمارها على انها نكرة موصوفة ، بمنزلة (شي) لا موصولة، وذلك لعدم جواز حذف الموصول عندهم، ولهذا يقول مكي في الاية المذكورة **(سبح لله ما في السماوات والأرض)** أي: (وما في الأرض) ثم حذفت على انها نكرة موصوفة، فقامت الصفة ، وهي (في الارض) مقام الموصوف وهو (ما) المحذوفة ولا يحسن ان تكون (ما) بمعنى (الذي) لان الصلة لاتقوم مقام

---

(1) مشكل اعراب القران ٧١٦/٢.

(2) اعراب القران للنحاس ٥٦٧/٢ ومشكل اعراب القران ٥٥٢/٢.

الموصول عند البصريين، وتقوم الصفة مقام الموصوف عند الجميع، فحمله على الإجماع أولى من حمله على الاختلاف)) [1].

وهذا خلاف ما ورد في القران الكريم، فقد ذكر صاحب البرهان، ان في قوله تعالى: **(وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ)** [العنكبوت:٤٦] اسما موصولا محذوفا؛ اذ لا يصح جعل (انزل اليكم)من صلة (الذي) المذكورة، فيجب ان يكون التقدير:والذي انزل اليكم ؛ لان الذي انزل الينا ؛ هو غير الذي انزل على من قبلنا؛ لذلك اعيدت (ما) في قوله تعالى: **(قُولُواْ آمَنَّا بِاللّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ)** [البقرة:١٣٦]. ((وشرط ابن مالك في بعض كتبه لجواز الحذف كونه معطوفا على موصول اخر)) [2].

وقد تبين من قبل ان جعل (ما) نكرة بمنزلة (شيء) وجه مستبعد في كل موضع، وقوله تعالى: **(لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ)** كما هو واضح يعني انه لا شيء خارج عن ملك الله، وهذا المراد يتحقق بجعل المعنى : ولله كل شيء في السموات وكل شيء في الارض ، ولا يناسبها ان تكون بتقدير. لله شيء في السموات وشيء في الأرض ، فجعل (ما) بمنزلة (الذي) الجنسية اقرب الى معنى الآية من جعلها نكرة موصوفة.

اما فيما يتعلق بسر الحذف، فقد ذهب الكرماني الى ان (ما) لم تكرر في قوله تعالى: **(وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ والأَرْضِ)** [العنكبوت: ٥٢]، لان جنس علم الله واحد، فهو لا يخفي عليه سبحانه شيء في الأرض ولا في السماء[3]. يبدو انه لو كان هذا هو السر، لاقتضى ذلك حذفها في المواضع كلها ، في حين ذكرت في قوله، تعالى: **(وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي**

---

(١) مشكل اعراب القران ٢/٧١٦.

(٢) البرهان في علوم القران ٣/١٥٩.

(٣) اسرار التكرار في القران ص٢٠٤-٢٠٥.

الأَرْضِ وَاللّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) [آل عمران: ٢٩] وقوله تعالى: (ذَلِكَ لِتَعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَأَنَّ اللّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) [المائدة: ٩٧].

وفي قوله، تعالى: (سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * هُوَ الأَوَّلُ وَالأخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ * هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ) [الحديد: ١-٤]. ذكر الاسكافي ان حذف (ما) في أول هذه السورة كان من اجل موافقة ما بعدها وهو قوله تعالى: (لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ)، وقوله تعالى: (خلق السموات والارض)؛ لان التقدير: سبح لله خلق السموات والأرض، وكذلك قال في آخر سورة للحشر: (يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ) أي: خلقهما[1]. وذكر هذا الكلام أيضا الكرماني[2] والفيروز ابادي[3].

فيبدو ان سر الحذف كان لتوحيد أهل الأرض مع أهل السماء في التسبيح يدل على ذلك قوله تعالى: (هو الأول والآخر) فقد أريد بذلك الجمع بين صفة (الأول) وصفة (الآخر) على انهما كلتيهما صفة لله ؛ وان تضادتا. ونظيره قوله تعالى: (هُوَ الأَوَّلُ وَالأخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ)؛ فحذفت (ما) لجمع أهل الأرض مع أهل السماء ؛ لان سياق الآيات ، كما هو الظاهر سياق ضم وتوحيد، لاتفريق وتفصيل.

وقد ذكرت (ما) في أول سورة الحشر، في قوله تعالى: (لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ)؛ لأنها وردت على الأصل، وليس ثمة ما يدعو

---

(1) درة التنزيل وغرة التأويل ص٤٦٩-٤٧٠.

(2) أسرار التكرار في القران الكريم ص٢٠٠.

(3) بصائر ذوي التمييز ١/٤٥٤.

إلى حذفها بخلاف ورودها في آخر السورة، وهو قوله تعالى: (**هُوَ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ * هُوَ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ * هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الأَسْمَاء الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**) [الحشر: ٢٢-٢٤].

فقد حذفت (ما): لان الآيات وردت في سياق توحيد العبودية والأسماء الحسنى لله.

وقد كان هذا هو السر في حذفها في آيات أخرى، كما في قوله تعالى: (**وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ * لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ * وَلَوْ أَنَّمَا فِي الأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ * مَّا خَلْقُكُمْ وَلا بَعْثُكُمْ إِلا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ**) [لقمان: ٢٥-٢٨].

فقوله تعالى: (**وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ**) وقوله تعالى: (**مَّا خَلْقُكُمْ وَلا بَعْثُكُمْ إِلا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ**)، دليل على ان الآيات واردة في سياق جمع وتوحيد.

وقد تحذف (ما) لسبب اخر، ففي قوله تعالى: (**يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءكُمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِن رَّبِّكُمْ فَآمِنُواْ خَيْرًا لَّكُمْ وَإِن تَكْفُرُواْ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَكَانَ اللّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا**) [النساء: ١٧٠]، ذكر الاسكافي[1] والكرماني[1]: ان (ما) حذفت لجعل أهل الأرض تبعا لأهل السموات.

---

(1) درة التنزيل ص٤٨٧-٤٨٨.

ويبدو هذا التفسير بعيدا ؛ لانه قد تقدمتها اية ذكرت فيها (ما) مع انها وردت على نسقها وهي قوله تعالى: **(وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُواْ اللّهَ وَإِن تَكْفُرُواْ فَإِنَّ لِلّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَانَ اللّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا)** [النساء: ١٣١] فليس بين الآيتين في الموضعين امارة واضحة يمكن ان تتخذ علة لذكر (ما) هنا وحذفها(هناك). وقد تبدو الآيتان كذلك عند تلاوتهما اول وهلة ، بيد انه عند تاملهما يتبين سر الذكر والحذف ظاهراً فيهما لا لبس فيه. فقوله، تعالى (وان تكفروا){النساء : ١٣١} في الموضع الأول المتقدم من السورة خطاب لليهود والنصارى واهل القران ، وهم جميعا فئة قليلة إذا قيست بأهل الأرض ، فالخطاب موجه الى القلة لأنهم إذا كفروا، فان لله غيرهم في كل ارض قادر، سبحانه، ان يرسل إليهم من يشاء ويهديهم الى دينه ويكونوا خيرا منهم. كما قال تعالى **(وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ)** [محمد: ٣٨]. فذكرت (ما) لتعود على الأكثرين من أهل الأرض في كل مكان وزمان.

اما قوله تعالى: **(وان تكفروا)** في الموضع الثاني من السورة فهو خطاب الى الناس كافة ، فقد ابتدأت الآية بقوله تعالى: **(يا ايها الناس)**، فالخطاب موجه الى أهل الأرض جميعا بانهم اذا كفروا ، فان الله مستغن عنهم باهل السموات الذين لا يحصى عددهم الا الله ولم يشذ منهم أحد عن طاعته ، ولا يفترون عن شكره وتسبيحه كما اخبر تعالى عن موسى، عليه السلام، انه قال لقومه: **(إِن تَكْفُرُواْ أَنتُمْ وَمَن فِي الأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ)** [ابراهيم: ٨].

([١]) أسرار التكرار ص٥٨.

فحذفت (ما) في هذا الموضع لم يكن لجعل أهل الأرض تبعا لأهل السماء بل كان للاستغناء عنهم وعن عبادتهم لله ، ويبدو حذفها واجبا وان كان خلاف الأصل لأن ذكرها في سياق هذه الآية لا يليق بمقام الله الغني بذاته ثم بجنوده وملائكته.

المبحث الثاني

النكرة التامة (التعجبية)

وردت (ما) التعجبية في القران الكريم بصيغة (ما افعله) في موضعين: هما قوله تعالى: **(فما اصبرهم على النار)** [البقرة: ١٧٥] وقوله تعالى: **(قتل الانسان ما اكفره)** [عبس: ١٧]. وقرأ سعيد بن جبير (ما اغرك بربك) وهي قراءة شاذة[1]، بدلا من القراءة المشهوره المجمع عليها (ما غرك بربك الكريم) [الانفطار: ٦].

وعرف التعجب بانه استعظام زيادة في وصف الفاعل، ويكون فيما خفي سببه ((وقد قيل: اذا ظهر السبب بطل العجب))[2] على ان التعجب لا يصح صدوره من الله ، عز وجل، لانه لا يعزب عن علمه شيء، فالله يعجب المخلوقين ولا يعجب هو ، فان ورد ماظاهره ذلك ؛ صرف الى المخاطب، فيكون قوله تعالى: **(فَمَآ أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ)** معناه : ان الله يعجب المؤمنين من جرأة الكفار على عمل يقربهم من النار او هم ممن يستحقون ان يقال فيهم ذلك، وكذلك قوله، تعالى: **(قُتِلَ الأنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ)** هو ممن يتعجب من كفره[3].

---

(1) المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والايضاح عنها لابن جني ٢/٣٥٣-٣٥٤ والبرهان في علوم القران ٤/٤٠٤ والاتقان في علوم القران ٢/٢٨٨.

(2) المرتجل لابن الخشاب نص١٤٥- ١٤٦ والغرة المخفية لابن الخباز، ٢/ ٤٦٦.

(3) البغداديات ص ٣٥٣ ومشكل اعراب القران ١/١١٧، ٢/٨٠١-٨٠٢ وشرح اللمع لابن برهان العكبري ٢/١٤٢. وزاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي ١/ ١٧٧، واللباب في علل البناء والإعراب لأبي البقاء العكبري ٢/ ١٤٦. وشرح المفصل لابن يعيش ٤/٥ وشرح ألفية ابن مالك لابن الناظم ص١٨٥ وكاشف الخصاصة عن ألفاظ الخلاصة لابن الجوزي ص٢١١ وحاشية الصبان على شرح الاشموني ٣/١٢، ١٦.

وأعربت (ما) في صيغة (ما افعله)، نحو: ما أحسن عبد الله، نكرة تامة بغير صفة ولا صلة في محل رفع مبتدأ، واعرب (أحسن) فعلا ماضيا و(عبد الله) مفعولا به، وفي (احسن) فاعل مستتر يعود على (ما)، والفعل ومعمولاه في محل رفع خبر والتقدير: شيء أحسن عبد الله.

أي : شيء جعله حسننا ، وهذا هو مذهب سيبويه وجمهور النحاة[1].

ونسب الى الاخفش انه أجاز جعل (ما) موصولة ، والفعل صلتها والخبر محذوفا، فيكون (ما أحسن عبد الله) بتقدير: الذي أحسن عبد الله شيء عظيم، او نكرة موصوفة والتقدير: شيء أحسن عبد الله عظيم[2].

وقد رجح جمهور النحاة مذهب سيبويه وجعلوا (ما) نكرة تامة غير موصوفة ذلك ان التعجب في الابهام بمنزلة الشرط والاستفهام ، فجعل (ما) موصولة او موصوفة، يخرجها عن الابهام اللازم لمعنى التعجب الذي عرف بأنه ما خفي سببه ؛ اذ الصلة تبين الموصول، والصفة تبين الموصوف[3].

وقيل: ان جعل (ما) موصولة لا يزيلها عن ابهامها ؛ لان خبرها واجب الحذف ، والتزام حذف الخبر كاف في الإبهام ورد بان الخبر هنا ، وان ادعى حذفه ، الا انه معلوم تقديراً ، فلا يكون هناك ابهام، وان قيل :

---

(1) الكتاب ٣٧/١، ٧٢ والمقتضب ١٧٣/٤ والاصول في النحو لابن السراج ١١٥/١ والجمل للزجاجي ص٩٩، ١١٢ وشرح المفصل ١٤٦/٧ والايضاح في شرح المفصل لابن الحاجب ١٠٨/٢.

(2) الامالي الشجرية ٢٣٧/٢ والمرتجل ص١٤٦-١٤٧ والبيان في غريب إعراب القران ١٣٨/١ وشرح الكافية الشافية ١٠٨/٢ والجنى الداني ص٣٣٥ ومغني اللبيب ٢٩٧/١ وشرح ابن عقيل ١٥٠/٢ وحاشية الصبان ١٧/٣-١٨.

(3) المصادر السابقة والبغداديات ص٢٥٥ والمقتصد في شرح الايضاح لعبد القاهر الجرجاني ٣٧٥/١ وقواعد المطارحة لابن اياز النحوي ص٢١٦.

انه مجهول فحذف المجهول لا يجوز[1]. وجعل المذهب الذي نسب الى الاخفش، أقرب الى قواعد اللغة من مذهب سيبويه وجمهور النحاة: لكون حذف الخبر شائعا في اللغة العربية في حين ان الابتداء بالنكرة التامة مخالف للأصل[2].

اما معنى هذه الصيغة في القران الكريم فقد ذكر الفراء في قوله تعالى: ﴿فَمَآ أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ﴾ ان فيه وجهين، احدهما معناه : فما الذي صبرهم على النار؟ والاخر معناه : فما اجرأهم على النار. ورأى ان في قوله تعالى (ما اكفره)، ((يكون تعجباً ويكون: ما الذي اكفره؟)) ثم بين انه ((بهذا الوجه الاخر جاء التفسير))[3].

فقد اجاز الفراء ان تكون (ما) تعجبية بتقدير (شيء) والمعنى : شيء، أصبرهم، وشيء أكفره ، وأجاز كذلك ان تكون استفهامية ، وجعل هذا المعنى بتقدير: ما الذي صبرهم؟ وما الذي اكفره؟ أي: جعل (ما) استفهامية مشوبة بالتعجب. وقد يستفاد من الاستفهام معنى التعجب[4].

ويشعر كلام الفراء في وصف الوجه الثاني ، بانه به جاء التفسير باستحسانه ، وقد اشار الى جواز هذين الوجهين الاخفش[5]، والطبري[6]، والنحاس[7]، وغيرهم[1]. وذهب ابو عبيدة الى ان (ما) في قوله تعالى:

([1]) شرح الكافية الشافية ٢/ ١٠٨٠ -١٠٨١.

([2]) خطى متعثرة على طريق تجديد النحو العربي، عفيف دمشقية ص١٨-٢٠.

([3]) معاني القران ١/١٠٣، ٣/٢٣٧.

([4]) حاشية الصبان ٣/١٧.

([5]) معاني القران ١/١٥٥-١٥٦، ٢/ ٥٢٨.

([6]) جامع البيان ٢/ ٣٣٢- ٣٣٣، ٣/ ٥٤.

([7]) إعراب القران ٣/ ٦٢٨.

(فَمَآ أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ) استفهامية وصرح بانها ((ليس بتعجب)) [٢]؛ لان التعجب لا يصح صدوره من الله برايه. ويبدو انه رأى أيضا الا يكون هذا الاستفهام مراداً به التعجب ، بل هو كما قال المبرد ((استفهام يراد به التقرير والتوبيخ[٣]. ونقل هذا الوجه أبو جعفر الطوسي[٤] والقرطبي[٥] وأبو حيان[٦] وغيرهم[٧] ولم يجز الزجاج الوجه الذي يذهب الى التعجب الا عند جعله ((مما يؤمر به الآدميون، أي: أعجبوا انتم)) [٨].

ويذهب الكوفيون إلى ان مذهب سيبويه وجمهور النحاة في صيغة (ما افعله) غير صحيح ، يوضحون ذلك من قول القائل : ما أعظم الله! اذ لا يصح ان يكون بتقدير: شيء أعظم الله ، أي: جعله عظيماً ؛ لان الله عظيم بذاته سبحانه ، لا بجعل جاعل [٩].

([١]) مشكل إعراب القران ١/ ١١٧، ٢/ ٨٠١- ٨٠٢ والتبيان في تفسير القران ٢/ ٩١ والكشاف ١/ ٢١٦، ٤/٧٣٤ وزاد المسير ١/ ١٧٧. والتبيان في إعراب القران ١/ ١٤٢، ٢/ ١٢٧٢ وفتح القدير ١/ ١٧١.

([٢]) مجاز القران ١/ ٦٤.

([٣]) المقتضب ٤/ ١٨٣.

([٤]) التبيان في تفسير القران ١/ ٢٧٢- ٢٧٣، ٢/ ٩١.

([٥]) الجامع لأحكام القران ٢/ ٣٦.

([٦]) البحر المحيط ١/ ٤٩٥.

([٧]) زاد المسر ١/ ١٧٧ وفتح القدير ١/ ١٧١.

([٨]) معاني القران واعرابه ١/ ٢٤٥، ٥/ ٢٨٤- ٢٨٥.

([٩]) المحلى- وجوه النصب لابن شقير، ص٢٠ ومفاتيح الغيب ٥/ ٢٩-٣٢. والاشباه والنظائر للسيوطي ٤/ ١٠٧.

وذكر الصبان ان من النحاة من لا يجيز التعجب من صفات الله قياسا ، فلا يقال: ما أعظم الله! ؛لأنها لا تقبل الزيادة وانه شذ قول العرب: ما أعظم الله! وما اقدره! وما اجله! ثم بين انّ المختار جواز ذلك[1].

ورد البصريون على الكوفيين بان قول القائل: ما اعظم الله، هو بتقدير: شيء عظم الله ، ((وذلك الشيء ، الناس الذين يصفونه بالعظمة ، كقولك: كبرت كبيرا وعظمت عظيما... وليس شيء يخبر به عن الله، عز وجل ، الا على خلاف ما يخبر به عن غيره في المعنى)) [2].

وقال ابو البركات بن الانباري : ان لهذا الشيء الذي عاد عليه الفاعل المستتر في (أعظم)) ثلاثة معان: ((احدها : ان يعني بالشيء من يعظمه من عباده ، والثاني : ان يعني بالشيء ما يدل على عظمة الله، تعالى وقدرته من مصنوعاته. والثالث: ان يعني به نفسه؛ أي: انه عظيم بنفسه، لا لشيء جعله عظيما فرقا بينه وبين خلقه)) [3].

وورد في حاشية الخضري ان معنى الجعل ليس في صيغة ما افعله بل هو في تقديرها[4].

ويبدو ان (ما) ليست استفهامية كما يذهب الكوفيون، والصحيح ما ذهب إليه سيبويه وجمهور النحاة، من أن (ما) تعجبية ، الا ان الاشكال في هذا الوجه نشأ من قولهم: ان منصوب (ما افعله) مفعول به حقيقة ، وهذا القول اضطرهم الى ان يبحثوا عن الفاعل ، فجعلوه ضميرا مستترا في (افعل). ولما كان الضمير لا بد من عوده على شيء، لم يجد النحاة ما يعيدونه عليه الا (ما) فاقتضى ان تكون اسما؛ لان الضمير لا يعود الا

---

(1) حاشية الصبان ٣/ ١٦.

(٢) المقتضب ١٧٦/٤ ومجالس العلماء للزجاجي ص١٢٥-١٢٦.

(٣) الانصاف في مسائل الخلاف ١٤٦/١-١٤٧.

(٤) حاشية الخضري على شرح ابن عقيل ٣٩/٢.

على الاسماء[1]، وهذا مما جعل المثل : ما اعظم الله يكون بتقدير: شيء جعل الله عظيما. فكان الإشكال.

والتكلف ظاهر في هذا الاعراب والتقدير؛ لذلك استبعدهما باحثون، وذكروا انهما لا يطابقان معنى التعجب في صيغة (ما افعله) [2] وآثر بعضهم ان تسمى (ما) في هذه الصيغة اداة تعجب ، وان يقتصر على اعراب (افعل) بانه اسم منصوب متعجب به ، او فعل التعجب لا فاعل له وان يعرب المنصوب متعجبا منه[3].

على اية حال، فان النحاة وان اعربوا منصوب (ما افعله) مفعولا به، فقد ذهبوا الى انه فاعل في الأصل والمعنى فقد مر قولهم في تعريف التعجب بانه استعظام زيادة في وصف الفاعل ، وفي ذلك يقول الزجاجي[4] ((واعلم ان التعجب انما هو من الفاعل ولا يجوز التعجب من المفعول)) وذهبوا إلى ان احكامه وافقت احكام كل فاعل وخالفت أحكام كل مفعول[5]. بل ذكر ابن السراج بانه ليس ثمة في (افعل) فاعل مستتر يمكن تحديده وتلخيصه ؛ لان هذا الفاعل هو المنصوب نفسه الذي اعرب مفعولا به[6]،

---

(١) كتاب الجمل للزجاجي ص١١٢ وأسرار العربية لأبي البركات بن الانباري ٥١ وأوضح المسالك إلى ألفية بن مالك لابن هشام ٢٧٢/٢ وحاشية الصبان ١٧/٣ وحاشية السجاعي على قطر الندى ص١٢٩.

(٢) في النحو العربي – قواعد وتطبيق ص٢١٥-٢١٦، والفعل، زمانه وأبنيته للدكتور إبراهيم السامرائي ص٧٣ وينظر (التعجب بين البصريين والكوفيين) وهو بحث الدكتور محيي الدين توفيق إبراهيم. مجلة آداب الرافدين، العدد الخامس ١٩٧٤م ص٣-٩.

(٣) معاني النحو ٦٥٣/٤.

(٤) كتاب الجمل ص١١٣.

(٥) حاشية الصبان ١٣/٣، وحاشية الخضري ٣٩/٢.

(٦) الأصول في النحو ١١٨/١-١١٩.

وهذه حقيقة صرح بها النحاة ، وأكدوها ، ولهذا قال الأستاذ عباس حسن: ان فاعل (افعل) ((ضمير مستتر وجوبا يعود على (ما) وبعده اسم منصوب هو في ظاهره وإعرابه مفعول به ولكنه في المعنى فاعل))[1]. فإذا كانت هذه هي الحقيقة، فهذا يعني ان منصوب (ما افعله) هو الفاعل ، ولا فاعل مستتر في (افعل) ، فلا تكون (ما) عندئذ اسما لعدم ما يدل على اسميتها ، بل هي حرف أو أداة استعملت للتعجب شانها شان حروف الاستفهام والنداء والاستغاثة.

تبين ان صيغة (ما افعله) التي وردت في القران الكريم أريد بها معنى التعجب، وقد توافر فيها كل ما يحقق هذا المعنى. فقد استعملت (ما) لإنشاء التعجب[2]، والدليل على ذلك انها استعملت لهذا المعنى في صيغة سماعية. يقول ابو حيان ((وقد يجيء عن العرب ألفاظ مختلفة مضمنة معنى التعجب، من ذلك قولهم: ما أنت من رجل)) [3].

وهمزة (افعل) همزة قطع ، سماها المزني[4] في كتابه (الحروف) ألف التعجب.

وهناك كثير من الأفعال المتعدية ترد بصيغة (فعل) و (افعل). والمعنى واحد مثل: (حب) و (احب)، تقول: حبه وأحبه[5].

ولعل صيغة (افعل) أقوى في المعنى من (فعل) اذ فيها زيادة في المبني، فمجيء الفعل في صيغة (ما افعله)، بوزن (افعل) لا بوزن (فعل)، انما هو لتقوية معنى التعجب وتعظيم الصفة.

---

(١) النحو الوافي ٣/٢٧٦-٢٧٧.

(٢) شرح الرضي على الكافية ٤/٢٢٧.

(٣) تذكرة النحاة ص٤٦٦.

(٤) الحروف ص ٤٤.

(٥) فعلت وافعلت للسجستاني ص٩٤، والمعجم الوسيط ١/١٥١.

ومما قوّى معنى التعجب ، نصب ما هو فاعل في المعنى ، فقد تبين سالفا ان النحاة أكدوا ان منصوب (ما افعله) هو فاعل في معناه واحكامه واصله. ومن الواضح انهم لم يعربوه فاعلا ؛ لأنهم رأوا ان هذا الإعراب يكسر القاعدة النحوية التي اجمعوا عليها ، وهي ان الفاعل لا يكون الا مرفوعا ، والحقيقة ان الإعراب الذي يعد كسرا للقاعدة يكون فيما شذ عن إعراب نظائره ، من ذلك ما استشهد به النحاة من نصب الفاعل ورفع المفعول في المواضع التي لم يرد فيها الفاعل الا مرفوعا ، ولم يرد فيها المفعول إلا منصوبا. نحو: خرق الثوبُ المسمارَ[1]، واما إعراب منصوب (ما افعله) فاعلا ، فلا يعد شاذا ، ذلك ان نصب الفاعل في صيغة (ما افعله) قياسي ، فكل فاعل في هذه الصيغة قد ثبت نصبه ، بل يعد رفعه شذوذا ، أي كما ورد رفع الفاعل قياسا ، ورد نصبه قياسا ، ولا يكون هناك التباس بين القياسين ؛ لان الثاني يكون خاصا بصيغة (ما افعله) التعجبية ويكون الأول بما عدا هذه الصيغة فمنصوب (ما افعله) هو فاعل في الحقيقة ، كما صرح بذلك النحاة ، فإذا كان إعرابه فاعلا يعد مخالفا للقاعدة النحوية من جهة اللفظ ، فان إعرابه مفعولا به يعد مخالفا للقاعدة النحوية من جهة المعنى ، والمعنى لا اللفظ هو الذي يعد أساس الإعراب وكثيرا ما أكد النحاة هذه الحقيقة.

ويبدو ان لهذه المسالة نظائر في اللغة العربية ، فالمبتدأ مثلا، من مرفوعات الأسماء ، الا انه ينصب اذا دخلت عليه (ان) او إحدى أخواتها ، وكذلك الخبر فهو من مرفوعات الأسماء، الا انه ينصب إذا وقع خبرا لكان او إحدى أخواتها. والعرب اتبعوا هذا في لغتهم ، فقد جعلوا تغيير المعنى يتبعه تغيير في اللفظ. ومن أوضح الأمثلة في هذا الباب ما يسمى

---

(١) شرح ابن عقيل ٥٣٥/١.

أسلوب القطع في العربية ، فإذا أرادوا زيادة معنى الذم او المدح او الترحم في المعطوف او الصفة او الخبر ، قطعوه الى حركة مغايرة للمتبوع ، نحو: مررت بزيد الكريمَ او الكريمٌ: ومررت بزيد البخيلَ او البخيلٌ، ومررت بزيد المسكينَ او المسكينٌ. ويسمون التابع هنا صفة مقطوعة[1]. وهذا أسلوب معروف في العربية ، وله أمثلة في القران الكريم.

ومثل هذا فعلوا في أسلوب التعجب: (ما افعله)، فقد نصبوا فيه ما هو فاعل في المعنى ؛ لأنهم أرادوا المبالغة في مدحه او ذمه ، فلفظ الجلالة (الله) في قولنا: ما أعظم الله ؛ فاعل ، لكنه نصب لمعنى التعجب. ومن النحاة من أشار الى هذا النوع من النصب ، فقد ذكر ابن كيسان (ت ٢٩٩هـ) ان منصوب (ما افعله) منصوب بالتعجب[2]، وجعل ابن شقير (ت ٣١٧هـ) نصب هذا الاسم في باب (النصب بالتعجب) [3].

وقد مر أن النحاة أجازوا في (ما) في (ما افعله) ان تكون تعجبية ، وهو اختيار جمهور النحاة، او استفهامية يراد بها التعجب وهو اختيار الفراء والكوفيين. وثمة فرق أساسي بين الوجهين ، فعند جعل (ما) تعجبية في نحو: ما أشجع زيدا! يكون المعنى : ان زيدا أشجع الناس، ونحن نعجب من عظم شجاعته ، أما عند جعلها في المثال نفسه استفهامية تعجبية ، فلا يكون المراد هذا المعنى بل من الجائز ان يكون اقل الناس شجاعة ، بل يكون المراد ان نعجب من خفاء السبب الذي جعله شجاعا ، وقد عهدناه من قبل جبانا ، فالذي أثار العجب في الوجه الأول عظم الصفة ، والذي أثاره في الوجه الثاني خفاء السبب المحدث للصفة ، والمراد من ذلك إنكاره وعدم الإقرار به ، ولهذا فان تعريف النحاة للتعجب بأنه يكون فيما

---

(١) شرح ابن عقيل ٢٥٥/١.

(٢) الموفقي في النحو، مجلة المورد، المجلد الرابع العدد الثاني ص١١٤.

(٣) المحلى – وجوه النصب ص٢٠.

خفي سببه ، حتى قالوا : ومن هنا قيل : اذا ظهر السبب بطل العجب ، لا ينطبق على (ما افعله) بالمعنى الذي ذهب اليه سيبويه وجمهور النحاة بل ينطبق عليها بالمعنى الذي استحسنه الفراء ونسب الى الكوفيين ، وقد يرد هذا الوجه في غير هذه الصيغة كقوله تعالى: (**قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلاَّ تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ**) [الأعراف: ١٢] وقوله تعالى: (**قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ**) [ص: ٧٥] ففي هاتين الآيتين استفهام أفاد معنى الإنكار ، والمعنى: لِمَ لَمْ تسجد ولا شيء منعك من السجود؟! وكذلك قوله تعالى: (**مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ**) [الانفطار: ٦] والمعنى: ما الذي دعاك إلى الاغترار به؟! ففي صلة (ما) في هذه الآيات ضمير مستتر يعود على (ما) وهو الفاعل الذي أريد إنكاره وهذا ما ذهب إليه أصحاب هذا الوجه فيكون قوله تعالى: (**فما أصبرهم على النار**) معناه عندهم : ما الذي دعاهم الى الصبر على موجبات النار؟! أي: لا شيء دعاهم الى ذلك ، وكذلك قوله تعالى: (**ما أكفره**) معناه : أي شيء حمل الإنسان على الكفر، مع ما يرى من الآيات الدالة على التوحيد؟! أي: لا شيء هناك يدعوه الى الكفر فكل ما حوله يدل على وجود الله ووحدانيته[1].

ففي معنى الاستفهام انكار للفاعل ، من غير ان يكون هناك تعظيم للصفة، وليس في التعجب إنكار للفاعل ، بل فيه إثبات له وتعظيم لصفته فالله ، سبحانه، في هاتين الآيتين ما أراد ان نعجب من خفاء السبب الذي صبر أهل النار، وكفر الإنسان بل أراد ، سبحانه، ان نعجب من عظم صبر اهل النار على النار ، ومن عظم كفر الإنسان بربه.

---

(١) مشكل اعراب القران ٢/٨٠١-٨٠٢ والكشاف ٤/٧١٥ وتفسير القران العظيم ٤/٤٧١ والإتقان في علوم القران ٢/٢٨٨.

وقد ذهب البصريون إلى ان (افعل) فعل ، ولهم في ذلك أدلتهم ، على حين ذهب الكوفيون الى انه اسم ولهم في ذلك أدلتهم ايضا ، ومنها ان (ما افعله) يصاغ من (قام) و (باع) على وزن: ما أقومه ، وما أبيعه ، لا على وزن: ما اقامه وما اباعه ، أي: يصاغ منهما على وزن اسم التفضيل لا على وزن الفعل المتعدي بالهمزة[1].

وذهب الدكتور مصطفى جواد الى ان همزة (افعل) منقطعة من اسم التفضيل (افعل) [2].

ويبدو ان ما استدل به الكوفيون صحيح من جهة ان (افعل) صيغ من اسم التفضيل وليس صحيحا عدهم (افعل) اسما ؛ اذ هو فعل اريد ان يصاغ كما يصاغ اسم التفضيل ، ليؤدي بذلك معنى التعجب الذي فيه معنى التفضيل والتعظيم. وقد أكد ابو البركات بن الانباري وجود مشابهة في هذا المعنى بين أسلوب التعجب: (ما افعله)، وأسلوب التفضيل. فقال: ((الا ترى انك لا تقول: ما احسن زيدا! الا لمن بلغ غاية الحسن، كما لا تقول: زيد أحسن القوم الا لمن كان أفضلهم في الحسن)) [3]. أي: ان الصفة في (ما افعله) أخذت تعظم ((حتى وصلت الى حد فظيع يتعجب منه)) [4]. وهذا هو المعنى المراد من هذه الصيغة في قوله تعالى: (**فَمَآ أَصۡبَرَهُمۡ عَلَى ٱلنَّارِ**)، فهو تعجب بمعنى: يا لهم من صابرين شديدي الصبر، أي: عظم صبرهم وليس استفهاما بمعنى: أي شيء جعلهم يصبرون؟ وكذلك قوله، تعالى (ما أكفره)، هو بمعنى: يا له من كافر ، شديد الكفر ، أي عظم كفره ، وليس بمعنى، أي شيء جعله كافراً؟!

---

(١) اسرار العربية لابي البركات بن الانباري ص١١٥

(٢) فعلت وافعلت الحاشية كلام المحقق ص٦١.

(٣) أسرار العربية لابن الانباري ص١١٧.

(٤) معاني النحو ٤/٦٦٢.

الفصل الثالث

(ما) النكرة المضمنة معنى الحرف

المقصود بالنكرة المضمنة ، المضمنة معنى الحرف والظاهر ان (ما) الاستفهامية نشأت من تضمن (ما) الموصولة معنى الاستفهام ، وكذلك (ما) الشرطية نشأت من تضمن (ما) الموصولة معنى الشرط. والذي يدل على ذلك ان اقسام (ما) الموصولة واحكامها تناظر أقسام (من) الموصولة واحكامها فهناك (ما) الموصولة و (من) الموصولة، و (ما) الشرطية و (من) الشرطية، و (ما) النكرة الموصوفة و (من) النكرة الموصوفة، و (ما) الاستفهامية و (من) الاستفهامية. وفي كل قسم من هذه الأقسام استعملت (ما) لغير العاقل و (من) للعاقل، وتفردت (ما) عن (من) ببعض أقسامها مثل (ما) المصدرية ، والسبب في ذلك واضح وهو ان (ما) صلحت لمعنى المصدر؛ لان المصدر يعامل معاملة غير العاقل ، فلم تصلح له (من) وقد صلحت له (الذي) لأنها تستعمل للجنسين ؛ لذلك كثر احتمال (ما) لهذه المعاني وهذا هو حال اختها (من)، ففي نحو : من يكرمني أكرمه تحتمل (من): الشرطية والموصولية والموصوفية والاستفهامية[1].

(١) مغني اللبيب ٣٢٨/١.

المبحث الأول

(ما) الاستفهامية

(١)

الاستفهامية المفردة

صلحت كل من (ما) و (من) لمعنى الاستفهام ، لإبهامها وعمومها ، ولم تصلح له (الذي) لأنه يراد بها معنى المعرفة ؛ لذلك عرفت (ما) الاستفهامية بأنها اسم مبهم[١] مبنية لتضمنها معنى الحرف، وهو همزة الاستفهام ، وقد جيء بها لضرب من الاختصار ، وهي بمعنى: أي شيء[٢]؟ ويعمل فيها ما بعدها من الأفعال، وتقع في المواقع التي تقع فيها الأسماء[٣] بيد أن لها الصدارة في الكلام وتعرب حسب تقدير جوابها[٤].

والاستفهام في العربية وأساليبها نوعان : احدهما حقيقي وهو الأصل ، وهو ((ما يكون سؤالا عما لا نعلمه لنعلمه))[٥]، وهذا الاستفهام يحتاج الى جواب، ولا يصح صدروه من الله سبحانه ، لعلمه بكل شيء ، وما ورد منه في القران الكريم كان اخبارا من الله، عز وجل ، على لسان أنبيائه وأقوامهم ، كقوله، تعالى (ما هي) [البقرة: ٦٨-٧٠] وقوله تعالى:

---

(١) وشذ القول الذي نسبه أبو حيان الى المازني بانه أجاز ان تكون (ما) في الاستفهام نكرة أو معرفة - تذكرة النحاة ص٨٣.

(٢) المفردات في غريب القران للراغب ص ٧٢٧ وشرح المفصل لابن يعيش ٥/٤ والامالي النحوية لابي الحاجب ١٤٨/٣-١٤٩ والإتقان في علوم القران ٢٨٧/٢.

(٣) دراسات لأسلوب القران - عضيمة - القسم الاول ١٠٢/٣-١٠٤.

(٤) البرهان في علوم القران ٤٠٢/٤.

(٥) البرهان في وجوه البيان لابن وهب الكاتب ص١١٣.

(مَا لَوْنُهَا) [البقرة: ٦٩]، وهو سؤال بني إسرائيل لموسى، عليه السلام، عن شان البقرة. وقوله تعالى: **(مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي)** [البقرة: ١٣٣].

والاخر: ((ما يكون سؤالا عما نعلمه)) [١]، ويسمى استفهاما مجازيا ، وهو معنى ثان خرج من المعنى الأصلي الحقيقي ، لغرض من الأغراض ، فلا يراد به الاستخبار عن شيء ، بل يرد لمعان أخرى يقصد إليها المتكلم ، كمعنى النهي في قوله تعالى: **(فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَاهَا)** [النازعات: ٤٣] أي: لا تذكرها على احد التأويلات[٢] ومعنى الانكار في قوله تعالى: **(وَمَا أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَا مُوسَى)** [طه: ٨٣]. فهذا استفهام على وجه الانكار لتقدمه[٣] ومن معانيه التوبيخ كقوله تعالى: **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ)** [الصف: ٢]. وقد ذكر الازهري (ت ٣٧٠هـ) ان الاستفهام باستعمال (ما) من الله على وجهين ، وهو للمؤمن تقرير وللكافر تقريع وتوبيخ[٤]. وذكر أبو حيان أن الاستفهام في هذه الآية يكون بمعنى الانكار والتوبيخ ان كان الخطاب للمنافقين. ، وان كان للمؤمنين فهو للتلطف في العتب[٥]. وذكر الزركشي ان في الآية معنى النهي[٦].

---

(١) المصدر نفسه والصفحة نفسها.

(٢) شرح الرضي ٣/٥٠.

(٣) الكشاف ٣/٨٠ والإتقان في علوم القران ٢/٣٥٢.

(٤) تهذيب اللغة ١٥/٦٢٧.

(٥) البحر المحيط ٨/٢٦١ وينظر دراسات لأسلوب القران، القسم الأول ٣/٩٦.

(٦) البرهان في علوم القران ٢/٣١٤.

ومن معانيه أيضا الاستبعاد كقوله تعالى: **(وَمَا لَنَا لاَ نُؤْمِنُ بِاللّهِ)** [المائدة : ٨٤] فهو استفهام أريد به استبعاد عدم إيمانهم مع قيام ما يوجب الإيمان وهو الطمع في إنعام الله عليهم بصحبة الصالحين(١).

والتعجب كقوله تعالى: **(مَا لِيَ لا أَرَى الْهُدْهُدَ)** [النمل: ٢٠] (٢) والتعظيم كقوله تعالى: **(الْحَاقَّةُ * مَا الْحَاقَّةُ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ)** [الحاقة: ١-٣]. والمراد تفخيم شان يوم القيامة، كما تقول: زيد ما هو؟ او زيد ما زيد؟ على تأويل التعظيم بشأنه(٣). ولم يقل: الحاقة ما هي؟ فوضع الظاهر موضع المضمر ؛ لأنه اهول لها(٤). وفي هذا الاستفهام تجهيل لماهية (الحاقة) وهي يوم القيامة لدى السامع المخاطب والمراد من هذه الآية والآيات التي على نحوها في القران الكريم ، التعظيم والتعجب(٥).

ويرد الاستفهام المجازي لمعان أخرى تفهم من السياق.

ومن الآيات التي اختلفت أقوال النحاة والمفسرين في إعرابها وتفسيرها، قوله تعالى: **(وَأَقْسَمُواْ بِاللّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءتْهُمْ آيَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الآيَاتُ عِندَ اللّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءتْ لاَ يُؤْمِنُونَ)** [الأنعام: ١٠٩]. فقد قرئت انها بالكسر والفتح(٦) فعند قراءتها بالكسر تكون (انها مستأنفة ، وقد تم الكلام عند (يشعركم). وعند قراءتها

---

(١) الكشاف ٦٧٠/١.

(٢) حاشية الصبان ١٧/٣.

(٣) معاني القران وإعرابه للزجاج ٢١٣/٥ والصاحبي في فقه اللغة ص١٧١.

(٤) الكشاف ٥٩٨/٤ وشرح الرضي على الكافية ٥٠/٣ والبرهان في علوم القران ٣٣٨/٢ ومعترك الأقران في إعجاز القران ٤٤١/٢-٤٦٢، ٤٧٣.

(٥) مشكل إعراب القران ٧٥٣/٢.

(٦) قرأ بكسر (انها) ابن كثير وابو عمرو وقرا بالفتح نافع وعاصم في رواية حفص وحمزة والكسائي: كتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد ص٢٦٥.

بالفتح تكون (انها) هي المفعول الثاني في محل نصب، والمعنى : وما يعلمكم عدم إيمانهم اذا جاءتهم الآية. فيكون تأخير الآية عذرا لهم في ترك الإيمان ، وهذا لا يصح[١]، ومنهم من جعل (لا) زائدة ليصح المعنى، ورده الزجاج بانها نافية في قراءة الكسر، فيجب ذلك في قراءة الفتح[٢]. وقد خطأ النحاس هذا القول بعد ان نسبه إلى الكسائي[٣]، ونسب إلى الخليل انه جعل (انها) بمعنى (لعلها)[٤].

وهو وجه جيد كما قال الفراء[٥]. فكأنه قال: وما يشعركم لعلها اذا جاءتهم لا يؤمنون ، فلا تنفع معهم عندئذ الآيات، وهو وجه ملائم للسياق[٦]، لذلك جعله الطبري أرجح التأويلات ، ويعضده قراءة أبي بن كعب : ((لعلها إذا جاءت لا يؤمنون)). وقد سمع عن العرب قولهم: اذهب إلى السوق انك تشتري لنا شيئا، يعني: لعلك تشتري، وذكر عليه شواهد من أشعارهم[٧].

---

(١) الكشف عن وجوه القراءات لمكي القيسي ٤٤٥/١ ومجمع البيان في تفسير القران ٣٤٨/٤ ومغني اللبيب ٢٥١/١ والبرهان في علوم القران ٨١/٣ وبصائر ذوي التمييز ٤٦٣/٤.

(٢) معاني القران وإعرابه للزجاج ٢٨٢/٢- ٢٨٣ ومغني اللبيب ٢٥١/١.

(٣) إعراب القران ٥٧٤/١ والبغداديات ٢٨٣/١-٢٨٤ والكشف عن وجوه القراءات لمكي ٤٤٥/١ والبيان في غريب إعراب القران ٣٣٥/١ والبرهان في علوم القران ٨١/٣.

(٤) الكتاب ١٢٣/٣ والنكت في تفسير كتاب سيبويه ٧٦٦/٢.

(٥) معاني القران ٣٤٩/١-٣٥٠.

(٦) وجاز أيضا أن يقف على (يشعركم) القطع والائتلاف للنحاس ص ٣١٨-٣١٩.

(٧) جامع البيان ٣٩/١٢-٤٣ والكشاف ٥٧/٢-٥٨ وتفسير القران العظيم لابن كثير ١٦٤/٢-١٦٥ وينظر كذلك المصادر الأخرى التي اشرنا إليها في إعراب هذه الآية ورجحت هذا التأويل.

وبهذا التأويل تكون القراءتان بمعنى واحد ، وفي (يشعركم) فاعل مستتر يعود على (ما) و (كم) المفعول الأول والمفعول الثاني محذوف ، تقديره: (إيمانهم) والمعنى: ما يعلمكم إيمانهم؟ يعني: أنهم لا يؤمنون إذا جاءتهم الآية.

ويكثر احتمال (ما) الاستفهامية لمعنى النفي ، فمن ذلك قوله تعالى: **(فَمَا جَزَاء مَن يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنكُمْ إِلاَّ خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا)** [البقرة: ٨٥] [١]، وقوله تعالى: **(مانَبْغِي هَـذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا)** [يوسف: ٦٥] [٢] وقوله تعالى: **(قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي)** [الفرقان:٧٧] [٣] وقوله تعالى: **(مَا أَغْنَى عَنْهُم مَّا كَانُوا يُمَتَّعُونَ)** [الشعراء: ٢٠٧] [٤]، وقوله تعالى: **(فما تغني النذر)** [القمر: ٥] [٥]. وقوله تعالى: **(مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيهْ)** [الحاقة: ٢٨] [٦]، وقوله تعالى: **(وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى)** [الليل: ١١] وقوله تعالى: **(مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ)** [اللهب: ٢] [٧].

واحتمال (ما) للنفي والاستفهام ، مرده انها استفهامية ، في هذه الآيات في الحقيقة وهو الأصل ، ثم خرجت إلى معنى النفي مجازا، فجواز

---

(١) اعراب القران المنسوب خطا الى الزجاج ٩١٩/٣ والكشف عن نكت المعاني والإعراب ٥٤/١ والتبيان في إعراب القران ٨٧/١.

(٢) معاني القران للفراء ٤٩/٢ ومعاني القران وإعرابه للزجاج ١١٨/٣. وإعراب القران للنحاس ١٤٧/٢ ومشكل إعراب القران ٣٨٩/١ والتبيان في إعراب القران ٧٣٧/٢.

(٣) معترك الاقران في إعجاز القران ٣٦٧/٢.

(٤) البيان في غريب إعراب القران ٢١٧/٢.

(٥) معاني القران للفراء ١٠٥/٣ ومغني اللبيب ٣١٥/١.

(٦) إعراب ثلاثين سورة لابن خالويه ص٢٢٢.

(٧) مغنى اللبيب ٣١٥/١.

إعرابها استفهامية كان مراعاة لحقيقتها واصلها ، وجواز إعرابها نافية ، كان مراعاة للمعنى المجازي الذي خرجت إليه. وأشار الدكتور احمد بدوي إلى أن التعبير عن معنى النفي بأسلوب الاستفهام ابلغ ((من النفي ابتداء)) ؛ لان الاستفهام يحمل السامع المخاطب على الإقرار بالنفي بعد روية وتفكير[1].

ولا يكون هذا ابلغ في كل موضع وإلا لما ورد أسلوب النفي في القران الكريم.

وتحذف ألف (ما) الاستفهامية في حالة الجر ، وهذا الحذف يكون في اللفظ والخط[2]، وورد قليلا إثبات الألف في كلام العرب[3]. وقيل في علة حذف الألف أقوال مختلفة ، أشهرها انها حذفت للتفريق بين الاستفهام والخبر[4].

وقاعدة حذف الألف وإثباتها اخذ بها في خط المصحف ، فحذفت من (ما) الاستفهامية في حالة الجر، كالذي في قوله تعالى: **(فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَاهَا)** [النازعات: ٤٣]، على حين اثبتت اذا وردت (ما) خبرية ، كالذي في قوله تعالى: **(لَّوْلاَ كِتَابٌ مِّنَ اللّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ**

---

(١) من بلاغة القران ص١٦٣.

(٢) الكتاب ٤/١٦٤-١٦٥ وأدب الكاتب لابن قتيبة ص١٩٤. وكتاب الواضح في العربية للزبيدي ص١٣٦ والامالي الشجرية ٢/٢٣٣ والبيان في غريب اعراب القران ١/٢٦٦ وشرح عمدة الحافظ ص٢٨٤.

(٣) شرح شواهد المغني للسيوطي ص٧٠٩ وخزانة الادب للبغدادي ٦/٩٩.

(٤) معاني القران للفراء ٢/٢٩٢ وإعراب القران للنحاس ١/١٩٨-١٩٩ والتبيان في إعراب القران ١/٩٣ ومغني اللبيب ١/٢٩٩.

* فَكُلُواْ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلاَلاً طَيِّبًا وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) [الانفال: ٦٨-٦٩] [(١)].

وذكر الفراء انه كثر في الكلام مجيء ما الاستفهامية مع لام الجر المتصلة بالضمير، حتى توهموا انهما حرف واحد[(٢)] كقوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ)[التوبة:٣٨]

وما ورد من (مال) مفصول حرف الجر فيها من المجرور كان في اربعة مواضع من القران الكريم ، وهي قوله تعالى: (فَمَالِ هَـؤُلاء الْقَوْمِ لاَ يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا) [النساء: ٧٨] وقوله تعالى: (وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً إِلا أَحْصَاهَا) [الكهف: ٤٩] وقوله تعالى: (مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الأَسْوَاقِ) [فرقان: ٧] وقوله تعالى: (فَمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ) [المعارج: ٣٦] [(٣)].

ويعرب المنصوب (مهطعين) في سورة المعارج حالا، وكذلك ما يقع موقعه من الجمل ، كقوله تعالى (لا يكادون) في سورة النساء وقوله تعالى: (لا يغادر) في سورة الكهف وقوله تعالى: (يأكل الطعام) في سورة الفرقان[(٤)]. وتعرب (ما) الاستفهامية في هذه الآيات مبتدأ واللام ومجرورها في محل رفع خبرها ، وجعل ابن شقير[(٥)] (ما) الاستفهامية في هذا الاسلوب عاملة عمل كان واخواتها ، ونصب الاسم بعدها. على انه خبر لها وفيه من التكلف ما لا يخفى.

---

(١) مغني اللبيب ١/٢٩٨-٣٠٠.

(٢) معاني القران ١/٢٧٨.

(٣) الاقناع من كتب القراءات لابن الباذش ١/٥٢٦.

(٤) مشكل اعراب القران١/ ٢٣٥، ٢/٧١٦، ٧٥٩.

(٥) المحلى، وجوه النصب، ص٣٠.

ويُسأل بـ (ما) الاستفهامية عما لا يعقل واجناسه واجناس العقلاء وانواعهم وصفاتهم[1]. فاذا قيل: ما عندك؟ جاز ان يكون الجواب: كتاب او رجل، اذا قصد به جنس من الرجال ، ويسال بها ايضا عن صفات العقلاء، نحو: ما زيد؟ فيكون الجواب: جواد او بخيل او نحو ذلك[2]. وتستعمل للعاقل ايضا عندما يراد بها الاستفسار عن حقيقة ، نحو: الانسان، ما هو؟ فيقال مثلا: انه حيوان ناطق[3].

والاصل في (ما) انها تستعمل لغير العاقل ، ولكن وردت للعاقل في قوله تعالى: **(وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قالوا وما الرحمن)** [الفرقان: ٦٠] قال الزجاج: ((ولم يكونوا يعرفون الرحمن من أسماء الله ، فقيل لهم انه من اسماء الله))[4]، وذكر الزمخشري ان (ما) استعملت للعاقل لانه كان سؤالا عن مجهول[5]. ونظيره قوله تعالى: **(قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ)** [الشعراء: ٢٣]، فقد عادت (ما) على العاقل ؛ لان فرعون أراد ان يكون سؤاله بمعنى : أي شيء رب العالمين؟ او، أي أجناس الأعلام هو؟ ولو اراد ذاته سبحانه ، لقال: ومن رب العالمين[6]؟.

---

(١) المفردات في غريب القران ص٧٢٧ والاتقان في علوم القران ٢٨٧/٢.

(٢) المقتضب ٤١/١-٤٢، ٤٨ ، ٥٢/٢، ٦٣/٣، ٢١٧/٤ والبغداديات ص٢٦٤ ومفتاح العلوم للسكاكي ص٥٣٣ وقواعد المطارحة لابن اياز النحوي ٢١٥.

(٣) الحروف للفارابي ص١٦٦.

(٤) معاني القران واعرابه للزجاج ٧٣/٤.

(٥) الكشاف ٢٨٩/٣ والبرهان في علوم القران ٤٠٢/٤-٤٠٣.

(٦) الكشاف ٣٠٧/٣، الحلل في اصلاح الخلل من كتاب الجمل للزجاجي، لابن السيد البطليوسي ص٣٤٣، ومفتاح العلوم للسكاكي ص٥٣٣-٥٣٤.

وقد جعل الفراء (ما) بمنزلة (من) [1] في قوله تعالى: (فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ) [التين:٧]. وصرح الاخفش بعودها على الإنسان[2]. ورد عليه النحاس وقال: ((والمعنى ها هنا أي شيء يحملك على التكذيب)) [3] بعد ظهور البراهين والأدلة؟ وبهذا المعنى جعلها النحاة والمفسرون[4]، فقد عادت (ما) هنا على الشيء لا على الإنسان ، ولا تستعمل (ما) الاستفهامية للعاقل إلا إذا أريد بها معنى الشيء او الجنس او النوع ونحو ذلك من المعاني التي تعامل معاملة غير العاقل شانها في ذلك شان (ما) الموصولة.

(٢)

الاستفهامية المركبة (ماذا)

أجاز النحاة في إعراب (ماذا) الأوجه الآتية:

الاول: ان تكون (ماذا) اسم استفهام بمنزلة كلمة واحدة.

والثاني: ان تكون (ما) اسم استفهام مبتدأ و (ذا) خبر اسم موصول بمنزلة الذي.

والثالث: ان تكون (ما) اسم استفهام و (ذا) اسم إشارة.

والرابع: ان تكون (ماذا) جميعها بمعنى (الذي)

والخامس: ان تكون (ماذا) جميعها بمنزلة (شيء)[5].

---

(١) معاني القران ٢٧٧/٣.

(٢) معاني القران ٥٤٠/٢ والامالي الشجرية ٢٣٤/٢.

(٣) اعراب القران ٧٣٦/٣.

(٤) الكشاف ٧٧٤/٤ والتبيان في تفسير القران ٣٧٦/١٠-٣٧٧، ومعترك الاقران ٢٨١/٢، ٤١٣ والتبيان في اعراب القران ١٢٩٤/٢.

(٥) الكتاب ٤١٦/٢-٤١٨ ومجالس ثعلب ٤٦٢/٢، ٥٢٦ والبغداديات ٤١٤/١ وارتشاف الضرب ٥٢٨/١-٥٢٩ ومغني اللبيب ٣٠١/١-٣٠٢ وشرح ابن عقيل ١٥٢/١.

ورجح نحاة ان تكون (ماذا) كلمة واحدة ، واستدلوا على ذلك بإثبات ألفها عند جرها[1]. ومن الدارسين المحدثين من ذهب هذا المذهب[2]. ومنهم من ذهب الى انها ليست باسم ، ولا علاقة لها بالاسمية ، فهي ليست الا عنصر استفهام[3].

اما اعرابها في القران الكريم، فقد أجاز النحاة والمفسرون ان تكون (ماذا) بمنزلة اسم واحد ، أو ان تكون (ما) اسم استفهام و(ذا) بمنزلة (الذي) [4] وأجاز آخرون ان تكون جميعها بمنزلة (الذي) في قوله تعالى: **(قُلِ انظُرُواْ مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ)** [يونس: ١٠١][5] وقوله تعالى: **(هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ)** [لقمان:١١] وقوله تعالى: **(وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا)** {لقمان: ٣٤}، كأنه قال: وما تدري نفس الشيء الذي تكسبه غدا[6].

وذكر الاسكافي ان (ماذا) ابلغ من (ما) في الاستفهام ، وذلك عند وقوفه عند قوله تعالى: **(ماذا تعبدون)** {الصافات: ٨٥} وقوله تعالى: **(ما تعبدون)** في سورة الشعراء [٧١]، فذكر انه استعمل (ماذا) في السورة

---

(١) شرح الرضي على الكافية ٥١/٤ والبسيط في شرح الكافية لركن الدين الاستربادي ص٧٧٦.

(٢) في النحوا العربي – نقد وتوجيه المخرومي ص٢٧١ ومعجم الأدوات النحوية – للتونجي ص١٤٣.

(٣) في التحليل اللغوي – خليل احمد – ص١٣٢.

(٤) معاني القران واعرابه للزجاج ١٠٥/١، ٢٨٨، ٣٦٤/٢، ٢٤/٣ وإعراب القران للنحاس ٤٨٣/١، ٦٠١/٢، ٧٥٦ والتبيان في اعراب القران ٤٧٠/١، ٦٨٦/٢.

(٥) التبيان في إعراب القران ٦٨٦/٢.

(٦)البحر المحيط ١٨٥/٧، ١٩٥، وينظر دراسات لأسلوب القران، القسم الاول ١٠٢/٣.

الأولى لانه أراد معنى تبكيتهم وتوبيخهم، لذلك لم يذكر جوابها في هذه السورة، بخلاف (ما) في سورة الشعراء[١]. وبمثل هذا قال الكرماني[٢]

وفرق د.-السامرائي بين (ما) و(ماذا)، فبين ان (ماذا) ((تفيد التنصيص على الاستفهام فيما يحتمل الاستفهام وغيره، كقوله تعالى (فاروني ماذا خلق الذين من دونه) فان (ذا) أفادت التنصيص على الاستفهام ، ولو حذفت لاحتمل المعنى الاستفهام والموصولية)) [٣]. وقد مر ان النحاة اجازوا ان تكون (ماذا) جميعها بمنزلة (الذي) في كلام العرب ، وأجازوا هذا في القران الكريم وفي الاية التي استشهد بها الدكتور الفاضل نفسها ، فلا تفيد (ماذا) عندهم التنصيص على الاستفهام، ومع ذلك فالذي يبدو أن (ماذا) لا يصح أن تكون إلا استفهامية ، لان الموصولة لا تحتاج الى زيادة مبناها ، بخلاف معنى الاستفهام الذي يحتمل القوة والضعف وخروجه الى المعاني المجازية ، كما أن (ذا) فيها معنى الإشارة والتنبيه ، وهو معني يخدم غرض الاستفهام دون الموصولية ، فالغرض الاول من استعمال (ماذا) بدلاً من (ما) هو تقوية معنى الاستفهام ، ويبدو أنها تستعمل لغرض آخر ، وهو رفع اللبس في كل موضع احتمل هذين المعنيين. فقد اريد مثلاً معنى الاستفهام في قوله تعالى: **(قُلِ انظُرُواْ مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ)** [يونس: ١٠١]، ولو اريد الموصولية لقال ، سبحانه: قل انظروا ما في السموات ، وكذلك قوله تعالى: **(ولتنظر نفس ما قدمت لغد)** [الحشر: ١٨] فقد استعمل (ما) لانه اراد الموصولية، ولو اراد الاستفهام ، لقال جل شأنه : لتنظر نفس ماذا قدمت لغد.

---

(١) درة التنزيل ص٣٣٠- ٣٣١ وينظر معاني النحو للسامرائي ٦٣٧/٤.

(٢) اسرار التكرار ص١٥٥.

(٣) معاني النحو ٦٣٧/٤.

وتستعمل (ماذا) مثل (ما) في الاستفهام الحقيقي ، كقوله تعالى (ويسألونك ماذا ينفقون)[البقرة: ٢١٩]، وفي الاستفهام المجازي ايضاً. فترد لمعان أخرى كمعنى الاستهزاء، في قوله تعالى (ماذا اراد الله بهذا مثلاً) [البقرة: ٢٦][١]، ومعنى التبكيت في قوله تعالى: (**أَكَذَّبْتُم بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ**)[النمل: ٨٤]، أي لم تعملوا غير التكذيب بايات الله[٢]. ومعنى النفي في قوله تعالى: (**أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الأَرْضِ**)[فاطر: ٤٠] أي : لم يخلقوا شيئاً[٣]. وذكر سيبويه أنه عند جعل (ماذا) بمنزلة اسم واحد يكون الوجه في جوابها النصب ، لان (ماذا) منصوبة وعند جعل (ذا) بمنزلة (الذي) يكون الوجه في جوابها الرفع ، لان (ما) مرفوعة على الابتداء وبناءً على ذلك فقد جعلوا (ماذا) بمنزلة (ماالذي) في قوله تعالى: (**وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُواْ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ**)[النحل: ٢٤] لان جوابها وهو (اساطير) مرفوع وجعلوها بمنزلة اسم واحد في قوله تعالى: (**وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْاْ مَاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُواْ خَيْرًا**) {النحل: ٣٠} لان جوابها وهو (خيرا) منصوب[٤].

وفي قوله تعالى: (**وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ**) {البقرة: ٢١٩}، قرأ أبو عمرو (العفو) بالرفع وقرأ الباقون بالنصب[٥]. وتبعاً لهذا الاختلاف في القراءة وجه النحاة إعراب (ماذا) فأجازوا أن تكون بمنزلة اسم واحد مع نصب الجواب (العفو) والتقدير: يسالونك ما ينفقون؟ قل ينفقون العفوَ ،

---

(١) مدارك التنزيل وحقائق التأويل للنسفي تفسيره ٣٦/١.

(٢) الكشاف ٣/ ٣٨٦.

(٣) الامالي الشجرية ١/ ٢٦٥

(٤) الكتاب ٤١٦/٢-٤١٨ وإعراب القران للنحاس ٢٠٨/٢، ٦٠١ والبغداديات ص٣٧٢.

(٥) كتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد ص١٨٢.

واجازوا أن تكون بمنزلة (ما الذي) مع رفع الجواب ، والتقدير: يسألونك ما الذي ينفقونه؟ قل الذي ينفقونه العفو[1].

وأجاز الاخفش(٢) والزجاج(٣) أن تكون (ماذا) بمنزلة اسم واحد أو بمنزلة (ما الذي)، سواء أكان جوابها مرفوعا أم منصوبا.

وذكر الزمخشري ان الوجه الأول وهو مذهب سيبويه ، أفضل ليطابق الجواب السؤال(٤).

والاولى جعل المعنى هو الأساس لا التقدير في توجيه النصب والرفع. فالجواب يرفع عندما يراد به معنى الثبات والاستمرار ، وينصب عندما يراد به معنى التجدد والحدوث، وقد وجه الكرماني الرفع في قوله تعالى: (وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُواْ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ) بان السائلين لم يكونوا سائلين على وجه الحقيقة يريدون الجواب ، بل أرادوا من سؤالهم الاستهزاء والإنكار فلأنهم أنكروا إنزال القران ، عدلوا عن الجواب، فقالوا : أساطير الأولين. فكان رفع الجواب من كلام الكافرين ، وورد منصوبا في قوله تعالى: (وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْاْ مَاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُواْ خَيْرًا)؛ لأنه جواب لسائلين ، كانوا يقرون بالوحي والإنزال، فكان نصب الجواب مطابقا للحال ؛ لانه من كلام المتقين [5].

---

(١) معاني القران للفراء ١/١٣٩والبيان في غريب إعراب القران ١/١٥٣ وشرح جمل الزجاجي لابن عصفور ٢/٤٧٨-٤٧٩ والبسيط في شرح الكافية ص٧٧٦.

(٢) معاني القران ١/٥٣-٥٤، ١٧٢.

(٣) معاني القران واعرابه ١/٢٩٣.

(٤) الكشاف ١/١١٧.

(٥) اسرار التكرار ص١٢٢.

المبحث الثاني

(مـــا) الشرطية

(١)

الشرطية المفردة

تستعمل (ما) الشرطية لغير الآدميين ، نحو: ما تصنع اصنع ؛ فان قلت: ما يأتني اته ، تريد بذلك الناس ، لم يصلح ، ذلك ان هذه الأداة وضعت للدلالة على ما لا يعقل ، ثم ضمنت معنى الشرط لإبهامها ، ولها الصدارة في الكلام ، ويعمل فيها ما بعدها من الأفعال[١].

واختلف في عامل الجزم في شرطها وجوابها[٢]، ولا يعنينا هذا الاختلاف؛ لانه يتعلق بنظرية العامل والمعمول التي كثيرا ما احتدم الجدل حولها في كتب النحو. ونكتفي بالقول هنا بان شرط (ما) وجوابها يقعان مجزومين، سواء اكان الجازم لهما (ما) ام غيرها.

وثم فرق بين (ما) الشرطية، و (ما) الموصولة. فالأولى تجزم فعلين، فهي عاملة جازمة ، وليست كذلك الثانية ، لذلك لا تلتبس الشرطية بالموصولة ، إذا ظهرت علامة الجزم في شرطها وجوابها، أو في احدهما. فمن الأولى قوله تعالى: **(وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللّهُ)** [البقرة: ١٩٧]، ومن الثانية قوله تعالى: **(مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلا مُمْسِكَ لَهَا)** [فاطر: ٢]، إلا أن الالتباس يحدث بينهما عندما تكون علامة الإعراب غير ظاهرة. ففي قوله تعالى **(مَّا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ)** [النساء: ٧٩] قال الزجاج ((هذا خطاب للنبي صلى الله

---

(١) المقتضب ٥٢/٢ وكتاب الواضح للزبيدي ص١٣٥، وشرح المفصل لابن يعيش ٥/٤، وشرح شذور الذهب ص٣٣٤، والبرهان في علوم القران ٤٠٢/٤.

(٢) البغداديات ص٢٧٠ وشرح الرضي على الكافية ٩١/٤-٩٢.

عليه وسلم يراد به الخلق ومخاطبة النبي صلى الله عليه وسلم قد تكون للناس جميعا ، لأنه عليه الصلاة والسلام لسانهم والدليل على ذلك **(يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاء فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ)** [الطلاق: ١] فنادى النبي صلى الله عليه وسلم وحده وصار الخطاب شاملا له ولسائر الناس فمعنى **(مَّا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللّهِ)** أي: ما أصابك من غنيمة أو أتاكم من خصب فمن تفضل الله **(وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ)** أي: من جدب او غلبة في حرب فمن نفسك)) [١]. وهذا هو الوجه في دلالة (ما) هنا وفي كل موضع تفيد العموم سواء أعربت موصولة ام شرطية. وذهب النحاس[٢] ومكي[٣] وأبو البركات بن الانباري[٤] إلى انها موصولة بمنزلة (الذي) لانها نزلت في شيء بعينه ، وذهب العكبري الى انه لا يحسن ان تكون موصولة ، لان ذلك يقتضي ان يكون المصيب له ماضيا مخصصا، والمعنى على العموم. والمراد كل ما أصابك ويصيبك فهو من الله[٥].

وكذلك أجازوا الوجهين في قوله تعالى: **(وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللّهِ)** [النحل: ٥٣]، فقد أجاز الفراء أن تكون (ما) شرطية ، وفعل الشرط مضمرا، والتقدير: ما يكن بكم من نعمة فمن الله. وأجاز ان تكون موصولة، وقد ارتبط خبرها بالفاء ، كما قال تعالى: **(قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي**

---

(١) معاني القران وإعرابه ٢/٧٩-٨٠. وتعرب (ما) عند جعلها موصولة في محل رفع على الابتداء وكذلك عند جعلها شرطية؛ لان الفعل (أصابك) متعد استوفى مفعوله.

(٢) إعراب القران ١/٤٣٦-٤٣٧.

(٣) مشكل إعراب القران ١/٢٠٤.

(٤) البيان في غريب إعراب القران ١/٢٦١.

(٥) التبيان في إعراب القران ١/٣٧٤-٣٧٥.

تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ) [الجمعة: ٨] [١]. ورجح آخرون الموصولية بعد أن أشاروا إلى جواز الوجهين[٢].

اما قوله تعالى: **(وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ)** [الشورى: ٣٠]، فقد قرأ نافع وابن عامر بغير فاء ، وكذلك هي في مصاحف المدينة وأهل الشام ، وقرأ الباقون (فبما) [٣]، وذكر الزجاج انها في مصاحف أهل العراق بالفاء ، وانه في العربية أجود[٤]. وذهب النحاس إلى ان (ما) في هذه الآية شرطية ، وذكر أن هذا هو أولى الأقوال بالصواب واستبعد ان تكون بمنزلة (الذي) ؛ لأنه به يقع المعنى مخصوصا بالماضي، مع أن المراد عموم الزمن[٥]. وبمثل هذا قال مكي[٦] وابو البركات بن الانباري[٧] والعكبري[٨]. وقطع الزمخشري بالشرطية بذكر الفاء ، والموصولية بحذفها[٩]. وقد احتج السهيلي[١٠] وابن قيم الجوزية[١١]، بكون (ما) شرطية في قوله تعالى (ولا انا عابد ما عبدتم)

---

(١) معاني القران ١/١٠٤-١٠٥.

(٢) الامالي الشجرية ٢/٢٣٦ والتبيان في إعراب القران ٢/٧٩٨ ومغني اللبيب ١/٣٠٢، و (ما) في الوجهين في محل رفع على الابتداء.

(٣) كتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد ص٥٨١.

(٤) معاني القران وإعرابه ٤/٣٩٩.

(٥) إعراب القران ٣/٦١-٦٢.

(٦) مشكل إعراب القران ٢/٦٤٦.

(٧) البيان في غريب إعراب القران ٢/٣٤٩.

(٨) التبيان في إعراب القران ٢/١١٣٣.

(٩) الكشاف ٤/٢٢٥.

(١٠) الروض الأنف ٣/٣٢٥-٣٢٦.

(١١) التفسير القيم ص٥٢٧.

[الكافرون: ٤]؛ بدلالتها على العموم، فلو دلت على شيء بعينه لكانت موصولة.

فقد فرق النحاة والمفسرون بين (ما) الشرطية و (ما) الموصولة في الشواهد القرآنية التي مر ذكرها في أمرين:

احدهما: ان (ما) الموصولة تدل على شيء بعينه، بخلاف (ما) الشرطية الدالة على معنى العموم. وقد تبين في الفصل الأول ان (ما) الموصولة اسم مبهم. وقد صرح النحاة بأنها لإبهامها، صلحت دون (الذي) لمعنى الشرط ، فكلتاهما تدل على العموم ، ولا تدل على شيء بعينه في كل موضع، فلا فرق بينهما في هذا الباب.

والآخر: أن الفعل الماضي مع (ما) الشرطية يدل على الاستقبال ، ومع الموصولة يكون على ظاهره أي: دالا على الزمن الماضي.

وخروج الفعل الماضي الى معنى المستقبل ، غير مقتصر على الشرط، بل هو أمر عام في العربية ، وقد حدث مثل هذا مع (ما) الموصولة، كالذي في قوله تعالى: **(وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ)** [الانعام: ١٣] والمراد كما هو ظاهر من اللفظ : الساكن في الليل والنهار. ماضيا وحاضرا ومستقبلا، وقوله تعالى **(وما خلق الذكر والأنثى)** [الليل: ٣]. وهذا الخلق لم يكن فيما مضى من الزمن فانقطع ، بل هو قائم ومستمر إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، كما قال تعالى (انه هو يبدي ويعيد) [البروج: ١٣]. وقد ورد الشرط والصلة ماضيين، واتحدت دلالة زمانيهما ، لوقوعهما في سياق واحد، كما في قوله تعالى: **(إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ)** [النساء: ١٧٦]. ويلحظ من الناحية الأسلوبية أن سياق هذه الآية اقتضى ان تكون دلالة الفعل (ترك) الزمانية الذي هو صلة (ما) الموصولة هي دلالة الفعل (هلك) الزمانية نفسها الذي وقع شرطا فإذا صرف احدهما إلى معنى الاستقبال

وجب صرف الثاني إليه وقد ذكر ابن قيم الجوزية أن المشهور عند النحاة ((إن الشرط والجزاء لا يتعلقان إلا بالمستقبل، فان كان ماضي اللفظ كان مستقبل المعنى)) ورد على النحاة بقول الله تعالى: (إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ) [المائدة: ١١٦] وأكد أن الشرط هنا ((دخل على ماضي اللفظ وهو ماضي المعنى قطعا)) واستبعد تأويلات النحاة في تخريج هذه الآية ووصفها بأنها ضعيفة جدا وبين ان فيها تحريفا للآية، لا يقول بها عاقل وانه ((لا يجوز تحريف كلام الله انتصارا لقاعدة نحوية)) وذكر ان من هذا الباب قوله تعالى: (إِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الكَاذِبِينَ * وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِن الصَّادِقِينَ) [يوسف: ٢٦-٢٧] وقول النبي صلى الله عليه وسلم (ان كنت ألممت بذنب فاستغفري الله وتوبي إليه)) [(١)] وكذلك احتج د. السامرائي في هذا الباب بآيات منها قوله تعالى: (حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنتُ أَنَّهُ لا إِلَـهَ إِلاَّ الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ) [يونس: ٩٠]، وقوله تعالى: (حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا) [الكهف: ٧١]، وقوله تعالى: (قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَلا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئًا) [الاحقاف: ٨] وقوله تعالى: (وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا) [الجمعة: ١١]. ومما يدل على المضي مع (ما) الشرطية قوله تعالى: (وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللَّهِ) [آل عمران: ١٦٦]: وقوله تعالى: (قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ) [سبا: ٤٧]، وقوله تعالى: (مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ) [الحشر: ٥] [(٢)].

والذي يبدو أن الفرق الأساسي بين (ما) الموصولة و (ما) الشرطية ، ان الأولى تكون في أسلوب خبري ، والثانية تكون، كما هو ظاهر من

---

(١) بدائع الفوائد ١/٤٥-٤٦.

(٢) فعل الشرط، دلالته وزمنه. بحث للدكتور فاضل السامرائي. منشور في مجلة الضاد- ص١٠٨-١١٢.

التسمية ، في أسلوب شرطي، والأسلوب الخبري هو الأصل وكان العرب إذا أرادوا تقوية ربط الخبر بالمبتدأ ، جعلوا العلاقة بينهما شرطية ، وتوصلوا لتقوية هذا الربط، وتحقيق هذه العلاقة بجزم الفعل أو بالربط بالفاء ، والدليل على ذلك أن النحاة يجمعون على أن (الذي) وفروعها تكون في الكلام اسما موصولا ولا تكون اسم شرط، لكن قد ورد ربط خبرها بالفاء كقوله تعالى: **(قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلاقِيكُمْ)** [الجمعة:٨] ونحو: الذي يأتيني فله درهمان. وقد فسروا ذلك بتضمن (الذي) معنى الشرط[١].

فالجزم او الربط بالفاء ، يكون كل منهما علامة على أن المراد من (ما) معنى الشرط لا معنى الموصولية[٢]. وبدون هاتين العلامتين يرجح احد الوجهين من سياق الآية، كما في قوله تعالى: **(وَإِذْ أَخَذَ اللّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّيْنَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ)** [آل عمران: ٨١].

فقد قرئت لام (لما) بالكسر والفتح[٣] فمن قرأ بالكسر جعل (ما) موصولة، ومن قرأ بالفتح أجاز في (ما) أن تكون موصولة او شرطية، وعند جعلها موصولة تكون مرفوعة على الابتداء وتحتاج إلى أن يعود عليها الضمير من صلتها والتقدير: لما اتيتكموه، وقوله (ثم جاءكم رسول) معطوف على الصلة، (أتيتكم) والعائد منه محذوف، وتقديره ثم جاءكم رسول به، أي: بتصديقه، بتصديق ما أتيتكم. واشترط تقدير هذا الضمير في الجملة المعطوفة على الصلة ؛ لأنها بمنزلة الصلة ، غير ان كثيرا من النحاة لا يجيزون هذا الحذف ؛ لذلك اختار أكثر المحققين ان تكون (ما)

---

(١) الكتاب ١٠٢/٣.

(٢) مغني اللبيب ٣٠٣/١.

(٣) معاني القرآن للفراء ١/ ٢٢٥ وكتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد، ص٢١٣.

شرطية ، لأنها لا يشترط فيها عود الضمير عليها وتعرب عندئذ في موضع نصب[1]. ويرجح هذا الوجه كون الآية واردة في سياق اخذ العهود والمواثيق، وهو سياق يلائمه معنى الشرط ؛ لأنه أقوى من معنى الموصولية.

ومن النحاة من ذكر ان (ما) الشرطية إذا دخلت على فعل لازم ، كانت شرطية ظرفية ، نحو: ما تقم أقم ، وما تقعد اقعد ، أي : إذا قعدت قعدت مدة قعودك، وكذلك الحال ، إذا قمت. وجعل من ذلك قوله تعالى: (فَمَا اسْتَقَامُواْ لَكُمْ فَاسْتَقِيمُواْ لَهُمْ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ) [التوبة: ٧]. أي : استقيموا لهم مدة استقامتهم لكم[2].

وجاز في (ما) في قوله تعالى: (فَمَا اسْتَمْتَعْتُم بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ) [النساء: ٢٤] أن تكون شرطية زمانية أو موصولة[3].

والظاهر ان (ما) في هذه الآية شرطية عائدة على جنس النساء ، والهاء في (به) عائد على معنى الجنس الذي يعامل معاملة المفرد المذكر غير العاقل. والضمير (هن) في (فأتوهن) و (أجورهن) عائد على أعيان

---

(١) معاني القران للاخفش ٢٠٩/١ وجامع البيان ٥٥٣/٦. ومعاني القران وإعرابه للزجاج ٤٣٦/١-٤٣٧. والحجة في القراءات السبع لابن خالويه ص١١٢ وسر صناعة الإعراب ٣٩٩/١ ومشكل إعراب القران ١٦٥/١-١٦٦. والبيان في غريب إعراب القران ٢٠٩/١-٢١٠. جاز عند فتح اللام إعراب (ما) موصولة في محل رفع مبتدأ والخبر (من كتاب وحكمة) و (من) زائدة، أو الخبر (لتؤمنن) واللام لام الابتداء وجاز إعرابها شرطية في محل نصب مفعولا به ثانيا؛ لان الفعل (أتيتكم) متعد إلى مفعولين لم يستوف مفعوله الثاني واللام للتوكيد.

(٢) نظم الفرائد وحصر الشرائد لابن المهبلي ص٢٥٥.

(٣) وهذا رأي نسبه ابن هشام إلى عدد من النحاة؛ مغني اللبيب ٣٠٢/١.

النساء وأشخاصهن لذلك أنث وجمع. والمعنى: فأي جنس كان استمتعتم به من النساء فأتوهن أجورهن.

(٢)

الشرطية المركبة

ذكر الخليل أن (مهما) مركبة من عنصرين: (ما) الشرطية و (ما) ، الزائدة: وذكر أن العرب ((استقبحوا أن يكرروا لفظا واحدا ، فيقولوا : ماما فأبدلوا الهاء من الألف التي في الأولى))، وأجاز أن ((تكون مركبة من (مه) ضم إليها (ما)))[١]. وأشار الزجاج الى هذين الوجهين ، وذكر في الوجه الثاني انه يجوز ان تكون (مهما) مركبة من (مه) بمعنى اكفف و (ما) الشرطية[٢]. ((وحكى ابن الانباري: مَهْمَن يُكْرِمني أكْرِمهُ وقال : الأصل: مَنْ مَنْ يُكْرِمني ، (من) الثانية تأكيد بمنزلة (ما) فأبدل من نون (من) الأولى هاء ، كما أبدلوا من ألف (ما) الأولى هاء في (مهما) وذلك لمؤاخاة (ما) (من) في أشياء وان افترقا في شيء واحد فكره اجتماع (من) مرتين كما كَره ذلك في (ما)))[٣].

فهذان وجهان في ماهيتها وتركيبها. وهناك وجه ثالث، هو أن تكون (مهما) اسما مفردا غير مركب ، ومعناه العموم لان الأصل عدم

---

(١) الكتاب ٥٩/٣-٦٠ والامالي الشجرية ٢٤٦/٢-٢٤٧.

(٢) معاني القران وإعرابه للزجاج ٣٦٩/٢ والبغداديات ص٣١٣. والكشاف ١٤٦/٢ والبيان في غريب إعراب القران ٣٧١/١ وشرح المفصل لابن يعيش ٨/٤ وشرح الرضي على الكافية ٨٧/٤-٨٨ وارتشاف الضرب ٥٤٧/٢-٥٤٨.

(٣) مشكل إعراب القران ٢٩٩/١، وابن الانباري: هو أبو بكر بن الانباري (ت ٣٢٨هـ).

التركيب[1]. وذهب فريق من النحاة إلى أنها كلمة غير مركبة على وزن (فعلى) فحقها على هذا أن تكتب بالياء[2] أي: الألف المقصورة لا الطويلة.

وقيل: إنها حرف ومنهم من ذكر أنها وردت بمعنى الظرف في كلام العرب ، أو بمعنى الاستفهام[3].

وعند البحث في الفرق بين (مهما) و (ما) ، نجد (مهما) خالصة لمعنى الجزاء[4]، ولا يدخل عليها حرف جر ، ولا يضاف إليها ، فلا يقال : على مهما تكن أكن ، ولا جهة مهما تقصد اقصد ، ولا تزاد بعدها (ما) ، فلا نقول: مهما ما يفعل افعل[5].

ووردت (مهما) في القران الكريم في موضع واحد، وهو قوله تعالى: (وَقَالُواْ مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِن آيَةٍ) [الأعراف: ١٣٢].

ويبدو ان (مهما) هنا مثل (ما) في أنها أداة شرط ، الا انه زيد في مبناها لتقوية معنى الشرط فيها وتوكيده ، وهذا واضح من سياق الآية ، فقد استعملت تعبيرا عن شدة إصرار فرعون وحاشيته على عدم الإيمان بما جاء به موسى ، عليه السلام، من آيات بينات ، حتى انهم لم يتركوا لأنفسهم عذرا لإمهالهم ، لذلك ورد بعدها قوله تعالى: (فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُّفَصَّلاَتٍ فَاسْتَكْبَرُواْ وَكَانُواْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ) [الأعراف: ١٣٣].

---

(١) شرح الرضي على الكافية ٨٩/٤.

(٢) شرح الرضي على الكافية ٨٧/٤-٨٨ وشرح المفصل لابن يعيش ٤٢/٧.

(٣) الجنى الداني ص٥٥٠-٥٥٢ ومغني اللبيب ٣٣٠/١-٣٣٢.

(٤) التبيان في تفسير القران ٥١٩/٤ وشرح الرضي على الكافية ٨٨/٤-٨٩.

(٥) ارتشاف الضرب ٥٤٨/٢ وكشف المشكل في النحو للحيدة اليمني ٦٠١/١.

البـــاب الثاني

(ما) الحرفية

الفصل الأول

(ما) المصدريـــــة

المبحث الأول

(ما) المصدرية والموصولات الحرفية

عدت (ما) من الحروف المصدرية ، وعرف الحرف المصدري بأنه الذي يؤول مع ما يليه من الفعل بمصدر ، نحو: سرني ما صنعت أي: سرني صنعك[1]، وسرني ما قمت ، أي: سرني قيامك وعجبت مما قعدت، أي: من قعودك[2].

ومن الحروف المصدرية (ان)، ويفرق النحاة بينها وبين (ما) ، بان الأولى تكون للمضي أو الاستقبال، والثانية تكون للحال[3]، وذكر ابن قيم الجوزية انه يحسن أن تقول : يعجبني قيامك وجلوسك وذهابك ، ولا يحسن ان تقول : يعجبني ما تقوم وما تجلس وما تذهب ، او انه ليس مثله في الحسن والجواز . ونسب إلى السهيلي ، أن السر في ذلك ، هو ان (ما) لا يصح وقوعها الا على مصدر تختلف أنواعه: ((كقولك: يعجبني ما صنعت وما عملت وما حكمت ؛ لاختلاف الصنعة والعمل والحكم)) ؛ لذلك لا يقال : يعجبني ما جلست وما قعدت وما قمت وما نطق زيد ؛ لأنها وقعت على مالا يتنوع من المعاني. وذهب ابن القيم الى انه يصح وقوع (ما)

---

(١) الكتاب ٣٢٩/٢، ١٥٣/٣، ١٥٦، ٢٢٨/٤، والمقتضب ٤٨/١، وشرح الرضي على الكافية ٦/٣.

(٢) المقتضب ١٩٧/٣، واللمع لابن جنى ص٢٦٨، والمختصر في النحو للجواليقي ص١٦٩.

(٣) سر صناعة الإعراب ٥٤٩/٢.

على القبيلين[1]، والصحيح ما ذهب إليه السهيلي ، وهذا هو السر فيما يبدو في لزوم إعراب (ما) موصولة وامتناع إعرابها مصدرية اذا وقع بعدها أداة من أدوات النفي كما تبين هذا في المبحث الثالث من الفصل الاول ذلك أن الجملة المنفية تمثل حالة العدم ، والعدم أمره واحد جميعه فليس هو مما يتنوع ليصح وصفه او تخصيصه.

وأشارت دراسات حديثه إلى ان وظيفة الحروف المصدرية عامة ، هو إيقاع الجملة موقع المفرد[2]. والحقيقة ان هذه الوظيفة وظيفة (ان) دون (ما) ، فالمفرد يقع فاعلا ومفعولا ، ومبتدأ، وخبرا ونائب فاعل ومضافا اليه ومجرورا، بدون وساطة أداة ، اما الجملة فان تسليط احد هذه المعاني عليها ، لا يكون الا باستعمال (ان)، فإذا أريد مثلا جعل الفعل (اكتب) مفعولا به، قيل : أردت ان اكتب ، وإذا أريد جعل الفعل (تنجح) فاعلا ، قيل : سرني ان تنجح ، فقد استعملت (ان) مهيئة لإيقاع معاني الفاعلية والمفعولية والإضافة وغيرها من المعاني المذكورة على الجملة ، وليس لها معنى، ولم تستعمل الا لهذا الغرض اللفظي ، أما (لو) المصدرية ، فقد استعملت لمعنى التمني ، و (كي) المصدرية لمعنى التعليل ، الا انهما تؤديان الوظيفة التي اختصت بها (ان) أي: انهما تجمعان الى غرضهما المعنوي غرض التهيئة.

واذا قيل: ان الجملة الفعلية قد تقع مفعولا به بدون (ان) نحو: ظننت زيدا يكتب، فالجواب عن ذلك ان جملة (يكتب) وان اعربت هنا في محل نصب مفعولا به الا انها في المعنى ليست كذلك ؛ لان حدوث الظن وقع على زيد وليس على (يكتب) التي هي في المعنى وصف لزيد ، واذا قيل

---

(١) بدائع الفوائد ١٤٢/١-١٤٣.

(٢) في النحو العربي – قواعد وتطبيق للدكتور مهدي المخزومي ص٤٤، ومعاني النحو للدكتور فاضل السامرائي ١٤٧/٣-١٤٨.

أيضاً : ان الجملة قد تقع خبرا من غير (انْ) نحو: زيد يكتب ، فالجواب عن ذلك أن الفعل (يكتب) لم يقع خبرا الخبر الذي هو نفس المبتدأ في المعنى ، فالعلاقة بينهما في التركيب علاقة مبتدأ وخبر، ولكنها في المعنى علاقة فعل وفاعل إلا أن الفاعل تقدم على فعله ، فلو أريد جعل (يكتب) خبرا كالخبر في قولنا: زيد أخوك، لوجب استعمال (ان) وان يقال: زيد أن يكتب ، ولا يصح هذا التركيب لعدم صحة معناه ، ويجب استعمال (ان) عند إرادة هذا المعنى بعد صحة وقوعه ، نحو الشجاعة ان تقول الحق فاستعملت (ان) لان المراد جعل جملة (تقول) خبرا كالخبر في المثال المذكور: زيد أخوك.

اما (ما) المصدرية فان القصد من استعمالها يختلف عن (ان) المصدرية ، فقد تبين في الفصل الأول مَنْ كلام النحاة ان (ما) اجتلبت في الكلام لتكون وصلة لوصف ما هو مبهم عام بصلتها ويتحدد نوع (ما) من تحديد نوع هذا الموصوف، ففي قولنا مثلا: أعجبني ما صنع زيد، تعد (ما) موصولة إذا قصد بالموصوف الشيء المصنوع ، والمعنى: أعجبني الشيء الذي صنعه زيد ، وتعد مصدرية إذا قصد بالموصوف الصنع ، أي: المصدر ويكون المعنى أعجبني الصنع الذي صنع زيد ، وقد يعتمد هذا التقدير لتفسير معناها ، فقد جعل الفراء قوله تعالى: **(قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ)** [الصافات: ١٠٢] بتقدير:افعل الأمر الذي تؤمر[١]،وكذلك قدره الطبري[٢]. وجعل قوله تعالى: **(أَلاَ سَاء مَا يَزِرُونَ)** [الانعام: ٣١] بتقدير: ساء الوزر الذي يزرون[٣]وقوله تعالى: **(سَاء مَا يَحْكُمُونَ)** [الانعام: ١٣٦]

---

(١) معاني القران ٩٤/٢.

(٢) جامع البيان ٦٩/١٤.

(٣) المصدر نفسه ٣٢٨/١١.

[العنكبوت: ٤] بتقدير: ساء حكمهم الذي يحكمون[١]. لذلك كان الاخفش يصرح احيانا بان (ما) المصدرية اسم ، فقد قال مثلا في إعراب قوله تعالى: (عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ) [التوبة: ١٨٢]: ((جعل (ما) اسما و (عنتم) من صلته)) [٢]. ونسب المبرد[٣] وكثير من النحاة[٤] الى الاخفش انه جعل قوله تعالى: (وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ) [آل عمران: ١١٨] بتقدير : ودوا العنت الذي عنتموه وقوله تعالى: (وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ) [التوبة: ٢٥]. وقوله تعالى: (حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ) [التوبة: ١١٨] بتقدير: بالرحب الذي رحبته ، وجعل نحو: أعجبني ما صنع زيد ، بتقدير: اعجبني الصنع الذي صنعه زيد.

وتبنى ابن السراج مذهب الاخفش ، وصرح بان (ما) المصدرية اسم، فجعلها بمنزلة (الذي)، نحو: فعلت ما فعل زيد ، والمعنى: فعلت الفعل الذي فعل زيد[٥] وكذلك عدها الطوسي[٦]. وذهب السهيلي أيضا الى ان اسمية (ما) المصدرية ترجع الى انها بمنزلة الاسم الموصول (الذي) ومعناها ، فأجاز جعل (ما) موصولة او مصدرية في قوله تعالى (فاصدع بما تؤمر) [الحجر: ٩٤]، وجعل الاية في الوجه الأول بتقدير: فاصدع بالذي تؤمر به ، وجعلها في الوجه الثاني بتقدير : فاصدع بالأمر الذي

---

(١) المصدر نفسه ١٣٠/٢٠.

(٢) معاني القران ٣٣٩/٢.

(٣) المقتضب ٢٠٠/٣.

(٤) البغداديات ص٢٧١، والامالي الشجرية ٢٤٠/٢، وشرح جمل الزجاجي ٤٥٧/٢، وشرح المفصل ١٤٢/٨، وتسهيل الفوائد ص٣٨ وشرح الرضي على الكافية ٥٢/٣، وقطر الندى ص٤٢، ورصف المباني ص٣١٥.

(٥) الأصول في النحو ١٩٢/١-١٩٤.

(٦) التبيان في تفسير القران ٥٠٥/٤.

تؤمره[1]. وعلى هذا الأساس فرق ابن القيم بين (ما) و (أن) المصدريتين مبينا انك ((اذا قلت: اريد ان تقوم ، كان مستقيما ، ولو قلت اريد ما تقوم: لم يستقم ، وكذلك أحب ان تأتيني ، لا تقول: موضعه : أحب ما تأتيني ، وسر المسالة ان (ما) المصدرية ملحوظ فيها معنى (الذي))) [2].

ويمثل النحاة لــ(ان) المصدرية بقولهم : عجبت من ان يقوم زيد ، ولــ(ما) المصدرية بقولهم عجبت مما تضرب زيدا[3]. الا أنهم لا يشيرون الى الفرق بينهما ، ولا يشيرون مثلا الى الفرق بين هذا المثال وقولنا : عجبت من ان تضرب زيدا، فالمثال باستعمال (ان) يفيد إنكار الضرب ، وباستعمال (ما) يفيد الإقرار به وعدم إنكاره ، كأنّ المعنى : يجوز لك ان تضرب ؛ اذ ليس المراد التعجب من حدوث هذا الفعل بل من طريقته.

فهما وان وحّد النحاة بينهما بمعنى المصدرية يفترقان في الدلالة حتى انه ليصح الجمع بينهما إثباتاً ونفيا ، فمن ذلك انه اذا ابتدر صبي الكلام في مجلس ضم كبار الناس ، فأحسن التكلم معنى ولغة ، إلا انه أساء ؛ اذ لم يدع من هو اكبر منه سنا يبدأ الكلام قبله ، فإنه يصح ان يقال فيه : سرني ما تكلم الصبي وما سرني أن تكلم.

فبين (ما) و (ان) فرق أساسي حتى انه لا يصح ان تحل إحداهما محل الأخرى وهذا ما نبه عليه د. السامرائي في ايات من القران الكريم من ذلك قوله تعالى: (**فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا**) [النساء: ٦٥] فبيَّن انه لا يصح ان نجعل (ان) محل (ما) ونقول: من ان قضيت ؛ لان المعنى سيكون عند ذلك : الا يجدوا حرجا من كونك تقضي ، او من مبدأ

---

(١) الروض الانف ٣/٣٩-٤٠.

(٢) بدائع الفوائد ١/١٤٦.

(٣) شرح ابن عقيل ١/١٣٨-١٣٩.

انك تقضي، وليس هذا هو المقصود اذ ليس في أنفسهم حرج من ذلك ، بل المقصود ان عليهم ان يرضوا بما يقضي، ولو كان ما يقضي به لا يوافق هواهم ورغبتهم. وقوله تعالى: **(سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ)** [الانعام: ١٠٠]. فلو قال : سبحانه وتعالى : عن ان يصفوا ، لكان المعنى تنزيه الله عن مجرد الوصف، وليس هو المقصود ؛ اذ لا شك ان له الصفات العليا، وانما المقصود تنزيهه ، سبحانه وتعالى عن الوصف الباطل والصفات التي لا تليق بذاته العلية(١).

وكذلك استعملت (ما) ولم تستعمل (ان) في قوله تعالى: **(أَثَابَهُمُ اللّهُ بِمَا قَالُواْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا)** [المائدة: ٨٥]: وقوله تعالى: **(لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاؤُوا بِمَا عَمِلُوا)** [النجم: ٣١]. لان الثواب والجزاء يكونان على نوع القول والعمل لا على مجرد حدوثهما.

وفي صدد التفريق بين (ما) المصدرية والمصدر الصريح قال ابن القيم ((انها لا تقع مع كل فعل في تأويل المصدر وان وقع المصدر في ذلك الموضع ، فانك اذا قلت: يعجبني قيامك ، كان حسنا فلو قلت: يعجبني ما تقوم ، لم يكن كلاما حسنا ، وكذلك إذا قلت : يعجبني ما تذهب ، لم يكن في الجواز والاستعمال مثل: يعجبني ذهابك)) (٢).

وقد اتضح سر هذه المسالة ، فكل من (ان) و (ما) المصدريتين لم تستعمل لتسبك مع الفعل بمصدر ، اما (ان) فقد استعملت مهيئة ، وهذا يعني ان الفعل باستعمالها يبقى دالا على أصله ؛ لذلك كانت مع صلتها مناظرة لمعنى المصدر الصريح الدال على الحدوث كالذي في قوله تعالى: **(قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ)** [الأعراف: ٢٩] وهذا المصدر لا يصح ان يدل على

---

(١) معاني النحو ٣/١٥٤-١٥٥.

(٢) بدائع الفوائد ١/١٤٢.

النوع ؛ لانه ليس جنسا مما يتنوع ، فلا نقول: أمر ربي بما تقسطوا، اذ لا معنى لهذا الكلام ، فالقسط لا يكون الا حقا ، فهو بمعنى (تقسطوا) إلا ان الفعل لا يجوز جره الا باستعمال (ان) فلزم ان يكون التقدير: أمر ربي بان تقسطوا، واما (ما) فقد استعملت وصلة لوصف ما يدل على معنى المصدر بصلتها ؛ لذلك كانت مع صلتها مناظرة لمعنى المصدر الصريح الدال على النوع كالذي في قوله تعالى: (**وَقُلِ اعْمَلُواْ فَسَيَرَى اللّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ**) [التوبة: ١٠٥] والمصدر في هذه الآية لا يصح ان يدل على الحدوث لانها في سياق مجازاة الله لعباده والجزاء يكون على نوع العمل لا على مجرد العمل ؛ لذلك صح جعلها بتقدير: قل اعملوا فسيرى الله ما تعملون، وما صح جعلها بتقدير: قل اعملوا فسيرى الله ان تعملوا.

وقد يرد المصدر ولا يصح فيه هذا الوجه ولا ذاك فيمتنع ان تستعمل في موضعة (ما) او (ان) لأنه قد يرد لا ليدل على الحدوث ولا على النوع ، بل ليدل على معنى اسم المفعول كالذي في قوله تعالى: (**يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهرَكُمْ**)[الانعام: ٣] أي: يعلم مسروركم ومجهوركم[1] او ليدل على معنى اسم الفاعل كالذي في قوله تعالى: (**الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ**) [البقرة: ٣] أي: يؤمنون بالغائب[2] فلا يصح جعل الآية بتقدير: الذين يؤمنون بان غاب ؛ لان مجرد الغيب لا يحتاج إلى إيمان ، وإذا جعلناه بتقدير: الذين يؤمنون بما غاب ، تعين ان تكون (ما) موصولة وامتنعت المصدرية لعود الضمير المستتر في (غاب) عليها والموصولية واسم الفاعل معناهما واحد.

ولم يبين النحاة والمفسرون هذا الفرق بينهما فقد أجازوا كما مر في الباب الأول جعل (ما) مصدرية في قوله تعالى: (**وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا**

---

(١) التبيان في اعراب القران ١/٤٨٠.

(٢) المصدر نفسه ١/١٨.

تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ) [آل عمران: ٤٩] بتقدير: وأنبئكم بأكلكم وادخاركم[1] وهذا المصدر المقدر يصح معناه اذا قصد به دلالته على النوع بمعنى: الطريقة أو الكيفية التي يأكلون بها ويدخرون، ولا يصح اذا قصد به دلالته على الحدوث فلا شك في انه ما من إنسان لا يأكل ، والا لما عاش وقلما لا يدخر ، ولا سيما الذين عاشوا في عهود الأنبياء فلا يدل الإخبار بأكله وادخاره على علم عالم أو نبوة نبي ؛ لذلك لم يصح استعمال ان بدلا من (ما) في هذا الموضع إذ لا معنى لقولنا أيضاً : وأنبئكم بان تأكلوا وتدخروا.

ويبدو أن المصدر الدال على النوع ، يصح ان يثني ويجمع ؛ لأنه يعامل معاملة الأسماء ، بخلاف الدال على الحدوث فانه لا يصح ذلك فيه؛ لأنه يعامل معاملة الأفعال ، ولا يدل الفعل ، كما هو معروف ، الا على الحدوث ، فكيف يصح ان يدل مع (ما) على مصدر دال على النوع؟ فهذا لا يمكن تعليله الا بما بيناه من ان (ما) المصدرية استعملت أداة لوصف مصدر محذوف بصلتها ، وهذا الموصوف هو المصدر الدال على النوع ، ولوجوب حذفه ، نابت (ما) منابه في الإعراب وأخذت مع الفعل دلالته ومعناه.

وثمة فرق آخر بينهما هو ان الفعل يبدأ حادثا فيعبر عنه في البدء باستعمال (ان) ثم لا يؤدى بمعنى المصدر واستعمال (ما) الا بعد ان يتجاوز حدوثه ، فالفعل بالمعنى الأول ابلغ من حيث كونه في حالة ممارسة عملية ، وهو بمعنى المصدر ابلغ من حيث إتمام معناه ؛ لذلك استعمل (ان) في قوله تعالى: (مِن بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ) [الفتح: ٢٤].

---

(١) معاني القران وإعرابه ١/٤١٤.

نقل ابن كثير في تفسيره حديثا رواه الإمام احمد ومسلم وغيرهما ((عن انس بن مالك رضي الله عنه قال : لما كان يوم الحديبية هبط على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ثمانون رجلا من أهل مكة بالسلاح من قبل جبل التنعيم يريدون غرة رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعا عليهم فاخذوا قال عفان : فعفا عنهم، فنزلت هذه الآية: (**وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِن بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ**)))[1]، فزمن كف الأيدي متصل بزمن الظفر وكلاهما حاصل قبل ان يتفرق الجمعان مما يوجب استعمال (ان).

ولذلك لزم استعمال (ان) قبل (تأتينا) و (ما) قبل (جئتنا) في قوله تعالى: (**قَالُواْ أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِينَا وَمِن بَعْدِ مَا جِئْتَنَا**) [الاعراف: ١٢٩] ذلك أنّ الإتيان هنا في موضع النفي والعدم فلا يتعدى حدوثه الا بعد تحويله إلى الإثبات ويكون ذلك عند المجيء ، ولو قال من بعد ان جئتنا ، لأفاد اتصال الأذية بحدوث المجيء واحتمل انقطاعهما بعد ذلك ، فاستعمل (ما) لإفادة استمرارها ، ولأنه بها يتم المعنى ويستقر استعملها في قوله تعالى: (**يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ**) [الأنفال: ٦]، ليبين لهم انه لا عذر لهم في أن يجادلوا في الحق الذي اكتمل تبينه، ولهذا كان مما يناسب المقام استعمال (أن) لا (ما) في قوله تعالى: (**مِن بَعْدِ أَن نَّزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي**) [يوسف:١٠٠] لأنه أريد باستعمال (أن) أن النزاع بين يوسف عليه السلام وإخوته كان مجرد حدوث وحالة مؤقتة لا يستوجب القطيعة الدائمة وعدم التسامح والمغفرة لان (نزغ) باستعمال (أن) يبقى فعلاً ويفيد ما يفيده الفعل من معنى التجدد والحدوث لكنه ، باستعمال (ما) وقولنا : (من بعد ما نزغ الشيطان) تفيد معنى المصدرية الدال على ثبات

---

(١) تفسير ابن كثير ١٩٢/٤.

حدوث النزغ واستقرار أمره لأنه يكون بتقدير: من بعد النزغ الذي نزغ الشيطان ، وقد ترد (ان) قبل الفعل ولا تفيد وقوع المعنى عليه ولكن تفيد تأكيد معنى الحدوث فيه من ذلك وورودها بعد (لما) قال الزمخشري في قوله تعالى: **(وَلَمَّا أَن جَاءتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا)** [العنكبوت:٣٣] (((ان) صلة اكدت وجود الفعلين مرتبا احدهما على الآخر في وقتين متجاورين لا فاصل بينهما كأنما وجدا في جزء واحد من الزمان كأنه قيل: لما أحس بمجيئهم فاجأته المساءة من غير ريث)) [(١)].

وكما استعملت (ما) وصلة لوصف المصدر بصلتها استعملت (الذي) لهذا الغرض وقد ذكر النحاة أن (الذي) قد ترد حرفا مصدرياً في كلام العرب وأشعارهم كقول عبد الله بن رواحة:

فَثَبَّتَ الله ما أتاكَ من حَسَـنٍ   في المرسلين ونصرا كالذي نصروا[(٢)]

ومن شواهدها في القران الكريم قوله تعالى: **(ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِيَ أَحْسَنَ)** [الانعام: ١٥٤]. وقوله تعالى: **(وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُواْ)** [التوبة: ٦٩] وقوله تعالى: **(ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ)** [الشورى: ٢٣] والتقدير عندهم: تماما على احسانه. وخضتم كخوضهم، وذلك تبشير الله[(٣)] ومنهم من منع ان تكون مصدرية وعدها موصولة بتأويلات مختلفة[(٤)].

---

(١) الكشاف ٤٥٣/٣، ومغني اللبيب ٣٤/١-٣٥.

(٢) أوضح المسالك ٩٨/١، وتسهيل الفوائد ص٣٧، وشرح الكافية ٢٦٦/١-٢٦٧.

(٣) معاني القران للفراء ٣٦٥/١ وإعراب القران المنسوب إلى الزجاج ٣٧٣/١، وشرح الكافية الشافية لابن مالك ٢٦٧/١، ٢٦٨، ومغني اللبيب ٥٦٦/٢-٥٦٧.

(٤) ينظر المصادر السابقة، وجامع البيان عن تأويل أي القران ٣٢٠/١، والكشاف ٢٨٨/٢، وشرح ابن عقيل، الحاشية ١/ ١٥٩ وشرح التصريح على التوضيح

و (الذي) المصدرية في هذه الشواهد ليست بما قدره النحاة بل هي بتقدير: والنصر الذي نصروا ، وكالخوض الذي خاضوا ، وتماما على الإحسان الذي أحسن ؛ وذلك التبشير الذي يبشر الله ، والدليل على ذلك قوله تعالى: **(وَعْدَ الصِّدْقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ)** [الاحقاف: ١٦] فــ(وعد الصدق) مصدر موصوف بــ(الذي كانوا يوعدون) ، ومن النحاة من جعلها بهذا التقدير فقد قال الفراء في قوله تعالى: **(وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُواْ)** ((يريد كالخوض الذي خاضوا)) [1]. وذكر الرضي ما لفظه ((فاما (الذي) المصدرية فلا خلاف في أسميتها كقول علي رضي الله عنه: ((نزلت أنفسهم في البلاء كالذي نزلت في الرخاء)) أي: نزولا كالنزول الذي نزلته في الرخاء)) [2].

وفي القران الكريم شواهد أخرى غير التي أشار إليها النحاة والمفسرون كالذي في قوله تعالى: **(قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ)** [الانعام: ٣٣] والتقدير: قد نعلم انه ليحزنك القول الذي يقولون وكالذي في قوله تعالى: **(لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ)** [الزمر: ٣٥] والتقدير: ليكفر الله عنهم أسوا العمل الذي عملوا ويجزيهم أجرهم بأحسن العمل الذي كانوا يعملون.

فكل من (ما) و (الذي) في نحو : وذلكم ما ظننتم بربكم أرداكم ، ونحو: وذلكم الذي ظننتم بربكم أرداكم ، ليست مصدرية لأنها تؤول بما بعدها بمصدر بتقدير : وذلكم ظنكم بربكم أرداكم ، بل كلتاهما مصدرية لأنها وصلة لوصف ما يدل على معنى المصدر بصلتها والدليل على ذلك

لخالد الازهري ١/ ١٣١، ونتائج التحصيل ٢/ ٧٩٨- ٨٠١ وخزانة الأدب ٥٧/٦.

(١) معاني القران ٤٤٦/١.

(٢) شرح الرضي على الكافية ٥٢/٣.

قوله تعالى: (**وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنْ الْخَاسِرِينَ**) [فصلت: ٢٣].

و (ما) المصدرية مثل (ما) الموصولة لا يصح إظهار موصوفها، اما (الذي) المصدرية فهي مثل (الذي) الموصولة يصح إظهار موصوفها فقد ورد محذوفا في الآيات التي استشهد بها النحاة والمفسرون وظهر في هذه الآية وفي الآية التي مر الاستشهاد بها.

-وفرق د. السامرائي بين (ما) الموصولة و (الذي) الموصولة بان الأولى وضعت لما هو عام غير محدد بخلاف الثانية التي وضعت لما هو خاص ومعلوم واحتج لإثبات ذلك بقوله تعالى: (**وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ**) [النحل: ٩٧] وقوله تعالى: (**لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ**) [العنكبوت: ٧] (١).

والظاهر ان (ما) ليست موصولة في سورة النحل ، بل هي مصدرية وكذلك (الذي) في سورة العنكبوت وكذلك قال في قوله تعالى: (**لا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ**) [الكهف: ٧٣] ((المقصود بقوله (بما نسيت) نسيان مخصوص وهو العهد الذي بينهما ، ولو قال: بان نسيت ، كان المعنى انه أخذه بمبدأ النسيان)) (٢)، وكما جاز في (الذي) الموصولة ان ترد عهدية او جنسية جاز ذلك في الذي المصدرية ، والنسيان هنا مصدر دال على النوع كما بيَّن الا انه باستعمال (ما) دل على العموم ولو أراد نسيانا مخصوصا معهودا لاستعمل (الذي) المصدرية العهدية وقال: لا تؤاخذني بالذي نسيت وقوله تعالى: (**فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا**) [النساء: ٦٥]

---

(١) معاني النحو ١/١٤٩-١٥٠.

(٢) معاني النحو ٣/١٥٥.

معناه : فلا يجدوا في أنفسهم حرجا من كل قضاء، أو من أي قضاء كان، قضيت وهو المعنى المراد، ولو قال: بالذي قضيت ، لكان المعنى: بالقضاء الذي قضيت.

واستعمل (ما) في قوله تعالى: (لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا) [القصص: ٢٥]، ليعبر عن سقي موسى عليه السلام بدلالة العموم لا بدلالة الإفراد ليكون المعنى: اجر سقيك ، أي سقي كان ، مهما كان نوعه والجهد الذي بذلته فيه مبالغة منه في مجازاته على إحسانه وتأكيدها ، ولو استعمل (الذي) المصدرية لما أفادت هذا المعنى ولكان التقدير: اجر السقي الذي سقيت ، فيكون الفرق بين (ما) المصدرية و (الذي) المصدرية هو الفرق الذي بيناه في الباب الأول بين (ما) الموصولة و (الذي) الموصولة.

المبحث الثاني

معنى (ما) المصدرية ومعاني (ما) الأخرى

يتحدد نوع الإعراب في أي شاهد كان بتحديد المعنى المفهوم من السياق ، ويكون هذا عندما لا نجد ثمة قرينة لفظية قاطعة تحدد المعنى المراد ، لكنه إذا وجدت هذه القرينة اعتمد عليها ، فإذا قلنا مثلاً : سأل التلميذَ معلمٌ ، فان نسق هذا المثال يقتضي بان يكون (التلميذ) هو الفاعل السائل ، و (معلم) هو المسؤول المفعول؛ إلا أن نصب الأول ورفع الثاني قطع ان يكون المعنى عكس ذلك. وكذلك الأمر في تحديد أنواع (ما).

وكما يشيع التباس (ما) الموصولة بالمصدرية ويرفع هذا الالتباس بعود الضمير عليها ، يشيع التباس (ما) المصدرية بالموصولة ويرفع بتجردها من الضمير العائد ، وهذا ما يجمع عليه النحاة، ويتجلى ذلك في مثل قوله تعالى: (**وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلاَمَ اللّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ**) [البقرة: ٧٥]. فان (ما) في هذه الآية مصدرية ، ولا يصح ان تكون موصولة لتجردها من الضمير العائد، والهاء في (عقلوه) غير عائد على (ما) ، بل على كلام الله، والتقدير : من بعدما عقلوا كلام الله[١].

ومن ذلك قوله تعالى: (**فَإِنْ آمَنُواْ بِمِثْلِ مَا آمَنتُم بِهِ فَقَدِ اهْتَدَواْ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ**) [البقرة:١٣٧]، فان (ما) هنا أيضاً مصدرية ، لان الضمير في به غير عائد عليها ، بل على الله ، سبحانه، او محمد صلى الله عليه وسلم، او القران، ولو قال: فان امنوا بما آمنتم به لكانت (ما) موصولة؛ لعود الضمير في (به) عليها ، والمعنى: فان امنوا بالله الذي آمنتم به[٢].

---

(١) التبيان في إعراب القران ١/٨٠.

(٢) التبيان في إعراب القران ١/١٢١-١٢٢.

وقال ابن الانباري في قوله تعالى: (**لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا**)[القصص: ٢٥] ((ولا يجوز ان تكون (ما) موصولة ؛ لأنها لو كانت موصولة كان المعنيّ بها الماء والذي يجزاه اجر السقي لا اجر الماء ؛ لان الأجر للعمل لا للعين ، فوجب ان تكون مصدرية لا غير)) [١] وبمثل هذا قال ابن هشام فمنع ان تكون موصولة؛ لان الأجر على السقي الذي هو فعله لا على الغنم)) [٢] وسقى :فعل متعدِ الى مفعولين نحو:سقاه الله الغيث ، وقد يقال سقاه لماشيته ولأرضه[٣] فالمعنيّ به في الوجه الممتنع لا يصح ان يكون الماء الا عند جعل الآية بتقدير: اجر الماء الذي سقيته للغنم ، ولا يصح ان يكون الغنم الا عند جعلها بتقدير: اجر الغنم التي سقيتها الماء أو التي سقيتها بالماء.

وتكون (ما) موصولة في قوله تعالى: (**وَاللّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ**)[البقرة:٧٢] ولا تكون مصدرية إلا اذا كانت بمعنى المفعول فيكون التقدير: يخرج كتمانكم، والمراد يخرج مكتومكم[٤] ونظيره قوله تعالى: (**لَن تَنَالُواْ الْبِرَّ حَتَّى تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ**) [آل عمران:٩٢] فان (ما) هنا موصولة ولم يجيزوا ان تكون مصدرية ؛ لان المحبة لا تنفق ، قال العكبري : فإن جعلت المصدر بمعنى المفعول جاز)) [٥] ؛لجواز ان يكون المعنى : حتى تنفقوا المحبوب لديكم من المال والطعام.

وأجاز الفراء في (ما) في قوله تعالى: (**قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ * بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي**) [يس:٢٦-٢٧] ان تكون موصولة او مصدرية ، ثم بيَّن

---

(١) البيان في غريب إعراب القران ٢/٢٣١.

(٢) مغني اللبيب ١/٣٠٣.

(٣) لسان العرب، المجلد الثاني ص١٦٧.

(٤) التبيان في إعراب القران ١/٧٨.

(٥) التبيان في إعراب القران ١/٢٧٩.

انه ((لو جعلت (ما) في معنى (أي) كان صوابا ، يكون المعنى : ليتهم يعلمون أي شيء غفر لي ربي، ولو كان كذلك لجاز فيه : بم غفر لي ربي ،بنقصان الألف)) [١] لان الأصل والأكثر في ألف (ما) الاستفهامية ان تحذف في حالة جرها ، وكذلك قيل : إنّ (ما) استفهامية في قوله تعالى: (**قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ**) [الأعراف:١٦]، والمراد من (ما) في الموضعين كما يظهر في السياق معنى المصدرية، وقد نسب إلى الكسائي (ت ١٨٩هـ) انه رد قول المفسرين القائلين بأنها استفهامية إذ لو كانت كذلك لجاءت بغير ألف[٢].

وقد كثر دخول (ما) المصدرية على (كان) في التنزيل، كقوله تعالى: (**بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ**) [البقرة: ١٠]، وقوله تعالى: (**بِمَا كَانُواْ يَظْلِمُونَ**) [الاعراف: ١٦٢]. فمن النحاة من جعل الآية الأولى بتقدير : بكونهم يكذبون[٣]، ومذهب سيبويه وجمهور النحاة ((انه ادخل (كان) ليخبر انه كان فيما مضى كما تقول: ما أحسن كان عبد الله ، فأنت تعجب من (عبد الله) لا من (كونه) وإنما وقع التعجب من اللفظ على كونه))[٤]. فصلة (ما)

---

(١) معاني القران ٣٧٤/٢-٣٧٥.

(٢) معاني القران وإعرابه ٢٨٣/٤، وإعراب القران للنحاس ٧١٦/٢ والازهية ص٨٣، ومشكل إعراب القران ٦٠١/٢ والكشاف ١١/٤-١٢، والامالي الشجرية ٢٣٩/٢، والبيان في غريب إعراب القران ٢٣٩/٢، ومفاتيح الغيب ٦٠/٢٦، والتبيان في إعراب القران ١٠٨/٢، ومغني اللبيب ٢٩٩/١-٣٠٠ والبرهان في علوم القران ٤٠٣/٤-٤٠٤، وخزانة الأدب ٩٩/٦.

(٣) مشكل اعراب القران ٧٨/١، والبيان في غريب إعراب القران ٥٥/١، والبحر المحيط ٦٠/١.

(٤) الكتاب ٧٣/١، ومعاني القران للاخفش ٤٠/١، والبغداديات ٥٥/١، واللمع ص٢٦٨، وقواعد المطارحة لابن اياز النحوي ص٢١٧، ومغني اللبيب ٣٠٤/١.

المصدرية في الأولى هي (يكذبون) وليس كان، والتقدير : بكذبهم ، وكذلك قوله تعالى (بما كانوا يظلمون)، تقديره : بظلمهم، لا بكونهم يظلمون[1]. غير ان الطبري[2] اظهر مخالفته لهذا الوجه. والصحيح ما ذهب إليه الجمهور.

ووردت (ما) بعد (ساء) في عدة مواضع من القران الكريم، كما في قوله تعالى: (وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَاء مَا يَعْمَلُونَ) [المائدة: ٦٦]. وقوله تعالى: (أَلاَ سَاء مَا يَزِرُونَ) [الأنعام: ٣١، والنحل:٢٥]، وقد أجاز النحاة والمفسرون ان تكون (ما) نكرة موصوفة منصوبة على التمييز و (ساء) بمعنى فعل الذم (بئس)، والتقدير في قوله تعالى مثلا : (سَاء مَا يَحْكُمُونَ) [الأنعام: ١٣٦، النحل: ٥٩، العنكبوت: ٤، الجاثية: ٢١]: ساء الشيء شيئا يحكمون ، وجاز أن يكون (ساء) على بابها و (ما) موصولة والتقدير: ساء الشيء الذي يحكمونه. أو تكون مصدرية ، والتقدير: ساء حكمهم[3].

والظاهر الوجه الأخير؛ لان المراد في هذه الآيات وصف مصدر الفعل بالسوء وهو في المعنى أقوى ، ونظير الآيات المذكورة قوله تعالى: (ولو أَشْرَكُواْ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ) [الانعام: ٨٨] وقوله تعالى (فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ) [الأعراف: ١١٨] وقوله تعالى: (وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ) [هود: ١٦] فان (ما) في

---

(١) المختصر في النحو للجواليقي ص١٦٩، والكشاف في نكت المعاني والإعراب ١٨/١، والتبيان في إعراب القران ٢٧/١.

(٢) جامع البيان ٢٨٦/١.

(٣) جامع البيان ١٢٨/١١، ٣٠/٢٠، ومعاني القرآن وإعرابه ٢٤٢/٢، وإعراب القران للنحاس ١٣١/٣، ومشكل إعراب القران ٢٥٠/١، والكشاف ٦٥٨/١، ١٧/٢، ٤٤٠/٣، والبيان في غريب إعراب القران ٣١٩/١، ٣٤٢، والتبيان في إعراب القران ٤٩٠/١.

هذه الآيات مصدرية؛ لان المعنى: بطل وحبط عملهم وصنيعهم، يؤيد ذلك وقوله تعالى: (فَأُولَـئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ) [البقرة: ٢١٧] وقوله تعالى: (وَمَن يَكْفُرْ بِالإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ) [المائدة: ٥] وبطلان العمل وحبوطه معناهما واحد[1].

ووردت (ما) بعد (قليلا) في عدة مواضع من القران الكريم كقوله تعالى (فقليلا ما يؤمنون) [البقرة: ٨٨] وقوله تعالى: (قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ) [الاعراف: ٣] وقوله تعالى: (قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ) [الأعراف: ١٠، والملك: ٢٣]، وفي دلالة (قليلا) ذكر الفراء انه يجوز ان يكون معناها النفي ، ونسب إلى شيخه الكسائي انه نقل عن العرب قولهم : مررت ببلاد قلما تنبت الا البصل والكراث ، أي: ما تنبت الا هذين، ويجوز أن تفيد معنى القلة[2]. وأجاز النحاة والمفسرون هذين الوجهين[3]. واختار الطبري معنى النفي[4]. فيكون معنى قوله (قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ): لا تذكر لهم أصلاً، ومعنى قوله تعالى (قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ) لا يشكرون أصلاً[5]. ويبدو ان المراد معنى القلة ، وما حكاه الكسائي يمكن حمله أيضاً على هذا الوجه، فيكون معنى: مررت ببلاد قل نباتها بوجه عام ، ولم يكثر فيها الا البصل والكراث.

ولم يجز النحاة والمفسرون ان تكون (ما) نافية في هذه الآيات لانها بهذا الوجه لا يصح معناها فقوله تعالى مثلا (فقليلا ما يؤمنون) يكون معناه بالنفي : قل عدم إيمانهم ، يعني كثر ، هذا عند جعل (قليلا) بمعنى القلة ،

---

(١) المعجم الوسيط ٦١/١، ١٥٣.

(٢) معاني القران ٥٩/١-٦٠.

(٣) الكشاف ١٦٤/١، والبرهان في علوم القران ٧٨/٣.

(٤) جامع البيان ٣٢٩/٢-٣٣١، ٥٩٩/٥.

(٥) البيان في غريب إعراب القران ١٠٧/١، ٣٣٣/٢، ٧٨/٣، والكشف في نكت المعاني والإعراب ٥٥/١-٥٦.

أما عند جعل (قليلا) بمعنى النفي ، فنفي النفي إثبات، فيكون المعنى ثبت إيمانهم، وكلا المعنيين لا يصح وغير مراد.

إلا أن العكبري قال في هذه الآية ما لفظه : ((وقيل (ما) نافية ، أي: فما يؤمنون قليلا ولا كثيرا، ومثله (قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ) و (قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ) وهذا أقوى في المعنى ، وانما يضعف شيئا من جهة تقدم معمول (ما) في حيز (ما) عليها))[١]. ومثل هذا قال ابن هشام فأجاز ان تكون (ما) نافية ، الا انه ضعفه بان (ما) النافية لها الصدارة في الكلام، فلا يعمل ما بعدها فيما قبلها[٢].

ومما تقدم من كلام النحاة والمفسرين قبل العكبري وابن هشام، تبين انه لم يجز احد منهم ان تكون (ما) نافية ، وانما أجازوا ان تكون (قليلا) بمعنى النفي. فيبدو انه وقع ثمة التباس ، والدليل على ذلك انه عند جعل (ما) نافية في هذه الآية، لا تكون بالمعنى الجائز الذي ذكره العكبري ، ((فما يؤمنون قليلا ولا كثيرا))، بل تكون بالمعنى غير الجائز الذي بيناه ، وهو: ثبت إيمانهم، او كثر وهو معنى مخالف للسياق، لذلك لم يقل به النحاة والمفسرون.

الا ان الطبري نقل القول بجواز هذا الوجه في غير هذه الآيات ، وفي موضع واحد ، هو قوله تعالى: (كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ) [الذاريات: ١٧] وهو وجه لا يصح أيضاً ؛ لانه عند جعل (ما) نافية يكون المعنى : انهم كانوا ينامون وقتا طويلا من الليل ، ويقضون وقتا قليلا منه بالعبادة ، وهذا خلاف المعنى المراد؛ لذلك فان من اجاز هذا الوجه ، لم يجزه الا بتأويل بعيد ، وهو الوقوف على (قليلا)، والمعنى: كانوا قليلين ،

---

(١) التبيان في إعراب القران ١/٩٠.

(٢) مغني اللبيب ١/٣١٦-٣١٧.

والابتداء بعد ذلك من قوله تعالى: (**مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ**) [1]، أي: كانوا يحيون الليل كله ولا ينامون ، وهذا تأويل فيه بعد وتعسف واضحان(٢) واذا أمكن القول بهذا التأويل على بعده في هذه الآية ، لا يمكن القول به في الآيات الأخرى.

وفي دلالة (يهجعون) ذهب ابن العربي (ت٥٤٣هـ) إلى ان معناها: يسهرون، وذكر ان الله سبحانه مدح قلة العبادة في الليل؛ لان طول القيام ليس بالإمكان [3]. وهذا قول غريب تفرد به ، وهو مخالف لإجماع المفسرين.

والظاهر انه ليس المراد عدم نومهم ، ولا كثرة نومهم ، وإنما المراد طول قيامهم ، والمعنى: انهم كانوا ينامون قليلا ويسهرون كثيرا. بدلالة قوله تعالى في سورة أخرى: (**يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ * قُمِ اللَّيْلَ إِلا قَلِيلًا * نِصْفَهُ أَوِ انقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا * أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا**)[المزمل: ١-٤] وقوله تعالى: (**إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِن ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ**) [المزمل: ٢٠]. فقد بين الله، سبحانه، في هذه الآيات، ان رسوله صلى الله عليه وسلم، وصحابة رسوله رضي الله عنهم، كانوا يقضون أكثر الليل بالعبادة ؛ فالوجه أن تكون (يهجعون) بمعنى: ينامون لا بمعنى: يسهرون، وان تكون (قليلا) دالة على معنى القلة لا على معنى النفي. والوجه أيضا استبعاد كون (ما) نافية. ومثل هذا يقال في الآيات الأخرى لأنها كانت على نسقها.

---

(١) جامع البيان ١٩٨/٢٦-١٩٩.

(٢) مجاز القران ٢٢٦/٣، ومعاني القران للفراء ٨٤/٣ ومعاني القران وإعرابه ٥٣/٥ ومشكل إعراب القران ٦٨٧/٢، والتبيان في تفسير القران ٣٨٢/٩ ومفاتيح الغيب ٢٠١/٢٨- ٢٠٢، وتفسير القران العظيم لابن كثير ٢٣٤/٤.

(٣) أحكام القران ١٧٢٩/٤.

والوجه المختار والمشهور عند النحاة والمفسرين ان تكون (ما) زائدة[١] وأجاز الزمخشري في (ما) في قوله تعالى: **(قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ)** ان تكون موصولة او نكرة موصوفة[٢]، ولا يصح هذان الوجهان اذ ليس ثمة ضمير ظاهر او مقدر يصح عوده على (ما) وهذا ما صرح به الطبري في قوله تعالى (فقليلا ما يؤمنون) [٣].

وقيل: (ما) نكرة مبهمة ، كما يقال: أمر ما ، وشيء ما[٤]. وأنكر ابن القيم زيادتها ، وذهب إلى انها تفيد الحصر ، فقوله تعالى: **(فَقَلِيلاً مَّا يُؤْمِنُونَ)** معناه: ما يؤمنون الا قليلا[٥]. وحملها على الحصر لا يبدو وجها مقبولا[٦].

وقد ذكر في وجه (القلة) في قوله تعالى (فقليلا ما يؤمنون) عدة معان: احدها انهم يؤمنون بالقليل مما انزل الله ويكفرون بالكثير مما سواه ، كايمانهم بالله وكفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم وما انزل إليه. والثاني: انهم لا يؤمن منهم الا القليل[٧]، والثالث انهم يؤمنون قليلا من الزمان[١].

---

(١) مجاز القران ٢/١٣١، ١٩٤، ومعاني القران للاخفش ١/١٣٥-١٣٦، ومعاني القران وإعرابه ٢/٣١٦، ٥/٢١٨، وإعراب القران للنحاس ١/٥٥٩، ٢/٢٣٣، والصاحبي في فقه اللغة ص١٧١، ومشكل إعراب القران ١/٢٨١، ٢٨٤، ٢/٧٥٥، والكشاف ١/١٦٤، ٢/٨٦، ٣/١٩٩، ٣٧٧ والتبيان في تفسير القران للطوسي ٢٩/٣٨٢، والبيان في غريب إعراب القران ١/١٠٦-١٠٧، ٣٥٣-٣٥٤، ٢/٣٩، ٣٨٩-٣٩٠ وزاد المسير ١/١١٣، ومفاتيح الغيب ٢٨/٢٠١.

(٢) الكشاف ٤/٣٩٨-٣٩٩.

(٣) جامع البيان ٢/٣٢٩.

(٤) مجمع البيان في تفسير القران ١/١٥٧، ومغني اللبيب ١/٣١٦-٣١٧.

(٥) بدائع الفوائد ٢/١٥٠.

(٦) معاني النحو ٣/٩٨-١٠٠.

(٧) جامع البيان ٢/٣٢٩-٣٣١، ٢٦/١٩٨.

والوجه الثاني يقضي ان تكون (ما) موصولة عائدة على معنى الجنس والثالث، يقضي ان تكون ظرفية زمانية وظاهر الآية يدل على المعنى الأول وعلى ان (ما) مصدرية ، ويؤيد ذلك قوله تعالى: **(وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ)** [الزمر: ٣٨]، وقوله تعالى عن أهل الكتاب: **(أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ)** [البقرة: ٨٥]. وهذا هو الوجه المراد في الآيات الأخرى والتقدير : قل الإيمان الذي يؤمنون ، والشكر الذي تشكرون ، والتذكر الذي تتذكرون، والهجوع الذي كانوا يهجعون.

ويذكر النحاة قسماً ثانياً من (ما) المصدرية، وهي الزمانية ، التي يصح تقديرها بكلمة (مدة) أو (وقت) أو (زمن)، نحو: أنا مقيمٌ ما أقمتَ[٢]. ولها في القرآن الكريم شواهد، منها قوله تعالى: **(لاَّ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ النِّسَاء مَا لَمْ تَمَسُّوهُنُّ)** [البقرة: ٢٣٦].

غير أن (ما) هنا تحتمل الشرطية بمعنى: إنْ لم تمسوهن[٣]. ومنهم من أجاز أن تكون موصولةً صفةً للنساء ، والتقدير: إنْ طلقتم النساء اللاتي لم تمسوهن[٤]. وقد تقدم أنّ (ما) الموصولة لا يصح إظهار موصوفها ، لذلك لم يجز أبو حيان هذا الوجه[٥] الا أنه يجوز أن تكون بدلاً من النساء كما جاز هذا في قوله تعالى: **(وَلاَ تَقْرَبُواْ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ**

---

(١) زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي ١/١١٣.

(٢) الكتاب ٣/ ١٠٢، والمقتضب ٣/ ١٩٧- ١٩٨، وعمدة الحافظ ص١٠٣- ١٠٤.

(٣) الكشف في نكت المعاني والإعراب ١ /١٣٥، والبيان في غريب إعراب القرآن ١ / ١٦٢، ومغي اللبيب ١/ ٣١٧-٣١٨.

(٤) مفاتيح الغيب ٦/ ١٣٦- ١٣٧.ن والجامع لاحكام القرآن ٣/ ١٩٩.

(٥) البحر المحيط ٢/ ٢٣١.

مِنْهَا وَمَا بَطَنَ) [الانعام: ١٥١] والراجح أنها مصدرية ظرفية ، والتقدير: زمن ترك مسّهن، أو مدة لم تمسوهن[١].

وقيل: إنّ (ما) موصولة في قوله تعالى **(وَلِيُتَبِّرُواْ مَا عَلَوْاْ تَتْبِيرًا)** [الاسراء: ٧] والتقدير: ليتبروا ما علوا عليه تتبيراً. والوجه أنها مصدرية ظرفية ، والتقدير: ليتبروا مدة علوهم[٢].

وتحتمل أنْ تكون مصدرية ظرفية في قوله تعالى: **(فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ)** [التغابن: ١٦]، والتقدير: فاتقوا الله مدة استطاعتكم[٣]. والأرجح أنها مصدرية غير ظرفية، ليكون المعنى أكثر ملاءمة لما جاء به التنزيل، فالله ، سبحانه، امرنا أن نعبده ونتقيه في كل وقت قال تعالى: **(وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ)** [الحجر: ٩٩]، لانه سبحانه، يسّر لنا عبادته فقال جل شأنه: **(لاَ يُكَلِّفُ اللّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا)** [البقرة: ٢٨٦] فيكون قوله تعالى: **(فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ)** معناه : اتقوا الله قدر استطاعتكم[٤]. أو ابذلوا في تقوى الله استطاعتكم[٥].

واذا وردت صلة (ما) فعلاً دالاً على الزمان ، قوي فيها معنى الظرفية، كقوله تعالى: **(قَالُواْ يَا مُوسَى إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا أَبَدًا مَّا دَامُواْ فِيهَا)** [المائدة: ٢٤] والتقدير: مدة دوامهم فيها[٦].

---

(١) البيان في غريب إعراب القرآن ١/ ١٦٢، والتبيان في إعراب القرآن ١/ ١٨٨، ومغني اللبيب ١/ ٣١٧- ٣١٨.

(٢) البيان في غريب إعراب القرآن ٢/ ٨٧ ومعترك الاقرن في إعجاز القرآن ٢/ ٣٣٧.

(٣) مغني اللبيب ١/ ٣٠٤.

(٤) إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٤٤٨.

(٥) الكشاف ٤/ ٥٥٠.

(٦) البيان في غريب إعراب القرآن ١/ ٢٨٨.

وأجاز النحاة زيادة (إنْ) بعد (ما) المصدرية الظرفية نحو: انتظرني ما إنْ جلسَ القاضي، أي : مدة جلوسه[1]. ولم يرد مثل هذا الأسلوب في القرآن الكريم.

و(ما) المصدرية الظرفية أيضاً دلتِ على الزمان من دلالة موصوفها ، فإن (ما) في قوله تعالى مثلاً: (أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ) [فاطر: ٣٧]. يجوز أن تكون مصدرية ظرفية إلا أنها جعلت بهذا الوجه بتقدير: زمن ما يتذكر[٢] . وبمعنى: أو لم نعمركم ((دهراً وزماناً يتسع للمتذكر أن يتذكر فيه ويتوب ويرجع عن المعاصي)) [٣].وحين أجازوا جعل (ما) مصدرية ظرفية في قوله تعالى: (فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ) [طه: ٧٢] جعلت بتقدير: اقض أمرك مدة ما أنت قاض[٤].

فقد اكتسبت هذه الدلالة من استعمالها في الكلام أداة لوصف موصوف مقدرٍ دالٍ على الزمان بالجملة.

و(ما) الزمانية هذه كالظروف الزمانية قد تخرج عن معنى الظرفية مثل (ما) في كلما الشرطية[٥].

وقال ابن هشام: ((إنّ نحو : جلَسْتُ ما جلسَ زيدٌ تريد به المكان ممتنعٌ)) [٦].

---

(١) الكتاب ٤/ ٢٢٢، وشرح الرضي على الكافية ٤/ ٤٣٤، وشرح الكافية لابن جماعة ص٤٩٤، والفوائد الضيائية شرح كافية ابن الحاجب لملا جامي ٢/ ٣٧١.

(٢) التبيان في إعراب القرآن ٢/ ١٠٧٦.

(٣) نظم الفوائد وحصر الشرائد ص٢٥٦.

(٤) التبيان في إعراب القرآن ٢/ ٨٩٧.

(٥) مغني اللبيب ١/ ٣٠٥.

(٦) المصدر نفسه والصفحة نفسها.

ولا مانع من أن ترد (ما) ظرفية مكانية بعد أن صح ورودها ظرفية زمانية ويحدد ذلك المعنى المراد، فإذا أريد : جلَسْتُ مدةَ جلوسه كانت زمانيةً ، وإذا أريد مكان جلوسه كانت مكانية ، بل لا مانع من أن تكون ظرفية حالية بتقدير: جلَسْتُ هيئَةَ جُلوسِهِ ، فكل ذلك جائزٌ ومحتملٌ ، لأن هذه المعاني ليست معاني (ما) وإنما هي معاني موصوفها ولكن اكتسبت دلالة مصطلحاتها لكونها نابت منابه .

ومن النحاة والمفسرين من التجأ الى معنى الظرفية المكانية بِعَدِّهِ وجهاً من الوجوه المحتملة في قوله تعالى: **(فَلَمَّا أَضَاءتْ مَا حَوْلَهُ)** [البقرة: ١٧] فقد أجازوا أن يكون الفعل (أضاءت) متعدياً و(ما) موصولة في محل نصب مفعولاً به ، أو أن يكون لازماً واحتملت (ما) ثلاثة أوجه : أولها أنْ تكون زائدةً ، والثاني أنْ تكون موصولة فاعل (أضاءت) ، وأنث لأنها بمعنى الأمكنة ، والثالث أنْ يكون فاعل (أضاءت) الضمير المستتر المسند إلى النار أما (ما) فهي موصولة بمعنى الأمكنة ليست فاعلاً ولا مفعول به ولا زائدة ، بل منصوبة على الظرفية[1].

و(ما) المكانية كالزمانية قد تخرج عن الظرفية كالتي في قوله تعالى: **(فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ)** [البقرة: ٣٦].

---

(١) إعراب القرآن للنحاس ١/ ١٤٢- ١٤٣، والكشاف ١/ ٧٣، وزادا المسير ١/ ٣٩، والبحر المحيط ١/ ٧٨-٧٩، وانوار التنزيل، ص١٤.

الفصـــــل الثـــــاني

(ما) النافية

المبـــحث الأول

(ما) العاملة

وردت (ما) عاملة عمل (ليس) في القران الكريم، وورد خبرها جملة فعلية في مثل قوله تعالى: **(وَمَا اللّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَالَمِينَ)** [آل عمران: ١٠٨] وقوله تعالى **(مَا هَؤُلاء يَنطِقُونَ)** [الأنبياء: ٦٥] وورد شبه جملة في مثل قوله: **(لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ)** [آل عمران: ٧٨] وورد اسما، وكثيرا ما ورد هذا الاسم مجرورا بالباء ، كما في قوله تعالى: **(وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللّهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ)** [البقرة: ٨]، وقوله تعالى: **(وَمَا اللّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ)** [البقرة: ٧٤] وقوله تعالى: **(وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ)** [ق: ٢٩] ولم يرد منصوبا الا في موضعين من التنزيل، هما قوله تعالى: **(مَا هَــذَا بَشَرًا)** [يوسف: ٣١] وقوله تعالى: **(ما هن أمهاتهم)** [المجادلة: ٢]. ونصب الخبر في هاتين الآيتين لغة أهل الحجاز ورفعه لغة بني تميم[1].

أما قوله تعالى: **(فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ)** [الحاقة: ٤٧] فقد قيل : إنَّ (حاجزين) نعت على اللفظ للمبتدأ المؤخر (احد) المجرور لفظا

---

[1] الكتاب ٥٩/١، والمقتضب ١٨٨/٤، ومعاني القران وإعرابه للزجاج ١٠٧/٣-١٠٨، وكتاب السبعة في القراءات ص٦٢٨، وإعراب ثلاثين سورة ٢٢٣/١، والكشاف ٤٨٥/٤، ومغني اللبيب ٣٠٣/١، وحاشية الصبان ٢٤٧/١.

المرفوع محلا و (منكم) خبر مقدم ، وورد النعت هنا جمعا على المعنى[1] لان (احد) تكون للجميع وللواحد ، والصحيح أنّ (حاجزين) خبر (ما) بدليلين :

الأول : أنّ النفي مسلط على (حاجزين) فقد أريد نفي الحجز عنه ، كما هو واضح من سياق الآية ، ولا معنى لتسليطه على (منكم) ، والمعنى : فما يحجزه عني أحد .

والثاني : أنّ المعنى لا يستقيم ، ولا تتم الفائدة ، إذا استغني عن (حاجزين) وقيل : فما منكم من أحد ، فلو كانت صفة لصح الاستغناء عنها ، وهذا مما يحتم جعلها هي الخبر لتتم الفائدة ، فيكون قوله تعالى : ((فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ) [الحاقة: ٤٧] هو الموضع الثالث الذي ورد فيه خبر (ما) الحجازية غير مجرور بالباء .

واقترن خبر (ما) بالباء للتوكيد، ولعل عدم اقترانه بها في قوله تعالى: (ما هذا بشرا) وقوله تعالى: (ما هن امهاتهم) يعود للاستغناء عن توكيده بتوكيد معنى الآية بما بعدها بـــ(ان) و (الا) وهو قوله تعالى: (إِنْ هَـــذَا إِلاَّ مَلَكٌ كَرِيمٌ) [يوسف :٣١] وقوله تعالى في سورة المجادلة: (إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلا اللائِي وَلَدْنَهُمْ) [٢] فهذا التوكيد أغنى عن ذلك وهذا من أسلوب القران الكريم في التعبير وهو انه عند ذكر المعنى مرتين، يتركه في المرة الأولى غير مؤكد ليسوغ العود اليه بتوكيده، ولهذا ينبغي ان تكون (ما) نافية في قوله تعالى: (مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلاَّ نَذِيرٌ

---

(1) معاني القران للفراء ١٨٣/٣، ومعاني القران وإعرابه ٢١٨/٥، وإعراب القران للنحاس ٥٠٢/٣، والكشاف ٦٠٧/٤، وشرح شذور الذهب لابن هشام ص١٩٣-١٩٤.

مُّبِينٌ) [الاعراف: ١٨٤] وقوله تعالى: (مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلا نَذِيرٌ لَّكُم) [سبا: ٤٦]، وليس كما قيل من انها استفهامية او موصولة[١].

وذكر النحاة أن (ما النافية) لها شبهان: عام وخاص، اما العام فهو شبهها بالحروف غير المختصة، اذ انها تدخل على الأفعال والأسماء والأصل في الحروف غير المختصة ان لا تعمل شيئا، ولهذا ذكر سيبويه ان أهل تميم اجروها مجرى (اما) و (هل)، فلم يعملوها في شيء، ورأى ان ذلك هو القياس، او اقيس اللغتين، وهذا ما عليه جمهور النحاة[٢].

اما الخاص، فهو شبهها بـــ(ليس) من ثلاثة وجوه: كونها نافية، وان هذا النفي للحال ودخولها على المبتدأ والخبر فكأن بني تميم راعوا شبه (ما) العام فأهملوها وراعى أهل الحجاز هذا الشبه الخاص فاعملوها[٣].

على ان سيبويه وجمهور النحاة، وان قالوا: ان لغة بني تميم هي الاقيس، الا انهم ردوا على الفراء حين ذهب الى انها ((أقوى الوجهين)) [٤]

---

(١) الكشاف ٥٩٠/٣، والتبيان في إعراب القران ١٠٧٠/٢.

(٢) الكتاب ٥٧/١، ٥٩ ومعاني القران للاخفش ١٢٩/١ والمقتضب ١٨٨/١-١٨٩، ١٠٨/٢، ١٩٠/٣، ومجالس ثعلب ٥٩٦/٢-٥٩٧، ومعاني الحروف للرماني ص١٥٤، ومجالي العلماء، للزجاجي ص٨٩-٩٠، والبغداديات ص٢٨٣-٢٨٤ واللمع لابن جنى ص١٢٣ وكتاب الواضح في العربية للزبيدي ص٩٣، ونظم الفوائد وحصر الشرائد ص١٣٨ وكشف المشكل في النحو للحيدة اليمني ٣٤٤/١.

(٣) ينظر المصادر السابقة، والمقتصد في شرح الايضاح لعبد القاهر الجرجاني ٤٣٠/١، ٣٥٤/٢، وشرح عيون الاخبار للمجاشعي ص١٠٦، وأسرار العربية لابي البركات بن الانباري ١٤٣-١٤٥، والانصاف في مسائل الخلاف ص١٦٥- ١٧٢، والمقرب لابن عصفور ١٠٢/١ ، وشرح الكافية الشافية لابن مالك ١/ ٤٣٤- ٤٣٥، وشرح الرضي على الكافية٢/ ١٨٤.

(٤) معاني القران ٤٢/٢-٤٣.

فقد قال الزجاج فيه: ((وهذا غلط، لان كتاب الله ولغة رسوله أقوى اللغات)) [1].

ويبدو ان الفراء حين قال في إهمال (ما): انه أقوى الوجهين أراد بذلك أقوى الوجهين من حيث القياس لا من حيث الفصاحة وكثرة الاستعمال، وهذا ما قال به البصريون.

ومن النحاة من أنكر ان تكون لغة بني تميم هي القياس بحجة ان (ما) من الحروف غير المختصة، فذكر ان (لا) تعمل عمل (ان) مع انها غير مختصة، فان قيل: ان (لا) النافية للجنس هي غير (لا) النافية الداخلة على الفعل المضارع، فبإمكاننا ان نقول: ان (ما) العاملة الداخلة على الجملة الاسمية هي غير (ما) النافية الداخلة على الفعل المضارع[2]

فقد ذهب البصريون إلى ان لغة أهل الحجاز هي الأفصح لكثرة استعمالها ولان القران نزل بها، ومن هنا قيل: ان إعمال (ما) مذهب البصريين، وإهمالها مذهب الكوفيين، ولا شك انه يحسن الأخذ بالإعمال لانه لغة التنزيل[3].

وذكر الزمخشري ان دخول الباء الجارة على خبر (ما) مخصوص بلغة أهل الحجاز، وخالفه في ذلك ابن الحاجب[4]، وذكر ابن مالك[5] وابن هشام[6] ان هذا هو مذهب ابي علي النحوي، تبعه فيه الزمخشري وردوا عليه بعدة أدلة هي:

---

(1) معاني القران وإعرابه ٣/١٠٧-١٠٨ وإعراب القران للنحاس ٢/١٤٠.

(2) شرح المفصل لابن يعيش ١/٣٩٧.

(3) النحو الوافي – عباس حسن – ١/٥٣٧.

(4) الإيضاح في شرح المفصل ١/٣٩٩، وشرح المفصل لابن يعيش ٢/١١٦.

(5) شرح الكافية الشافية ١/٤٣٥-٤٣٨.

(6) شرح شذور الذهب ص١٩٦.

(١) ان اشعار بني تميم تتضمن دخول (الباء) على خبر (ما) فلو كان دخولها عليه مخصوصا بلغة اهل الحجاز، لما وجد في لغة غيرهم.

(٢) دخلت الباء على الخبر لكونه منفيا، لا لكونه خبرا منصوبا يدل على ذلك دخولها في نحو: لم أكن بقائم، وامتناع دخولها في نحو: كنت قائما: فإذا ثبت كون المسوغ لدخولها على الخبر هو النفي، فلا فرق بين منفي منصوب المحل، ومنفي مرفوعه.

(٣) ان الباء المذكورة ثبت دخولها على الخبر بعد بطلان العمل وبعد هل وعلى خبر (ان) كقوله تعالى: **(أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى)** [الاحقاف:٣٣].

وذهب الفراء والكوفيون الى ان خبر (ما) الحجازية منصوب بنزع الخافض[١]، لذلك ذهب بعضهم الى القول بإضمار الباء في قوله تعالى (ما هذا بشرا) [٢] فكأنَّ دخولها في الخبر هو الأصل عندهم وهو مالا دليل عليه وقد صرح ابو البركات بن الانباري ببطلان هذا القول فذكر انه لو كان حذف حرف الجر يوجب النصب ، لوجب ذلك في كل موضع ولا خلاف في ان كثيرا من الأسماء يحذف منها حرف الجر ولا ينتصب بهذا الحذف كقوله تعالى: **(وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلاً)** [الاحزاب: ٣] ونحو: بحسبك درهم، وما جاءني من احد[٣] وبمثل هذا ردَّ ابن يعيش[٤] والسيوطي[٥] على الكوفيين.

---

(١) معاني القران للفراء ٤٢/٢، وإعراب ثلاثين سورة ص٥٢.

(٢) الحروف للمزني ص٥٦.

(٣) أسرار العربية ١٤٣-١٤٤.

(٤) شرح المفصل ١٠٨/١.

(٥) همع الهوامع ١١٠/٢.

وذهب النحاة الى ان اقتران الخبر بالباء، كان لثلاثة امور.

الاول: ان الخبر قد تباعد عن النفي فربطوه بالباء.

والثاني: ان الكلام قد يطول وينسى أوله ، فجاؤوا بالباء ليشعروا ان في صدر الكلام نفيا.

والثالث : ان هذا جواب من قال: ان زيدا لقائم ، فتقول: ما زيد بقائم، فتجعل الباء بازاء اللام و (ما) بازاء (ان) ، فان قال: زيد قائم: قلت ما زيد قائما[1].

وقد جعلت بعض الدراسات الحديثة من دخول الباء على خبر (ما)، دليلا على انها نافية[2]، وهذا غير مطرد، فقد قال تعالى: (**وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى**) [طه: ١٧] فاقترن الخبر بعد (ما) بالباء مع انها هنا استفهامية. والباء ظرفية ليست زائدة.

واذا عطف على خبر (ما) المقترن بالباء، جاز في المعطوف ثلاثة أوجه.

الأول: الرفع عطفا على خبر (ما)، اذ هو مرفوع في الأصل او على جعله خبرا لمبتدأ محذوف تقديره: هو.

والثاني: النصب عطفا على محل خبرها.

والثالث: الجر عطفا على اللفظ[3].

وقد كثر في كلام العرب العطف على اسم (ما) المؤخر مع تأكيد النفي بـــ(لا)، نحو: ماله صائت ولا صامت[1]، ونحو: ما عنده خير ولا

---

(1) مشكل إعراب القران ٧٧/١، وشرح عيون الأخبار ص١٠٨، وأسرار العربية لأبي البركات بن الانباري ص١٤٥، وتذكرة النحاة ص٥٦٥.

(2) مصطفى النحاس – دراسات في الأدوات النحوية – ص١٥٦.

(3) كشف المشكل في النحو ٣٤٤/١، والمرشح في شرح الكافية للخبيصي – أطروحة ص٢٠٤-٢٠٥.

مير[٢]، ومن شواهده في القران الكريم: (**وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللّهِ مِن وَلِيٍّ وَلاَ نَصِيرٍ**) [البقرة: ١٠٧] [العنكبوت: ٢٢] وقد جر (نصير) عطفا على اللفظ.

وتعمل (ما) الحجازية بشروط ، وهي: ان لا ينتقض نفيها بـــ(الا)، وان لا يتقدم خبرها او معموله على اسمها ليس شبه جملة ، وان لا تليها (ان) الزائدة، او (ما) لتوكيد نفيها ، وهذا هو مذهب سيبويه والجمهور ، وفي كل شرط من هذه الشروط خلاف.

وقد علل سيبويه إبطال عمل (ما) دون (ليس) بكونها حرفا ، و (ليس) فعلا، والحروف اضعف من الفعل في العمل ، لعدم تصرفها ولعدم تحملها الضمير[٣].

وقيل: لما كان الأصل في (ما) ان لا تعمل، وان عملها كان خلاف الأصل، اعملها الحجازيون بشروط[٤].

وقد ورد في القران الكريم نقض نفي (ما) بـــ(الا) مع تقدم المبتدأ كقوله تعالى: (**وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ الآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ**) [الأنعام: ٣٢]، ومع جره بـــ(من) الزائدة ، كقوله

---

(١) الفاخر للفضل بن سلمة ص٤٠، والصامت: الذهب والفضة والصائت: الحيوان، من المال، كالبقر والغنم والابل.

(٢) المصدر نفسه ص٢٤٠، والمير: ما يتقوت ويتزود به.

(٣) الكتاب ٥٧/١، ٥٩، ٦٠، والمقتضب ٥١/١ ومجالس ثعلب ص٩٧، ٣٥٤، والإيضاح في علل النحو للزجاجي ص١٣٥ والإنصاف في مسائل الخلاف ص٦٣٦، وأسرار العربية لأبي البركات بن الانباري ص١٤٥-١٤٦، ونظم الفوائد وحصر الشرائد ص١٣٨-١٣٩ وشرح الكافية الشافية لابن مالك ٤٣٠/١-٤٣٢ وشرح عمدة الحافظ ص١١٨ وشرح الرضي على الكافية ١٨٥/٢-١٨٦، وهمع الهوامع ١١٠/٢-١١٤.

(٤) شرح المكودي على ألفية بن مالك ٤٠/١.

تعالى (وَمَا مِنْ إِلَـٰهٍ إِلاَّ إِلَـٰهٌ وَاحِدٌ) [المائدة: ٧٣]، وانتقض النفي بـ(الا) مع تقدم الخبر، في مثل قوله تعالى (مَّا عَلَى الرَّسُولِ إِلاَّ الْبَلاَغُ) [المائدة: ٩٩].

فنقض نفي (ما) بـ(الا) أبطل عملها ، وكذلك ابطل عملها ، بتقديم خبرها على اسمها ، كما في قوله تعالى: (مَا عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ) [الانعام: ٥٧].

وقد كثر ورود المبتدأ المؤخر مجرورا بـ(من) الزائدة كقوله تعالى: (مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ) [غافر: ١٨].

وذهب د.- السامرائي الى ان (ما) أقوى في النفي من (ليس)، لان (ليس) استعملت استعمال الفعل ، فالجملة المنفية بها جملة فعلية ، والمنفية بـ(ما) جملة اسمية، والجملة الاسمية اثبت من الجملة الفعلية[1].

ومن المعروف ان الجملة الاسمية اثبت عند النحاة من الجملة الفعلية لتجردها من معنى الحدوث ، ومن دلالتها على زمن معين وأداة النفي (ليس) مجردة من هذين الأمرين، فهي، وان عدت من الأفعال ، وأعربت إعراب الأفعال ، الا أنها لا تدل على حدوث ، ولا على زمن معين فلا يكون هناك من حيث الثبات فرق بينها وبين (ما) الداخلة على الجملة الاسمية ، وقد مر قبل قليل ان (ليس) تعمل بغير شروط ، على حين لا تعمل (ما) الا بشروط وقد فسر سيبويه ذلك بكون (ليس) أقوى من (ما) في العمل ، وما كان ذلك الا لأنها أقوى منها في النفي ، وهذه قاعدة عامة نلحظها بوضوح في الأدوات ، وهي ان عملها متات من قوة معناها ، وإهمالها متات من ضعفه.

---

(1) معاني النحو ١/٢٧٢-٢٧٤.

ويبدو أيضا ان (ليس) ليست مثل (ما) لنفي الحال ، بل هي مثل (لا) لنفي الحال والاستقبال[1]، ولا فرق بينهما سوى ان (لا) اختصت بنفي النكرات والمعاني العامة ، اما (ليس) فاختصت بنفي المعارف والمعاني الخاصة ، لذلك لم تدخل (ليس) الا على معرفة كقوله تعالى: (**وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنثَى**) [آل عمران: ٣٦] ولم تدخل على جملة اسمية فيها المبتدأ نكرة ، الا في حالة تقدم الخبر عليه، كقوله تعالى: (**وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ**) [الإسراء: ٣٦] فالظاهر ان (ليس) أقوى نفيا من (ما) واوسع ويتضح هذا في قوله تعالى: (**أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ**) [الزمر: ٣٦] وقوله تعالى: (**أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ**) [الاحقاف: ٣٤] وقوله تعالى: (**أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ**) [التين: ٨] فالمتأمل في هذه النصوص القرآنية يشعر بقوة معانيها المتأنية من استعمال (ليس) فيها ولو استعمل (ما) بدلاً منها لما كان الأمر كذلك.

ومن أساليب (ما) النافية العاملة ، دخولها على جملة اسمية يقع خبرها فعلا ماضيا ، يقول عبد القاهر الجرجاني: ((اذا قلت: ما فعلت ، كنت نفيت عنك فعلا، لم يثبت انه مفعول ، وإذا قلت ما أنا فعلت ، كنت نفيت عنك فعلا ثبت انه مفعول ، وكذلك اذا قلت: ما ضربت زيدا ، كنت نفيت عنك ضربه ، ولم يجب ان يكون قد ضُرِب، بل يجوز ان يكون ضربه غيرك وان لا يكون قد ضربه أصلا، وإذا قلت: ما انا ضربت زيدا ، لم تقله الا وزيد مضروب ، وكان القصد ان تنفي ان تكون أنت الضارب... ولو قلت : ما أنا قلت هذا ولا قاله احد من الناس، وما انا ضربت زيدا ولا ضربه احد من الناس كان خلفا من القول)) [2].

---

(١) الجنى الداني ص٤٦٣.

(٢) دلائل الإعجاز ص٩٦-٩٧.

ويوضح القزويني كلام الجرجاني بقوله: ((كقولك: ما انا قلت هذا، أي: لم أقله ، مع انه مقول فأفاد نفي الفعل عنك وثبوته لغيرك)) وبيّن انه ((لهذا لا يقال: ما انا قلت ولا احد غيري لمناقضة منطوق الثاني مفهوم الأول)) [١].

وحين نتأمل في قوله تعالى: (**وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ**) [فاطر: ٢٢] الذي وقع فيه الخبر دالا على الاستقبال بصيغة اسم الفاعل ، يتبين انه لا يصح فيه الكلام الذي قاله الجرجاني في أمثلته التي وقع فيها الخبر فعلا ماضيا ، لان كلامه يقتضي ان تكون هذه الآية تعني : ان الله سبحانه ينفي عن رسوله صلى الله عليه وسلم قدرته على إسماع من في القبور ويثبت هذه القدرة لغيره من الناس ، في حين ان المراد نفي هذه القدرة عنه وعن غيره ، وهذا هو المعنى الظاهر والمتفق عليه عند المفسرين، لان قوله (من في القبور) قصد به الكفار الذين امات الكفر قلوبهم ولا سبيل لهدايتهم وإسماعهم[٢] وكذلك يقال الكلام نفسه في الآيات الأخرى التي على نحوها ، كقوله تعالى: (**وَمَا أَنتَ بِهَادِي الْعُمْيِ عَن ضَلالَتِهِمْ**) [النمل: ٨١].

فقد امتنع في مذهبه ان يقال: ما أنت بمسمع من في القبور ولا غيرك بمسمعهم ، ولا أنت بهادي العمي ولا غيرك بهاديهم ، بل صرح بامتناع ان يقال مثلا: ما أنت تبعت قبلتهم وما اتبع بعضهم قبلة بعض. وعده خلفا من القول او متناقضا كما صرح بذلك القزويني على حين قد ورد قوله تعالى: (**وَمَا أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ**) [البقرة: ١٤٥] ، فيبدو أن ما قاله الجرجاني فيه نظر.

---

(١) الإيضاح في علوم البلاغة ص٣٣-٣٤، ٦٦.

(٢) الكشاف ٦٠٨/٣، وزاد المسير ٤٨٤/٦، والجامع لأحكام القران ٣٤٠/١٤.

المبحث لثاني

(ما) غير العاملة

تدخل (ما) النافية غير العاملة على الفعل المضارع وعلى الفعل الماضي

(١)

دخولها على الفعل المضارع

إذا دخلت (ما) النافية على الفعل المضارع خلصته لمعنى الحال ، وهذا هو مذهب سيبويه وجمهور النحاة[١] وذهب إبن مالك إلى أنها لنفي الحال والاستقبال [٢] وردَّ على الجمهوربقول الله تعالى: **(قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ)** [يونس:١٥]، وأُجيب بأنّ ((شرط كونه للحال انتفاء قرينة خلافه))[٣] والدليل عند ابن مالك على أن(ما) في هذه الآية لنفي الاستقبال وجود (أن) المصدرية فيها ، إلا أن هذه ألأداة وردت مع (ما) النافية الداخلة على(كان) في قوله تعالى: **(وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ)** [يونس:٣٧]، وممن ذهب الى ذلك إبن قيم الجوزية[٤] وكذلك ذهب د.السامرائي إلى أنها تكون لنفي الحال ولغير الحال ، فقد تدل على الإستمرار نحو قوله تعالى: **(وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ)** [آل عمران:٧] وقوله تعالى: **(وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا**

---

(١) الكتاب ٢٢١/٤ ، والغرة المخفية لإبن الخباز في شرح الدرة الألفية لإبن معط ٤٢٩/٢ وشرح المفصل لإبن يعيش ٨/ ١٠٧ ، والمفضل في شرح المفصل للسخاوي ص ٧٣٦ وتسهيل الفوائد وتكميل المقاصد ص٥، ورصف المباني ص٣١٣.

(٢) الجني الداني ص٤٦٣ .

(٣) مغني اللبيب، ص ٣٠٣/١.

(٤) بدائع الفوائد، ١٩٣/٤.

غُرُورًا)[النساء:١٢٠] وقوله تعالى: **(وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا)**[الأنعام:٥٩][1] ، أي : يعلمها الآن حال سقوطها

فالظاهر أن(ما) لاتكون إلا لنفي الحال ، فقد أريد مثلا باستعمال(ما) في قوله تعالى: **(وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا)** أن يكون المعنى: أن الشيطان يمارس هذا الغرور بأتباعه ألآن ولو قال : ولايعدهم الشيطان إلا غرورا ، لما كان هذا المعنى مرادا ، ولأفادت أن الشيطان ،هذه هي حقيقته وطبيعته.

ومن ذلك قوله تعالى: **(مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ)** [البقره:١٠٥] فقد أفادت هذه الآية بإستعمال (ما) تنبيه المسلمين على أن أعداءهم يترجمون في الوقت الحالي باقوالهم وأفعالهم ، ماينم عن حسدهم وعدم ودهم لما يصيبهم من خير ، فهي تتضمن حثهم على أن يأخذوا حذرهم من عدوهم، ولو أستُعْمِلَتْ(لا) لأفادت الآية أنّ صفتهم هذه هي حقيقة ثابتة ، دون الإشارة إلى أنهم يمارسونها الآن ممارسةً عملية.

وبهذا التفسير توجه دلالة(ما) في ألآيات ألأخرى ، فهي لاتكون إلا لنفي الحال، سواء أصبح فيها معنى الإستمرار كالشواهد التي مرّ ذكرها ، أم لا كالذي في قوله تعالى: **(وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا)**[لقمان:٣٤].

وقد تستعمل(لا) مثل(ما) لنفي الحال ، إلا أنها تبقى على نفيها العام ، فيراد بها عموم الحالة لاعموم الزمن ، وذلك بشمول عناصرها جميعاً بالنفي، كما في قوله تعالى: **(يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ)** [النبأ:٣٨].

---

[1] معاني النحو ٤/٥٦٨-٥٦٩ .

والمعنى أنهم لايتكلمون بأي كلمةٍ كانت ، فقد استجابوا جميعا لأمر الله بالصمت العام التام ، فلا كلام اليوم إلا لله ، ولمن أذن له.

وقد ورد العطف على(ما) النافية بنافية أخرى، كقوله تعالى: (**قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ**) [سبأ:٤٩]، وكثر في كلام العرب العطف على(ما) بـ(لا)، كقولهم:ماينام ولا يُنيم[1] ومن شواهده في القرآن الكريم قوله تعالى: (**وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُوداً**) [يونس:٦١] فقد بدأ العطف بـ(ما) وإنتهى بـ(لا) لإستقصاء حالة النفي.

وورد العطف على منفي(ما) وعلى ماكان واقعا في حيزها، مع تأكيد هذا النفي وإستقصائه بـ(لا) كقوله تعالى: (**وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ*وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ* وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ*وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ**) [فاطر:١٩-٢٢] وقوله تعالى: (**وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ**) [الأحقاف:٩].

وكثيرا ماينتقض نفي (ما) الداخلة على الفعل المضارع بـ(إلاّ)، كقوله تعالى: (**وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ**)[البقره:٩].

(٢)

دخولها على الفعل الماضي

تدخل(ما) النافية على الفعل الماضي ، وتبقى (لا) أعم منها في إستقصاء النفي، فالنفي في قوله تعالى: (**وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ**)[يس:٦٩] مسلط على جنس علم الشعر، ولو قال: ولاعلمناه الشعر لسلط على كل نوع من أنواع هذا العلم ، ولصار المعنى : ولم نعلمه أي علم كان من

---

(1) الفاخر ص٤٢.

علوم الشعر كتذوقه مثلا ونقده وحفظ شيئ منه ، وما أريد هذا المعنى ، إذ لم يرد نفيه عنه مطلقاً.

فالنفي باستعمال (ما) يكون على وجه الإجمال ، وباستعمال (لا) يكون على وجه التفصيل والإعمام ، وقلما يراد مثل هذا النفي في الفعل الماضي، وقد صلح استعماله في الدعاء ، نحو: لاأراكَ الله مكروهاً ، ولم يرد منه شاهد في القرآن الكريم ، وصلح أيضا عند تكرار(لا) كقوله تعالى:(**فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّى**)[القيامة:٣١] وورد نقض نفي(ما) الداخلة على الفعل الماضي بـــ (إلاّ) في مثل قوله تعالى: (**وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلاَّ قَلِيلٌ**) [هود:٤٠]، أو بـــ(غير) كقوله تعالى: (**وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ**)[الروم:٥٥].

ولم ترد(ما) النافية للفعل المضارع جوابا للشرط ، وإنما وردت في هذا الموقع(ما) النافية للفعل الماضي كما في قوله تعالى: (**وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ**) [النساء:٦٦][1].

ووردت(ما) معطوفة في مثل قوله تعالى: (**مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى**) [الضحى:٣]، وورد العطف عليها بـــ(لا) كقوله تعالى: (**قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ**) [يونس: ١٦٠].

وورد النفي بصيغة(ماكان له أن يفعل)، ومعناه لاينبغي له ، أو لايصح له أن يفعل[2] في مثل قوله تعالى: (**مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ**)[التوبه:١٢٠] وورد

---

(1) معاني النحو ٥٦٩/٤ .

(2) جامع البيان ٥١٤/٣ .

انتقاض هذا النفي بـ(إلاّ) في مثل قوله تعالى: (**مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَا إِلاَّ خَآئِفِينَ**) [البقره:١١٤].

وتلحق اللام خبر(كان) المنفي بـ(ما) فتسمى عند أكثر النحاة لام الجحود، كقوله تعالى: (**وَمَا كَانَ اللّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللّهَ بِالنَّاسِ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ**) [البقره:١٤٣]، والظاهر أن في هذا اللام معنى التعليل[1].

ولكون(لم) تقلب الفعل المضارع من زمنه الحاضر الى الزمن الماضي فقد عرض لغويون الفرق بينها وبين(ما) الداخلة على الماضي، فذكر الزركشي أن نفي(كان) بـ(ما) يفيد النفي الكلي ، لما مضى من الزمان، أما نفي(يكن) بـ(لم) فيفيد نفي كل زمن من أزمنة الماضي ، فمن ذلك قوله تعالى: (**وَلَمْ أَكُ بَغِيّاً**) [مريم:٢٠]، فقد أرادت مريم عليها السلام ، أن يشمل النفي كل زمن مضى في حياتها ، لأنها كانت أدرى بعفتها من غيرها، أما قومها فقد حاجوها ، حين شكّوا في أمر وليدها ، بعفة أمها فقالوا لها : (**وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيّاً**) [مريم:٢٨] فأرادوا أن يجعلوا النفي عاماً، ليعبروا بذلك عمّا أشتهر منها ، لاستحالة أن يلازم أحد غيره في كل زمن من أزمنة وجوده، وقد احتج الزركشي، أيضا بآيات أخرى في هذا الباب[2].

وهذا الفرق بينهما ، متأتٍ من أن الفعل الذي تدخل عليه (لم) مضارع، والمضارع يدل على التجدد واستمرار الحدوث بخلاف الماضي.

---

(١) الجنى الداني ص ١٥٨-١٥٩ ، ومغني اللبيب ١/ ٢١١.

(٢) البرهان في علوم القرآن ٢/٣٧٩-٣٨١ .

وذهب د.- فاضل السامرائي إلى((أن (ما) آكد من (لم))) واحتج على ذلك بشواهد من القرآن الكريم وردت فيها ما النافية الداخلة على الفعل الماضي ثم قال:((فدل ذلك دلالةً واضحة على قوة نفي(ما) دون(لم)))[1].

والظاهر العكس والدليل على ذلك أنّ(ما) تدخل على المضارع فلا تؤثر في إعرابه وزمانه فيبقى مرفوعا ودالاً على الحال ، أما (لم) فتدخل عليه وتؤثر في إعرابه وزمانه ، فتجزمه وتصرف معناه الى الماضي.

فكان ينبغي له عند إثبات أيهما آكد نفيا أن يستشهد بالآيات التي وردت فيها(ما) النافية الداخلة على الفعل المضارع لا الداخلة على الفعل الماضي .

فما ذهب إليه الدكتور فاضل السامرائي مردود بما تقدم ذكره ، يضاف إلى ذلك أنَّ الأخذ بما ذهب إليه يُعَدُّ مأخذًا يقدح باللغة العربية ، إذ قد تبيَّن أنّ للغة القرآن الكريم مسارًا حكيمًا تسير عليه ، والقول بأنّ (ما) أقوى نفيًا من (لم) يحدث شرخًا في هذا المسار ، إذ الذي يلحظ من استعمال العرب للأدوات أنهم كانوا يعمدون إلى تقوية لفظ الأداة بتضعيف آخرها أو إسكانه إذا أرادوا تقوية معناها من ذلك مثلاً(لا) التي استعملوها لنفي الحال والاستقبال نحو:المُؤمِنُ لايَكْذِبُ ، كانوا إذا أرادوا تقوية هذا النفي بتأبيده ، أو تأكيده وتخصيصه بالمستقبل نقصوا حركة الألف في(لا) وقفلوها بالنون الساكنة ، ثم أظهروا قوة هذا النفي بنصب الفعل بعدها فقالوا:المُؤْمِنُ لَنْ يَكْذِبَ ، وإذا أرادوا زيادة تقوية هذا النفي قفلوها بالميم الساكنة التي فيها تتضم

---

[1] معاني النحو ٤/٥٧٠ .

الشفتان وتنطبقان انطباقا تاما ثم جزموا الفعل بعدها فقالوا:المُؤْمِنُ لَمْ يَكْذِبْ ، والجزم أشد من النصب ، إذ النصب يعني تغيير الحركة أمّا الجزم فيعني قطعها ، فناسبوا بين ثلاثة أمور : لفظ الأداة ومعناها وحركة آخر الفعل ولهذا كانت(إنْ) النافية آكد نفيا من(ما) النافية[1] لأنها أقوى منها لفظاً بإسكان آخرها ، وقد عقد إبن جني بابا سماه((قوة المعنى لقوة اللفظ))[2] وأوضح دليل على أن(لم) أشد نفيا من(ما) بل من أدوات النفي جميعها كونها الأداة الوحيدة التي لشدة نفيها تقلب المضارع من زمن الحاضر الى زمن الماضي ، وما كان ذلك فيما يبدو إلا لأن المضارع المنفي بها مقطوعٌ بنفيه فيكون بحكم المنفي ماضياً .

وإذا كانت (لم) آكد نفياً من(ما) فإنّ (لمّا) آكد منها أيضاً ، وقد ذكر النحاة أن(لمّا) مثل(لم) تقلب المضارع الى ماضٍ، لكنها تختلف عن (لم) في أن نفيها مستمر الى الحال ولهذا جاز : لَمْ يَكُنْ ثُمّ كانَ ، ولم يَجُزْ : لَمّا يَكُنْ ثُمّ كانَ، ولامتداد النفي بعد(لَمّا)، لم يجز اقترانها بحرف التعقيب بخلاف(لم)[3].

ويبدو أن(لم) هي الأصل، وأنهُ حين أراد العرب أن يمدوا النفي بها من الماضي الى الحاضر ، استعانوا لتحقيق هذا الغرض بمد أخرها بزيادة(ما)، فصارت(لَمّا) ، فإطالة لفظ ألأداة كان لإطالة الزمن ، وقد استعملوا(ما) من دون غيرها من الحروف لتقوية معنى النفي ،

---

(1) معاني النحو ٥٧٧/٤-٥٨٠ .

(2) الخصائص ٢٦٤/٣ ، وينظر فقه اللغة العربية للدكتور كاصد ياسر الزيدي ص١٣٩ .

(3) الجني الداني ص٢٨٢-٢٨٣ ومغني اللبيب ٢٧٨/١-٢٧٩ .

بتشديد الحرف الذي تكوّنَ من إدغام(ميم) (لم) بـــ (ميم) (ما) لتستحيل كلمة واحدةً.

وتدخل(ما) النافية على الأفعال: (زال) و (بَرِحَ) و(فَتِئَ)و (إنْفَــكَّ) فتؤلف معها أفعالاً ناقصة تعمل عمل(كان) وأخواتهــا وســميت(مــا) الموجبه ؛ لأنها تدخل على النفي فينعكس إيجاباً[1].

---

(1) الحلل في إصلاح الخلل ص٣٤٤ ، وشرح إبن عقيل ٢٦٣/١ .

المبحث الثالث

معنى (ما) النافية ومعاني (ما) الأخرى

تحتمل (ما) النافية معاني أخرى ، فقد أجاز النحاة والمفسرون أن تكون استفهامية للتوبيخ في قوله تعالى: **(أَلا إِنَّ لِلَّهِ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ شُرَكَاء إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَخْرُصُونَ)**[يونس:٦٦]. وقيل إنها موصولة ، والصحيح أنها نافيةٌ بدلالةِ قولهِ تعالى: **(إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلا الظَّنَّ)**، والمعنى:أنهم ماأتبعوا شركاء لله تعالى ، وإنما اتبعوا أشياءَ ظنوا أنها كذلك والمراد تقبيح أعمالهم[١].

وأجاز النحاة أن تكون مصدرية أو موصولة في قوله تعالى: **(يُضَاعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ مَا كَانُواْ يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُواْ يُبْصِرُونَ)** [هود:٢٠] ، بعد أن أجازوا أن يكون أصلها ،بما كانوا يستطيعون السمع ولايفعلون ، وهذا وجه ذكره الفراء[٢]،ووصفه الطوسي[٣]بأنه (مليح)، وعلله بأن سقوط الباء جائز نحو: لَأجْزِيَنَّكَ ماعَمِلْتَ ، وَبماعَمِلْتَ ، وأجازوا أن تكون مصدرية ظرفية ،والمعنى : يضاعف لهم العذاب مدة استطاعتهم السمع والإبصار ، والظاهر أنها نافية ، والمعنى : أنهم لايستطيعون أن يسمعوا الحق سماع منتفع ، ولايبصرونه إبصارمهتدٍ ، وهو الوجه الذي اختاره الطبري[٤]، وذكر

---

(١) إعراب القرآن المنسوب إلى الزجاج ٩١٩/٣ومشكل إعراب القرآن٣٤٩/١، والكشاف ٣٥٧/٢-٣٥٨.

(٢) معاني القرآن٨/٢.

(٣) التبيان في تفسير القرآن٤٦٤/٥-٤٦٥.

(٤) جامع البيان٢٨٦/١٥-٢٨٧.

أنه هو الصواب،وذكر الزجاج[1] في تفسير ألآية ، أنهم لشدة كفرهم بالله لايستطيعون أن يسمعوا كلامه ، سبحانه ، ويبدو أنه أحسن الوجوه ، وهو استعمال معروف في كلام العرب ، يقولون مثلا : فلانٌ لايستطيع أن ينظر إلى فلانٍ، إذا كان ذلك ثقيلاً عليه[2]، والمراد ما هم عليه من صمم القلب وعمى البصيرة[3] وهذا هو الوجه الذي رجحه جمهور النحاة والمفسرين[4].

وذكر د.-السامرائي أن ثمة فرقا في المعنى بين قولنا : ماكانَ يقْرَأُ القُرآنَ، وقولنا : كانَ لايقْرَأُ القُرآنَ ، وبيَّن أنّ العبارة الثانية تفيد تعمد عدم الفعل، بخلاف ألأولى ، ومن هنا يتحدد الفرق بين قوله تعالى: **(وَمَا كُنتَ تَرْجُو أَن يُلْقَى إِلَيْكَ الْكِتَابُ)** [القصص:٨٦]،وقوله تعالى: **(إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَاباً)** [النبأ:٢٧] ، ففي ألآية ألأولى أخبر الله تعالى عن نبيه قبل البعثة أنه لم يكن يفكر في أمر الرسالة ، لأنه لم يكن له بها علم ، فلم يكن ذلك منه تعمداً ، بخلاف ألآية الثانية التي تعني أن الكفار كانوا لايرجون اليوم ألآخر عن تعمد وإنكار ، وكذلك فرق في المعنى بين قوله تعالى: **(ماكانُوا يَسْتَطِيعُونَ السمْعَ)** وقوله تعالى: **(وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعاً)** [الكهف:١٠١] بأن ألآية ألأولى ((لاتعني نفي السمع عنهم كما في ألآية الثانية ، بل تعني أنهم كانوا يسمعون،إلاّ أنهم كانوا يستثقلون سماع الحق))[5].

---

[1]) معاني القرآن وإعرابه٣/٤٥.

[2]) إعراب القرآن للنحاس٢/٨٤.

(3) مفاتيح الغيب١٧/٢٠٦.

(4) مشكل إعراب القرآن١/٣٥٧، والبيان في غريب إعراب القرآن٢/١٠، والتبيان في إعراب القرآن٢/٦٩٣، ورصف المباني ص٣١٤.

(5) معاني النحو١/٢٣٩-٢٤٠.

وفي ما ذهب إليه نظر ، ويحتاج إلى إيضاح وتعقيب ؛ فالنفي في قوله تعالى: (وَمَا كُنتَ تَرْجُو أَن يُلْقَى إِلَيْكَ الْكِتَابُ)، مسلطٌ على (كان) أي:على معنى الكينونة ، لاعلى معنى الرجاء ، وهذه الكينونة غير واحدة في كل مثال ، فهي تختلف حسب السياق والمقام ، فقد يقصد بها أمرا يفيد معناه رفع اللوم عن صاحبها ، كهذه الآية ، ذلك أن المقصود من الكينونة فيها عدم علم رسول الله صلى الله عليه وسلم، بأنه سيكون رسولاً ، كما صرح الدكتور السامرائي بذلك وهو المقصود الصحيح المفهوم من السياق ، إلا أنه لو قصد بها غير هذا المعنى لاختلف الأمر، فلو قصد بها مثلا اشتغاله عن أمر الرسالة بتجارة الدنيا– حاشاه–لما أفادت رفع اللوم عنه ، والنفي في قوله تعالى: (ماكانوا يَسْتَطِيعُونَ السمْعَ) مسلط على كان أيضاً ، لكنه لايفيد رفع اللوم عنهم كما رفع عن رسول الله صلى الله وعليه وسلم ،؛ وإنما لايفيد هذا المعنى لاختلاف معنى الكينونة في هذه الآية عن تلك ، فقد قُصِدَ بها هنا شدّة الكفر الذي أدى إمعانهم فيه إلى أنْ يكونوا في الحالة التي بينها النحاة والمفسرون.

وأجازوا أن تكون (ما) مصدرية في قوله تعالى: (تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ) [القصص:٦٣] ، والتقدير:تبرأنا إليك من عبادتهم إيانا ، والأصل : بما كانوا إيانا يعبدون[1] والراجح أنها نافية ، والمعنى:إنا تبرأنا منهم ، ماكانوا يعبدوننا ، بل كانوا يعبدون أهواءهم ونظيره قوله تعالى في موضع آخر: (وَقَالَ شُرَكَآؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ) [يونس:٢٨].

---

(١) إعراب القرآن المنسوب الى الزجاج٣/٩٢٠،والبيان في غريب إعراب القرآن٢/٢٣٥،والتبيان في إعراب القرآن٢/١٠٢٤.

وقطع الطبري أن تكون (ما) موصولة في قوله تعالى: (**وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ**) [القصص:٦٨]، ومنع أن تكون نافية[١]، وردّعليه مكي ، فمنع أن تكون موصولةً ، وأوجب أن تكون نافية ، والمعنى : وربك يامحمد يخلق ما يشاء ويختار لولايته ورسالته من يريد ، ثم إبتدا الكلام فنفى الاختيار عن المشركين وبيَّن أنهم لاقدرة لهم عليه فقال: (**ماكانَ لَهُمُ الخِيَرَةُ**)[٢] وهذا هو الوجه الظاهر من سياق الآية[٣].

وأجازوا ان تكون (ما) موصولة في قوله تعالى: (**لِتُنذِرَ قَوْماً مَّا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ**) [يس:٦] والتقدير : بما أنذر آباؤهم[٤]وأجاز بعضهم أن تكون مصدرية ، والتقدير : لتنذر قوما إنذارا مثل إنذار آبائهم[٥]، ومنهم من ذهب إلى زيادتها[٦] ورجح أكثر النحاة والمفسرين أن تكون نافية ؛ بدلالة قوله تعالى (**فَهُمْ غَافِلُونَ**)، وقوله تعالى في سورة [القصص:٤٦] : (**لِتُنذِرَ قَوْماً مَّا أَتَاهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ**

([١]) جامع البيان ٢/١٠٠-١٠٢.

([٢]) مشكل إعراب القرآن٢/٥٤٧-٥٤٨.

([٣]) معاني القرآن للفراء٢/٣٠٩،ومعاني القرآن وإعرابه٤/١٥٢،والتبيان في تفسير القرآن٨/١٥١، والكشاف٣/٤٢٧، والتبيان في إعراب القرآن٢/١٠٢٤،ومعترك الأقران في إعجاز القرآن٢/٣٨٥.

([٤]) جامع البيان ٢٢/١٥٠.

([٥]) مشكل إعراب القرآن٢/٥٩٩،والبيان في غريب إعراب القرآن٢/٢٩١.

([٦]) التبيان في إعراب القرآن٢/١٠٧٩.

يَتَذَكَّرُونَ) والمعني: لتنذر قوما لم ينذر آباؤهم ، والمقصود بالآباء الأدنون منهم لا الأباعد[1].

وأجازوا أن تكون (ما) موصولة في قوله تعالى: **(فَمَا لَبِثَ أَن جَاء بِعِجْلٍ حَنِيذٍ)** [هود:٦٩]، والتقدير : الذي لبثه إبراهيم عليه السلام ، قدر مجيئه ،وأجاز آخرون أن تكون مصدرية ، والتقدير : لبثه مقدار مجيئه ، وهذه التأويلات لاتخلو من تكلف والوجه أنها نافية[2].

وفي قوله تعالى: **(وَمَا أَنزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِن بَعْدِهِ مِنْ جُندٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ*إِن كَانَتْ إِلاَّ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ)**[يس:٢٨-٢٩] قال مكي وابن الأنباري: ((**(وَماكُنَّا مُنزِلِينَ)** (ما) زائدة عند أكثر العلماء ، وقال بعضهم : هي اسم في موضع خفض عطف على جند ، وهو معنى غريب حسن))[3]أي: موصولة والمعنى: ومما كنا منزلينه على مَنْ قبلهم من حجارة ، أو أمطار أو ريح[4]ولم يشيرا إلى وجه النفي ، وذكر العكبري أن (ما) هنا نافية ثم قال: ((ويجوز أن تكون زائدة أي:وقد كنا منزلين))[5]، وردَّ أبو حيان على أبي البقاء قوله بجواز الزيادة ووصفه بأنه ليس بشيء[6] ويبدو أنه لم يطلع على كلام مكي.

---

(1) معاني القرآن للفراء٢/٣٧٢، ومعاني القرى، للأخفش ٢/٤٤٩، ومعاني القرآن وإعرابه ٤/٢٧٨، وإعراب القرآن للنحاس ٢/٧٠٩ والبغداديات ص٣٥٦، والكشاف ٤/٤-٥، ومفاتيح الغيب ٢٦/٤٢-٤٣، ومغني اللبيب ١/٣١٥.

(2) التبيان في إعراب القرآن٢/٧٠٦.

(3) مشكل إعراب القرآن٢/٦٠٢والبيان في غريب إعراب القرآن٢/٢٩٤.

(4) أنوار التنزيل وأسرار التأويل ص٥٨٤.

(5) التبيان في إعراب القرآن٢/١٠٨٠.

(6) البحر المحيط٧/٣٣٢.

ولم يشر العلماء الذين اطلعتُ علىَ تفاسيرهم الى وجـــه الزيـــادة والمشهور عندهم أنّ (ما) نافية ، ذلك أنّ إنزال الجنود لايكون إلاّ لعظائم الأمور كإنزالهم يوم بدر ، أما هؤلاء فليسوا بأحقاء بأن يُنَزِّلَ الله عليهم ملائكة لإهلاكهم ، فالأمر أيسر من ذلك تحقيراً لشأنهم بل أُهلِكُوا بصيحةٍ واحدة[1].

فالوجه الذي ذكره مكي بأنه قول أكثر العلماء فيه نظر ؛ لأنه يأباه السياق، ولم اجد أحدا اختاره من النحاة أو المفسرين.

ويترجح أن تكون (ما) نافيةً إذا عطف عليها بـــ(لا)، كقوله تعالى: **(فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْـــصَارُهُمْ وَلَـــا أَفْئِـــدَتُهُم مِّـــن شَـــيْءٍ)** [ألأحقاف:٢٦] ويؤيد ذلك دخول (مِن) زائدة للتوكيد[2].

([1]) جامع البيان٢٣/١-٢،والكشاف١٢/٤،وزاد المسير١٤/٧،ومفاتيح الغيب٦٢/٢٦، والجامع لأحكام القرآن١٥/٢٠-٢١، وتفسير القرآن العظيم لإبن كثير٥٦٩/٣،وفتح القدير٣٦٧/٤.

([2]) البيان في غريب إعراب القرآن٣٧٢/٢.

الفصل الثالث

(ما) الزائدة

يظن كثير من الأساتذة والباحثين أن النحاة منقسمون بشأن الحروف الزائدة في القرآن الكريم.أن هناك من قال بها وهناك من رد هذا القول ونزه كتاب الله من كل حرف زائد لا معنى له.

والحقيقة أن النحاة غير منقسمين في هذه المسألة وغير مختلفين إلا في استعمال المصطلح ، فهم جميعا أجازوا مجيء حروف زائدة في القرآن الكريم ، وعبروا عن ذلك بمصطلحات الزيادة واللغو والحشو والصلة والإقحام،والذين قيل عنهم بأنهم ردوا من قال بالزيادة ونزهوا القرآن منها ومن مصطلحاتها ، فإن ردهم وتنزيههم هذا كان مقتصرا فقط على أن هذه الحروف ليست زائدة وإنما تفيد معنى التوكيد ، وهذا هو عين ماصرح به من قال بالزياده أو اللغو أو الحشو أو الصلة أو ألإقحام ، فحين يذكر نحوي أن هذه الحروف زائدة إنما يقصد أنها لاتفيد معنى أساسيا إلاّ معنى التوكيد ، فمن قال بأنها زائدة أراد بأنها مؤكدة ، ومن قال بأنها مؤكدة عنى بأنها زائدة، فالزيادة والتوكيد استعملا في النحو العربي مصطلحين مترادفين.

في ضوء هذه الحقيقة نقول فيما يخص البحث:إنه كثر القول بزيادة (ما) حتى قيل : إن كلا من (لما) الحينية و (لما) الجازمة مركبة من (لم) النافية و (ما) الزائدة[1].

ويجمع النحاة والمفسرون على جواز مجيء (ما) زائدة في القرآن الكريم لمعنى التوكيد وشذ قول أبي علي النحوي الذي أجاز أن تكون

---

(1) جامع البيان٤/٢٨٩،وبدائع الفوائد١/٩٣، والبرهان في علوم القرآن٤/٣٨١.

((زائدة لغير التأكيد))[١] ويبين ذلك بقوله: ((فكما جاز أن يزيدوا الحروف لغير المعاني...كذلك يجوز زيادة هذه الحروف في التنزيل))[٢].

والذين أنكروا القول بزيادة (ما) كالذي نُسِبَ إلى داود الظاهري[٣] (ت٢٧٠هـ)، وإبن درستويه[٤](ت٣٨٥هـ) وغيرهما[٥]كانوا يعنون إنكار الزيادة لغير معنى واستعمال هذا المصطلح ، لذلك دعا الزركشي إلى اجتناب لفظة (الصلة) أو (الزائدة) وأن يستبدل بهما (المؤكدة) ، لأنه ليس في القرآن حرف إلاّ وله معنىً والزائد مالامعنى له([٦]).

وإن عرفوا (ما) الزائدة بأنها ((تُجْعَلُ صِلَةً في المواضع التي دخولها وخروجها فيها سواء)) ، كما قال الفراء[٧] فهم يعنون أيضا أنها لاتفيد معنىً أساسياً يضاف إلى الجملة إلا معنى التوكيد، ، فالمعنى الأساسي للجملة لايتغير، ولايتأثر بدخول (ما) عليها أو خروجها منها ، وفي هذا يقول الرضي ((إنما سُمِّيَتْ زائدة ؛ لأنه لايتغير بها أصل المعنى ، بل لايزيد بسببها إلا تأكيد المعنى الثابت وتقويته،فكأنها لم تفد شيئاً))[٨].

فلا خلاف إذن بين من قال بزيادة (ما) أو أنكرها إلا في استعمال المصطلح ، وأوجز الهروي (ت٤١٥هـ) هذه المسألة بقوله: ((بعضهم

---

(١) البغداديات ص٣٤٤.

(٢) المصدر نفسه ص٣٤٤-٣٤٥.

(٣) البرهان في علوم القرآن٢/١٧٨، وترجمته في وفيات الأعيان لإبن خلكان٢/٢٥٥.

(٤) الفهرست لإبن النديم ص٩٤.

(٥) مفاتيح الغيب٢/١٣٥.

(٦) البرهان في علوم القرآن٢/١٧٨، ٤/٤٠٩.

(٧) معاني القرآن٢/٣٩٩.

(٨) شرح الرضي على الكافية٤/ ٤٣٢.

يسميها زائدة وبعضهم يسميها صلةً ، وبعضهم يسميها توكيداً ، ولايسميها زائدةً ولاصلةً، لئلا يظن ظان أنها دخلت لغير معنى البتة))[1].

ومن الدارسين المحدثين مَنْ دعا إلى عدم استعمال لفظة (الزيادة)[2] ومنهم من لم ير بأساً في استعمالها[3].

فمن جهة المعنى أن (ما) الزائدة تستعمل للتوكيد، ، أما من جهة اللفظ والإعراب فقد جعلها النحاة على ضربين : زائدة لاتغير إعراباً ، وزائدة يتغير فيها ألإعراب، كدخولها على (إنّ) وإخواتها، فتكفها عن العمل[4].

ومن النحاة من أخرج الضرب الثاني من معنى الزيادة اللفظية ، فرأوا أنه لاينبغي أن نسميها زائدة من جهة ألإعراب ، إذا وقعت كافةً أو مهيئةً أو أفادت معنى الحصر ، إذ الزيادة الإعرابية تعني تلك التي لاعمل لها ، ولاتؤثر في عمل غيرها ، فإذا أثرت فيه لم تكن زائدة[5].

إلا أن القول بزيادة (ما) للتوكيد يحتاج إلى تفسير. ويبدو أن النحاة لم يقدموا لها تفسيراً ، وفي ذلك يقول ثعلب : إنَّ البصريين الذين يذهبون إلى أنَّ (ما) زائدة للتوكيد في قوله تعالى: (**فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللّهِ لِنتَ لَهُمْ**) [آل عمران:١٥٩] كانوا إذا سُئِلوا ((كيف هي توكيد يقولون

---

(١) ألأزهية ص٧٦.

(٢) معجم الجملة القرآنية،الحروف الزائدة/ القسم الأول ص٩٨ ، ١١٢.

(٣) دراسة في حروف المعاني الزائدة،عباس محمد السامرائي ص١٥٥ ، ١٨٧.

(٤) المقتضب٢/٥٤،وكتاب الجمل للزجاجي ص٣٢١-٣٢٢،وشرح جمل الزجاجي لإبن عصفور ٢/٤٥٧.

(٥) إعراب القرآن للنحاس٢/٥٦٧، والبغداديات ص٢٩١، والإيضاح في شرح المفصل٢/٢٢٧-٢٢٨، وشرح الرضي على الكافية ٤/٤٣٥.

لاندري))[1]. ويقول الشيخ الدكتور عبد الرحمن التاج في بحثه الذي جعله بعنوان (حروف الزيادة وجواز وقوعها في القرآن الكريم) : إنَّ النحاة الذين قالوا: إنَّ(ما) زائدة للتوكيد((لم يبينوا من أي طريق كانت إفادة التوكيد)) وبين أنه لابد من معرفة أصل معناها ، فإنْ جردناها من هذا الأصل ((فإنها تكون عندئذٍ حشواً ولغواً لاتفيد توكيداً ولاغير توكيد، إنها تكون حينئذٍ كالأصوات السانجة التي لاتدل على معنى، ومثل هذا لايقع في الكلام الفصيح ، بل لايكون في كلام عقلاء يعنون ما يقولون))[2].

تبين في الفصل الأول من الباب الأول أنَّ (الذي) تستعمل في الكلام تعبيراً عن ذات الموصوف وعن ماهو معرفة ، لذلك يصح إظهار موصوفها وتستعمل (ما) تعبيراً عن صفة الموصوف وعما هو نكرة عامة لذلك لا يصح اظهار موصوفها ، وهذه الفروق الأساسية بينهما تقضي باختلاف أحكامهما.

وقد اتخذت (ما) ثلاث حالات خالفت فيها أحكام (الذي) فنشأ من كل حالةٍ أصلٌ من أُصول القول بزيادتها:

الأولى : ورودها بمعنى صلتها.

الثانية : حذف صلتها.

الثالثة : إفراد صلتها.

وعلى هذه الفروع الثلاثة لأصل (ما) الزائدة بُنِيَتْ مباحث هذا الفصل.

---

(1) مجالس ثعلب ص٢٤٩.

(2) مجلة مجمع اللغة العربية، الجزء الثلاثون، شوال ١٣٩٢هـ، نوفمبر ١٩٧٢م، ص٢١-٢٧.

المبحث الأول

(ما) التي بمعنى صلتها

المشهور عند النحاة أنَّ (إنَّ) وأخواتها إذا اتصلت بها (ما) بطل عملها ، فيرفع الإسم بعدها على الابتداء ، ويصح عندئذ دخولها على الجملة الفعلية والاسمية على حد سواء، وسموا (ما) هذه (مغيرة) ؛ لأنها غيرت عمل (إن) كما سموها (كافة) ؛ لأنها كفتها عن العمل ، و(موطئة) أو (مهيئة) ؛ لأنها هيأتها للدخول على الجمل الفعلية[1].

و(إنما) بالكسر تفيد الحصر عند جمهور النحاة[2]. وفي تعليل إفادتها هذا الغرض ذهبوا مذهبين، ، فرآى فريق منهم أنَّ (إنما)لم تفد الحصر ، لأنه اجتمع فيها توكيدان (إنْ) و(ما) ، وذكروا أنه لو صحَّ ذلك للزم معنى الحصر في كل تركيب مماثل ، نحو: إنَّ زيدا لقائمٌ ، ونحو: أحلفُ بالله إنَّ زيداً لقائمٌ ، فجمع بين ثلاث مؤكدات : القسم، و(إن) و(اللام) ، ولايفيد هذا الحصر باتفاق[3]. وذهبوا إلى أن (ما) الكافة مع

---

(1) الكتاب ٢/ ١٣٧-١٣٨ ، ٣/ ٥٧، ١١٦، ٣٣١، ومجالس ثعلب٢/٣٤٣، والموفقي في النحو،مجلة المورد ص١٢٣، ومعاني القرآن وإعرابه٣/٣٦٧،وشرح اللمع لإبن برهان العكبري١/٧٦، والجمل لعبد القاهر الجرجاني ص٣٢٢، والمقتصد في شرح ألإيضاح١/٤٦٧، والإيضاح في شرح المُفصل٢/١٦٢-١٦٣، وشرح عمدة الحافظ ص٣٢٢، ورصف المباني ص٣١٧-٣١٨، وتذكرة النحاة ص٦٢٠.

(2) معاني القرآن وإعرابه١/٢٤٣، ودلائل ألإعجاز ص٢٥٢-٢٥٣، ومعاني الأدوات والحروف والإعراب المنسوب إلى ابن الحسين البخاري ص٣٧٠، والكشاف٣/١٣٩، والأمالي الشجرية٢/٢٤٣، والتبيان في إعراب القرآن١/٢٩، ومفتاح العلوم للسكاكي٥١٠-٥١٢ ،والبرهان الكاشف عن وجوه البيان ص١٦١-١٦٢ وبدائع الفوائد ٢/١٢٨ وتذكرة النحاة ص٥٦٥-٥٦٦.

(3) ألأشباه والنظائر٤/١٤٠.

(إن) نافية ، وإن ذلك سبب إفادتها الحصر ، فلا يجوز أن يتوجها معــا الى شيء واحدٍ ؛ لأنه تناقض ، ولا أن يحكم بتوجه النفــي للمــذكور بعدها ، لأنه خلاف الواقع، فتعين صرفه إلى غير المذكور ، وصــرف الإثبات إلى المذكور ، فجاء الحصر فيكون ((معنى(انما) إثباتٌ لما يذكر بعدها ونفيٌ لما سواه))[1] ونسبوا هذا المذهب الى الكوفيين ، ونسب أيضاً الى جماعة من الأصوليين[2]. وذكر إبن هشام أن مذهبهم هذا مبنيٌّ على مقدمتين باطلتين بإجماع النحاة:

الأولى:أنّ (إنّ) ليس للأثبات وإنما لتوكيد الكلام إثباتــاً،نحو:إنّ زيداً لَقائم ، أو نفياً،نحو : إنّ زيداً ليسَ بقائمٍ.

والثانية: أنّ (ما) ليست للنفي[3].

وقد جهَّلَ أبو حيان القائلين بهذا الوجه ووصفه ((بأنه قول من لــم يقرأ النحو ولاطالع قول أئمته))[4].

ورأى الفريق الثاني أنّ (إنما) أفادت الحصر ، لأن (إنّ) للتوكيد و(ما) للتوكيد فضاعف تأكيدها ، وذكروا أن معنى الحصر ليس إلاّ تأكيدا للحكم على تأكيد ، واتهموا الذين ذهبوا الى أنّ (ما) للنفي بأنهم لاعلم لهم بالنحو[5].

وخلاصة ماتقدم من كلام الفريقين : أن الذين ذهبوا الى أنّ (إنّما) للحصر ، لأن (إنّ) للإثبات و(ما) للنفي ، أثبتَ غيرهم عدم صحة ذلــك بما يجمع عليه النحاة ، وكذلك الذين ذهبوا إلى أنّ (إنّما) أفادت الحصر

---

(1) تهذيب اللغة للأزهري١٥/٥٣٥.

(2) مغني اللبيب١/٣٠٨-٣٠٩.

(3) مغني اللبيب١/٣٠٨-٣٠٩.

(4) إرتشاف الضرب٢/١٥٧.

(5) الأشباه والنظائر٤/١٤١.

لاجتماع توكيدين أبطل غيرهم هذا الرأي بما يجمع عليه النحاة أيضاً ، فقد استطاع كل منهما أن يبطل حجة الآخر ، فيكون القول بإفادة(إنَّما) الحصر غير مستند الى دليل صحيح يؤيده ، ولا الى توجيه مقنع يفسره ؛ لذلك صرح نحاة بأنّ (إنَّما) ليست للحصر[1]، وذكر أبو حيان أن الحصر لايفهم من أخواتها ، فلا فرق مثلا بين:لعلَّ زيداً قائمٌ ، ولعلما زيدٌ قائمٌ ، إذ إنَّ (ما) مع (إنَّ) شأنها شأن (ما) مع (كأنَّ) و(لَعَلَّ) ، فكما أنها لاتفيد الحصر في التشبيه ولا الحصر في الترجي، فكذلك لاتفيده مع (إنَّ)[2].

فيبدو أن(ما) لم تستعمل للحصر ، ولالإبطال عمل (إنَّ) وأخواتها ، وهذا يعني أنه لابد أن تكون قد استعملت لمعنىً آخر، وقد تبين في الفصل الأول أن النحاة أكدوا أنَّ الاسم الموصول يستعمل في الكلام وصلةً لوصف موصوفٍ ما ، بصلته الواقعة جملةً ، إلاّ أن هذا الموصوف لابد أن يكون المقصود منه عنصراً من عناصر جملة الصلة ، فقد يكون المقصود منه مثلاً الضمير المضاف إليه في نحو: أَقْبَلَ الذي كِتابَةُ في يَدِهِ ، أو الفاعل ، نحو:سَرَّني مَنْ نَجَحَ، أو المفعول به نحو: أَعْجَبَنِي ماصَنَعَهُ زَيْدٌ ، وفي هذا المثال تسمى (ما) موصولةً، وقد يكون المقصود منه مصدر جملة الصلة ، نحو : أَعْجَبَنِي ماصَنَعَ زَيْدٌ ، أي : صُنْعُهُ ، وتسمى (ما) حينئذٍ مصدرية ، أو زمانية ، نحو أُصاحِبُكَ ماتَصْدُقُ، فتكون(ما) مصدرية ظرفية ، وقد لايكون المقصود من هذا الموصوف أحد هذه العناصر بل الصلة نفسها ،بعناصرها جميعها ، فيكون بمعناها ،ولوجوب حذفه نابت(ما) منابه وأخذت حكمه ودلالته ،

---

(1) شرح اللمع لابن برهان العكبري١/٧٤-٧٥.

(2) البحر المحيط٥/٨٨، ١٤٢، ٦/٣٤٤، وينظر:دراسات لأسلوب القرآن، القسم الأول١/٥١٤-٥١٥.

فصارت عندئذ تعني الجملة التي بعدها ، لذلك لم تحتج الى رابط،لأنها صارت علاقتها بها علاقة الخبر الذي هو نفس المبتدأ في المعنى نحو : الشجاعةُ أنْ تَقولَ الحقَّ.وأن تقولَ الحقَّ شجاعةٌ ، ونحو:قولي لاإلـه إلا اللهُ، ، ولاإله إلا الله قولي[1]، فصارت إحداهما بمعنى الأخرى، وهذا مما جعل(ما) تدل على معنى ألأمر، أو الشأن ونحو ذلك، كمعنى الحقيقة أو ألأمر الطبيعي ، أو الحاصل في الواقع ، فإذا قلنا مثلاً : إنَّما زيدٌ شاعِرٌ ، عنينا : أنَّ ألأمر هو أن زيداً شاعِرٌ ، كأنما نريدُ أن نبين أنَّ شاعرية زيد حقيقةٌ من الحقائق.

وتكلم النحاة على(ما) التي بهذا المعنى ، وجعلوها في باب (المعرفة التامة) وذكروا أنها ليست موصولة تحتاج الى صلة ، ولاهي موصوفة تحتاج الى صفة ، وقد مثل لها سيبويه بقوله : ((إنّي مِمّا أنْ أَفْعَلَ ذلِكَ كأنه قال: إني من ألأمر أو من الشأن أن أفعلَ ذلك،فوقعت(ما) هذا الموقع))[2]. وقال ألأخفش في(ما)في هذا المثال : إنها ((هاهنا وحدها إسم،كأنه قال: إني من ألأمر ، ومن أمري:صنيعي كذا وكذا))(٣). وجُعِلَ نحو: إن زيداً مِمّا أن يَكْتُبَ ، بمعنى:((أنه مخلوق من أمر ذلك ألأمر، وهو الكتابة))(٤). وقال إبن هشام في (ما) من ((مِمّا يَقومُ)) في قول الشاعر:

ألِفَ الصُّفونَ فما يزالُ كأَنَّهُ   مِمّا يقومُ على الثلاثِ كَسِيرا

---

[1] شرح إبن عقيل ٢٠٤/١.

[2] الكتاب ١٥٦/٣.

[3] معاني القرآن ٣٨/١.

[4] ألأزهية ص٩٠،ومغني اللبيب ٢٩٨/١.

إنَّ معناه : ((ألِفَ الصفونَ على الثلاث ، فلا يزال ثانيا إحـــدى قوائمه حتى كأنه مخلوقٌ من قيامه على الثلاث))[1]. فجعـل(مـــا) هنـــا بمعنى الحقيقة أو الأمر المخلوق ، أو الواقع ، وقد أجاز نحاة جعلها في هذا البيت بمنزلة(الذي) والتقديرعندهم : كأنه من الخيل الذي يقوم على الثلاث كسيراً[2]. وهذا يعني: ان هناك خيلاً خُلِقَتْ على هذه الطبيعـــة ، وأن الشاعر يشبه فرسه بها وهذا خلاف الواقع ، فليس هناك خيل بهـــذه الصفة ، لذلك لايصح أن تكون (ما) بمنزلة (الذي) بل هي بالمعنى الذي ذكره إبن هشام.

وذكر ثعلب أن نحو: إنَّما قامَ زَيْدٌ ، هو بمعنى:إنه قامَ زيدٌ[3] فجعل (ما) كضمير الشأن ، وقد نُسِبَ الى الكوفيين وإبن درستويه أنهم زعموا أن (ما) مع (إنَّ) وأخواتها ، إسم مبهم بمنزلة ضمير الشأن في التفخـيم والإبهام ، وأن الجملة بعده مفسرةٌ ومخبرةٌ بها عنه[4]، وهذا ما ذهب اليه الدكتور الجواري[5].

وهذا المذهب وإن أنكر صحته إبن هشام [6].، يبدو انـــه أقـــرب ألأقوال الى الغرض الذي تؤديه (ما) في (إنَّما)، وللتقدير الذي ذكره إبن هشام نفسه في ألأمثلة التي استشهد بها، إذ أنَّ(ما) أعطت معنى الحقيقـــة الظاهرة المعلومة التي لاتنكر.

---

(1) مغني اللبيب ٣١٨/١.

(2) الأزهية ص٨٥،وشرح شواهد المغني للسيوطي ص٧٢٩-٧٣٠.

(3) مجالس ثعلب ص٢٧٢.

(4) دلائل الإعجاز ص٢٥٣،وإرتشاف الضرب ١٥٧/٢.

(5) نحو المعاني ص١٣٣-١٣٤.

(6) ينظر : ٣٠٧/١ .

وقد اوضح عبد القادر الجرجاني هذه المسألة عندما عرض الفرق بين أسلوب (إنَّما) وأسلوب (ما) و(إلاّ) في الكلام.فقال : ((اعلم وإنهم وإن كانوا قد قالوا : (إنَّما) بمعنى(ما) و(إلاّ) فإنهم لم يعنوا في ذلك أن المعنى في هذا هو المعنى في ذاك بعينه ، وأن سبيلهما سبيل اللفظين يوضعان لمعنى واحد)) .وقال: ((انما موضوع (إنما) على أن تجيء لخبر لا يجهله المخاطب ولايدفع صحته ، تفسير ذلك : إنكَ تقول للرجل : إنَّما هو أخوكَ، وإنَّما هو صاحبك القديم ، ولاتقوله لمن يجهل ويدفع صحته ، ولكن لمن يعلمه ويُقِرُّ بِهِ ، إلاّ أنَّك تريد أن تنبهه للذي يجب عليه من حق الأخ وحرمة الصاحب)). وقال: أما (ما) و(إلاّ) ((فيكون للأمر ينكره المخاطب ويشك فيه ، فإذا رأيت شخصا من بعيد، فقلت ماهوَ إلاّ زيدٌ ، لاتقوله إلاّ وصاحبك يتوهم انه ليس بزيد وانه إنسان آخر)). وعلى هذا الأساس فرق الجرجاني بين الآيات القرآنية التي استعملت فيها (إنّما)، وبين التي استعملت فيها(ما)و(إلاّ)، فذكر في قوله تعالى: **(إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَآؤُنَا)** [إبراهيم:١٠] .أنه ((إنما جاء، والله أعلم، بـ (ما) و (إلاّ) دون (إنّما) فلم يقل: إنما أنتم بشرٌ مثلنا ؛ لأنهم جعلوا الرسل كأنهم بادعائهم النبوة قد اخرجوا أنفسهم من أن يكونوا بشرا ، ثم جاء الجواب من الرسل(**إِن نَّحْنُ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ**) [إبراهيم:١١])) لأنه أراد ((أن يعيد كلام الخصم على وجهه، ويجيء به على هيئته ويحكيه كما هو)) ثم بين أنه استعمل(إنَّما) في قوله تعالى: **(قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُم)** [الكهف:١١٠] لأنه ابتداء كلام وليس جوابا لكلام سابق قد قيل فيه : إن أنت إلاّ بشرٌ.

وأجمل الكلام في ذلك بقوله: ((وجملة الأمر أنك متى مارأيت شيئاً هو من المعلوم الذي لايشك فيه الذي حقه أن يؤدّى بـ (إنَّما) قد جاء

بالقران الكريم بالنفي(ما) و (إلاّ) ، فذلك لتقدير معنى صار به في حكم المشكوك فيه))[1].

وهذا ما ذكره الزملكاني[2] والعلوي[3] أيضاً وهو أن (إنما) يكون لما لا يجهله المخاطب ، أو ما ينزل منزلته ، ومن أمثلة ذلك في القران الكريم قوله تعالى (إنّما أنتَ نَذيرٌ) [هود: ١٢]. وقوله تعالى: (إنّما أنتَ مُنذرٌ) [الرعد: ٨] وقوله تعالى: (إنّما يَخشى اللهَ منْ عبادهِ العُلماءُ) [فاطر: ٢٨] وقد جعل البطليوسي من انواع (ما) ما يفيد هذا المعنى، فقال: ((ومنها التي توصل بـ (إنّ) فتفيد معنى رد الشيء إلى حقيقته[4] واستشهد على ذلك بقوله تعالى: (إنّما اللهُ إلهٌ واحدٌ) [النساء: ١٧].

و(ما) هذه التي فصل الجرجاني معناها وغرض استعمالها سماها النحاة (كافة) ، وقد تحتمل للموصولية، ففي قوله تعالى: (إنّما هوَ إله واحدٌ) [الانعام: ١٩]، جاز أن تكون (ما) موصولة اسم (إنّ) وصلتها جملة (هوَ اله) و (واحدٌ) خبر (إنّ)، والوجه أنها كافة ، أي: هي بالمعنى الذي ذكره الجرجاني ، و (هو) مبتدأ و (اله) خبره و (واحد) صفة[5].

ويختلف إعراب (ما) في (إنّما) الداخلة على الجملة الفعلية ، باختلاف إعراب الاسم بعدها، فيلزم فيها معنى الموصولية او المصدرية ولا يصح أن تكون كافة اذا لزم رفع الاسم كالذي في قوله تعالى (إنَّ مَا

---

(1) دلائل الإعجاز ٢٥٥-٢٥٧.

(2) البرهان الكاشف عن اعجاز القرآن، ص١٦٣- ١٦٤، ١٦٦_ ١٦٧.

(3) الطراز ٢/ ٢٠١.

(4) الحلل في اصلاح الخلل، ص ٣٥٠.

(5) التبيان في إعراب القرآن ١/ ٤٨٦.

تُوعَدُونَ لآتٍ) [الانعام: ١٣٤] وقوله تعالى: (إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ) [الذاريات: ٥] وقوله تعالى: (إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ) [المرسلات: ٧] [١].

وذكر الفراء أنه ينبغي نصب الاسم بعد (إنّما) في نحو: إنّما ضَرَبْتُ أخاكَ، لأنه لا يصح الرفع إلاّ عند جعل (ما) موصولة ، و(ما) لاتكون للناس ، لذلك وجب أن تكون كافة ، لكن يجوز الوجهان في نحو: إنما سكنت دارك[٢].

ومن ذلك الحديث النبوي الذي أخرجه البخاري عن ابن عباس رضي الله عنه ولفظه((كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعالج من التنزيل شدة، وكان مما يحرك شفتيه)) فإن (ما) هنا كافة لنصب(شفتيه) ولو رفعت لكانت موصولة.

وقد جعلت(مما) بمعنى (ربما) وقيل: (من) للتعليل و(ما) مصدرية بتقدير: ((وكان يعالج أيضا من أجل تحريك شفتيه)) وقال الكرماني: ((أو(ما) بمعنى(من) إذ قد تجيء للعقلاء أيضا أي: وكان ممن يحرك))[٣] وهذا وجه بعيد ، لأنه يؤدي إلى أن يكون المعنى : أن ثمة أجناساً من الناس كان من عادتها او خلقتها تحريك شفاهها وان رسول الله صلى الله وعليه وسلم كان واحدا منهم ، وهذا مخالف للواقع ولايصح ان يكون هو المراد. ومن شواهد ذلك في القرآن الكريم قوله تعالى: ((إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ))[البقرة:١٧٣] و(ما) في هذه الآية كافة

---

(١) مجاز القرآن ١/ ١٠٨، والتبيان في إعراب القرآن ١/ ٣١٢- ٣١٣، ١/ ٥٤٠، ومغني اللبيب ١/ ٣٠٧- ٣٠٨.

(٢) معاني القرآن١/١٠٢، وقد مر في الباب الأول أن الفراء وجمهور النحاة أجازوا عود(ما) على العاقل.

(٣) أمالي السهيلي ص٥٢، وصحيح البخاري بشرح الكرماني١/٤٦-٤٧، وفتح الباري١/٣٨-٣٩، وعمدة القاري١/٧٢.

لنصب(الميتة) ومن قرأها بالرفع ، وهو خلاف المشهور ، جعلها خبر(إن) و(ما) موصولة ، ومن قرأ(حرم) للبناء للمجهول أو بفتح(الحاء) وضم(الراء) مخففة فجعلها فعلا لازما رفع (الميتة) في الوجهين فتعرب نائب فاعل أو فاعلا عند جعل(ما) كافة وخبر(إن) عند جعلها موصولة والضمير المستتر في (حُرِّم) أو(حَرُمَ) عائد عليها[1].

ولم يجز الزجاج جعل (ما) موصولة في قوله تعالى: **(كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)** [آل عمران:١٨٥] لأنه يترتب على ذلك الفصل بين(توفون) ومعمولها (يوم القيامة) بـ(أجوركم) وهذا لايجوز[2]. وذكر مكي أنه لم يقرأ أحد برفع (أجوركم) ولو قرأ لكان التقدير: إنّ الذي توفونه أجوركم[3].

وجاز في (ما) في قوله تعالى: **(إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ)** [طه:٦٩]. الموصولية والمصدرية لرفع (كيد)[4] ومن أجاز نصبها في الكلام أو لقراءة شاذة جعل(ما) كافة[5].

وذكر ابن قتيبة أن(ما) الموصولة وردت مرة مفصولة عن (إنّ) كقوله تعالى:**(إنّ ماتوعدون به لآت)**، ومرة موصولة بها كقوله تعالى:

([1]) معاني القرآن للفراء١/١٠٢، وجامع البيان٣/٣١٨، والبحر المحيط١/٤٨٦، ومغني اللبيب١/٣٠٨.

([2]) معاني القرآن وإعرابه١/٤٩٥.

([3]) مشكل إعراب القرآن١/١٨٣.

([4]) مجاز القرآن١/٢٤١، ومعاني القرآن للأخفش١/٢٠٠ن ومعاني القرآن وإعرابه٣/٣٦٧، والأمالي الشجرية٢/٢٣٤، والبيان في غريب إعراب القرآن٢/١٤٨، وشرح شذور الذهب ص٢٨٠، وقطر الندى١٥٢-١٥٣، ومغني اللبيب١/٣٠٨.

([5]) معاني القرآن للفراء١/١٠١، ومشكل إعراب القرآن٢/٤٦٩، ومغني اللبيب١/٣٠٨.

(إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ) وقال: ((وأحب إلي أن تفرق بين الاسم والصلة بأن تقطع الاسم وتصل الصلة))[1] ويقصد بالصلة: الزائدة (الكافة). وقال البطليوسي: ((فكأن من كتب المصحف إنما على قراءة من نصب، ولذلك وصلها))[2].

و(ما) كافة في قوله تعالى: (إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا) [طه:٧٢] لنصب(الحياة)[3].ويجوز رفعها في الكلام بجعل(ما) موصولة[4]ومن قرأ(تقضى) للبناء للمجهول رفع (الحياة) في الوجهين[5]كالذي مر في قوله تعالى: (إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ).

ومثل هذا قالوا في قوله تعالى: (إِنَّمَا تَعْبُدُونَ من دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا) [العنكبوت:١٧][6]. وقوله تعالى: (وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) [العنكبوت:٢٥][7].

ويجوز جعل(ما) موصولة مع نصب الإسم إذا تقدم على الفاعل ، قال إبن هشام :((وجزم النحويون بأن(ما) كافة في (إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء) [فاطر:٢٨] ولايمتنع أن تكون بمعنى (الذي) و(العلماء) خبر والعائد مستتر في (يخشى)))[8] وقد تبين أن (ما) لاتقع على

---

(1) أدب الكاتب ص١٩٤.

(2) الاقتضاب٢/١١٩.

(3) معاني القرآن وإعرابه٣/٣٦٩.

(4) معاني القرآن للفراء٢/١٨٧، ومشكل إعراب القرآن٢/٤٦٩.

(5) مختصر شواذ القراءآت لإبن خالويه ص ٨٨.

(6) إعراب القرآن للنحاس٢/٥٦٧.

(7) معاني القرآن للفراء١/١٠٠-١٠١، ٢/٣١٦، وجامع البيان٢/١٤١-١٤٢، وإعراب القرآن للنحاس٢/٥٦٨، ومشكل إعراب القرآن٢/٥٥٢-٥٥٣، والبيان في غريب إعراب القرآن٢/٢٤٢.

(8) مغني اللبيب١/٣٠٨.

أشخاص من يعقل، فلا يصح هذا الوجه إلاعند جعل الآية بمعنـــى : أن الجنس الذي يخشى الله من عباده العلماء.

ولم يذكر النحاة والمفسرون عند جعل (ما) كافة في هذه الآيـــات معنى هذا الوجه ولم يقدروه ، فالمعاني التي يعبر عنها بالموصولية يراد بها أنها أمور غير معلومة لدى المخاطب، فتنكر لتعريفه بها فرفع (كيد) في قوله تعالى: (**إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ**) يقضي بأن السحر لم تكن بعـــد حقيقته ظاهرة عند موسى عليه السلام إذ لو كان كذلك لما فـــوجئ بـــه وفصل الله له شأنه ، ويتضح هذا في قوله تعالى: (**فَأَوْجَسَ فِـــي نَفْـــسِهِ خِيفَةً مُوسَى* قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ الْأَعْلَى* وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَـــفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَـــا يُفْلِـــحُ الـــسَّاحِرُ حَيْـــثُ أَتَـــى***) [طه:٦٧-٦٩] فرفع الاسم في هذه الآية وجعل(ما) موصولة هو المعنى المراد والملائم للسياق وواقع الحال أول الأمر ، وحـــين أدرك موســـى عليه السلام هذه الحقيقة بعد ذلك خاطبهم بها ، قال تعالى: (**قَالَ مُوسَـــى مَا جِئْتُم بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللّهَ سَيُبْطِلُهُ**)[يونس:٨١]، والمعاني التـــي يعبـــر عنها بـــ(ما) التي سميت كافة يراد بها أنها حقائق معلومة لاتنكـــر ، أو مما ينبغي أن تكون كذلك، لذلك ورد نصب الاسم بعد(انما) في الآيـــات الأخرى ، لأنها تضمنت معاني تدرك مع أحكامها والحكمة منها بالقلـــب والجوارح قبل أن تعرف بالعقل والعلم ، هذا هو الأصل وإذا وردت في مواطن بمعنى الموصولية فإنما كان ذلك لإنزال منزلة ما لاينكر منزلـــة ما ينكر مراعاة للمقام وأحوال المخاطبين كما صرح بذلك الجرجاني .

وكما وردت (ما) بمعنى صلتها ، أي كافة كما يسميها النحاة فـــي إنما بالكسر وردت كذلك في أنما بالفتح كقوله تعالى: (**وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَـــا فَتَنَّاهُ**) [ص:٢٤]. وفي كأنما في قوله تعالى: (**كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ**) [الأنفال:٦]. وهي بهذا المعنى في (ربما) في قوله تعالى:

(رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ كَانُواْ مُسْلِمِينَ) [الحجر:٢]. فقد أجاز النحاة ان تكون (ما) هنا نكرة بمنزلة (شيء) أو زائدة ، أو مصدرية ، أو كافة[1].ومن النحاة من اختار الوجه ألأخير، من بينهم أبو علي النحوي ، إلا ان الذين اختاروا هذا الوجه لم يبينوا أيضا معناه ، ولم يقدروه ، فهي في هذه الآية مثل التي تكلم عليها النحاة في باب المعرفة التامة وجعلوها بتقدير: الأمر، أو الشأن ، أو الحقيقة ، أو الأمر المخلوق ، أو الأمر الواقع ، الا أنه لايصح فيها هذا التقدير ، لأن (رب) لاتدخل إلاّعلى نكرة وليس المهم معرفة التقدير ، بل المهم معرفة المعنى فهي على أية حال، بالمعنى الذي فصلناه في(انما)، فقوله تعالى: (رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ كَانُواْ مُسْلِمِينَ) تقديره: إنما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين. والمعنى أن هذا التمني للكافرين حقيقة لامراء فيه ، أو يعد أمراً لابد منه بل(ما) لاتكون إلا بمعنى صلتها (كافة) حيثما وردت في القرآن الكريم متصلة بأداة التشبيه ، فقد أجاز المرادي[2]أن تكون(ما) في (كما) الداخلة على الجملة الفعلية موصولة أو مصدرية أو كافة ، أي: كفتها عن الدخول على المفرد وجره كما كانت الحال في(ربما). واختار ابن هشام[3]والسيوطي[4]أن تكون مصدرية ، فقوله تعالى: (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُواْ كَمَا آمَنَ النَّاسُ) [البقرة:١٣]، تقديره : آمنوا ايمانا كايمان الناس، والظاهر أنها ليست مصدرية ، لأنه ما أريد تشبيه مصدر(آمنوا) بمصدر

---

(1) الكتاب٢/١٠٨-١٠٩، ٣١٥، ومعاني القرآن للأخفش١/ ٣٦-٣٧، ٢/ ٣٧٨، والبغداديات ص٢٨٧-٢٨٩، والأزهية ص٨٩ن والأمالي الشجرية٢/٢٤٤،والبيان في غريب إعراب القرآن ٢/ ٦٣، وشرح الرضي٣/ ٥١.

(2) الجني الداني٤٤٨-٤٥٠.

(3) مغني اللبيب١/ ٣١٠.

(4) الاتقان في علوم القرآن٢/ ٢٩، ومعترك الأقران٢/ ٥٥٣.

(آمن الناس) وانما اريد تشبيه مضمون قوله تعالى: (آمنوا) بمضمون قوله تعالى: (آمن الناس) ، فكان التشبيه بين معنيي جملتين لابين معنيي مفردين. وربما يتضح هذا في قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ) [البقرة:١٨٣] فقد جعل النحاس[١] والقرطبي[٢](ت٦٧١هـ) (ما) في الآية موصولة صلتها(كتب) والضمير المستتر في هذه الصلة يعود على(ما) والحقيقة أن(ما) لاتعود على الصيام ، والضمير المستتر في(كتب) غير عائد عليها ، لأن التقدير: كتب عليكم الصيام كما كتب الصيام على الذين من قبلكم. فليست(ما) مصدرية ولاموصولة ، إذ ليس المراد تشبيه صيام من قبلنا بصيامنا ، بل المراد تشبيه ما يدل عليه قوله تعالى: (كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ) بما يدل عليه قوله تعالى: (كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ)، والمعنى: أنه كما فرض على من قبلكم أن يصوموا، فرض عليكم ان تصوموا، ولايتحقق هذا المعنى إلا بجعل (ما) كافة كما سميت عند النحاة فتكون في هذه الآية والتي قبلها قد أدت الغرض الذي أفادته في(إنما) ، والدليل على ذلك مجيء (كما) في كثير من الأمثلة من دون أن يصح جعلها بمنزلة (الذي) ولاسبكها بما بعدها بمصدر كقوله تعالى: (فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ)[هود:١١٢][٣]. وقوله تعالى:(وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا)[الاسراء:٢٤] وكذلك قوله تعالى: (قَالُواْ يَا مُوسَى اجْعَل لَّنَا إِلَـهاً كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ) [الأعراف:١٣٨] ومن ذلك ايضا قول الرسول صلى الله عليه وسلم:((صلوا كما رأيتموني اصلي)) فـ(ما) هنا كافة

([١]) إعراب القرآن١/٢٣٥.

([٢]) الجامع لأحكام القرآن٢/٢٧٤.

([٣]) فوائد في مشكل القرآن ١٤٠.

وليست ، كما ذكر نحويون، موصولة أو مصدرية[1] بل هي بهذا الوجه في كل موضع. فقد مر أن النحاة جعلوا(الذي) مصدرية في قوله تعالى:(**وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُواْ**)[التوبة:٦٩]، والتقدير: خضتم كالخوض الذي خاضوا ، وفي هذا تشبيه خوضهم بخوض من عاشوا قبلهم. وإذا استعملت(ما) بدلاً من (الذي) في الكلام، وقيل: وخضتم كما خاضوا، امتنع أن يكون التشبيه بين المصدرين ولزم أن يكون بين مضمون الفعلين(خضتم) و(خاضوا).

ومن ذلك أيضا قوله تعالى: (**وَفِي السَّمَاء رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ * فَوَرَبِّ السَّمَاء وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ***) [الذاريات:٢٢-٢٣].

ذهب سيبويه وجمهور النحاة الى ان(ما) في هذه الآية زائدة، والتقدير عندهم : إنه لحق مثل أنكم تنطقون[2]على حين ذهب الفراء الى أنها مصدرية، وأجاز اجتماعها مع (انكم) لاختلاف لفظيهما[3].

وثمة عدة صيغ يمكن أن تؤدى حول معنى هذه الآية ، فلو قال:إنه لحق مثل ما تنطقون ، لكان المراد مصدر الفعل الدال على النوع ، ولو قال: مثل أن تنطقوا، لكانت (أن) مهيئة ، والمراد حدوث الفعل ، ولو قال : مثل ما انتم تنطقون ، لكانت(ما) كافة ، أي: قصد بها أن تكون

---

(١) البيان في غريب إعراب القرآن ٣٧٣/١، والتبيان في إعراب القرآن١/٥٩٣، وبدائع الفوائد١/١٤٥، وإرتشاف الضرب٢/٤٣٧-٤٣٨، والبرهان في علوم القرآن٣/٧٧.

(٢) الكتاب ١٣٩/٣-١٤٠، ومعاني القرآن للأخفش١ /١٣٥-١٣٦، وإعراب القرآن للنحاس ٢٣٦/٣ -٢٣٧، ومشكل إعراب القرآن٢/٦٨٧، والتبيان في إعراب القرآن٢/١١٨٠-١١٨١، وتذكرة النحاة ص٤٤٢-٤٤٣.

(٣) معاني القرآن٣/٨٤-٨٥، والتبيان في تفسير القرآن٩/٣٨٤.

بمعنى جملة الصلة ، وهو أبلغ من الوجه الأول والثاني ، ولو قال : مثل ما إنكم تنطقون ، لأفاد بكسر(انكم) توكيد معنى هذه الجملة ، والمعروف أن(أنّ) بالفتح تفيد التوكيد أيضا[1] الا انها تعد من الحروف المصدرية فيكون المراد من استعمالها حدوث الجملة ، فنحو: يعجبني أنك قائم ، تقديره عند النحاة: يعجبني قيامك[2] وجملة: أنتم تنطقون باستعمال(ما) لاتحتاج الى(أن) ، فهي تدل على الحدوث لكون خبرها فعلا ، فاستعمال(أنّكم) هنا بالفتح كان لإظهار هذا المعنى وتأكيد أن المراد تشبيه قضية رزقهم بقضية نطقهم ، وهم يمارسون هذا النطق في أسمارهم وأسواقهم، إذ حقيقته في هذه الحالة أظهر، وهي حالة من المناسب أن يعنى بها في هذه الآية ، لأنها واردة في سياق التعبير عن الحقائق الظاهرة.

ولايظهر لـ(ما) في الآية غرض واضح لذلك عدت زائدة للتوكيد ، ولكن يمكن التوصل اليه من خلال ضرب الأمثلة الآتية : فلو قلنا : إنّي أكرمتك كأنك أكرمتني ، أو مثل أنك أكرمتني ، لقصدنا وقوع الكرم منا ولم نقصد وقوع الكرم من المخاطب ، ولو استعملنا(ما) بدلا من(أنّ) أو قبلها في المثال نفسه وقلنا : إني أكرمتك كما أكرمتني، أو مثل ما أكرمتني، أو كما أنك أكرمتني، أو مثل ما أنك أكرمتني ، لقصدنا وقوع الكرم من الجانبين ، بل وقوعه من المخاطب أسبق فيكون أولى بالثناء ، لذلك يصح أن نقول لأمّي جاهل لايعلم شيئا : إني علمتك كأنك علمتني ، أو مثل أنك علمتني ، ولايصح أن نقول فيه : إني علمتك كما أنك علمتني ، أو مثل ما أنك علمتني.

---

(1) شرح إبن عقيل ٣٤٦/١.

(2) شرح إبن عقيل ٣٥١/١.

وقوله تعالى: (كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ) وقوله تعالى: (وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا) يفيدان وقوع صيام من قبلنا وتربية والدينا لنا ، ولو جعلناهما بتقدير: كتب عليكم الصيام كأنه كتب على الذين من قبلكم ، أو مثل أنه كتب على الذين من قبلكم ، وقل ربي ارحمهما كأنهما ربياني صغيرا ، أو مثل أنهما ربياني صغيرا، لأفادا عدم وقوع صيام من قبلنا ،وتربية والدينا لنا ، وهذا خلاف الواقع والمعنى المراد ، ويعود إليهما معناهما الواردان في نص القرآن الكريم لو جعلناهما بتقدير: كتب عليكم الصيام مثل ما أنه كتب على الذين من قبلكم ، وقل ربي ارحمهما مثل ما أنهما ربياني صغيرا.

فلو جعلنا(ما) مثل(أن) أو زائدة والآية بتقدير: إنه لحق مثل أنكم تنطقون ، لكان الخطاب موجها الى اناس بُكمٍ ، والمعنى: أن هذا الأمر حق كأمر كلامكم بينكم لو كنتم تتكلمون ، في حين أن الآية بإستعمال(ما) تعني : كما أنّ أمر نطقكم، وأنتم تؤدونه ، يعد عندكم حقيقة معلومة واقعة لاشك ولامراء فيها، وتقرون بها ولا تنكرونها ولاتدفعون صحتها ، فكذلك ينبغي أن يكون عندكم أمر رزق الله لكم ومايعدكم به. فالفرق بين المعنيين جليّ ، فإذا كان حذف(ما) يغير فحوى الآية ، ويقلبها من معنى الإثبات إلى معنى النفي فكيف يصح بعد ذلك عدها زائدة للتوكيد ، أو جعلها بمنزلة (أن) ؟!

و(ما) أدت هذا المعنى الأساسي لأنها عندما كانت بمعنى صلتها أفادت جعل ما قبلها معادلا لما بعدها من حيث الدلالة والواقع.

إن(ما) هذه التي فصلنا غرض استعمالها في هذا المبحث لايصح أن تسمى كافة، لأنها لم ترد في الأصل لتكف عاملاً عن عمله كما ان

الكافة عدت أحد قسمي(ما) الزائدة[1] وقد تبين أنها اســتعملت لغــرض لايمكن الاستغناء عنه وبحذفها يتغير أصل المعنى.

(1) مغني اللبيب ١/٣٠٦-٣١٠.

المبحث الثاني

(ما) المحذوفة الصلة

(١)

المحذوفة الصلة إبهامًا

أ- الظاهر موصوفها:

أجاز الفراء في (ما) في قوله تعالى: (**إِنَّ اللَّهَ لاَ يَسْتَحْيِي أَن يَضْرِبَ مَثَلاً مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا**) [البقرة:٢٦] ثلاثة اوجه:

الأول:- ان تكون زائدة.

ثانيا:- ان تكون نكرة بمنزلة (شيء).

والثالث:- ان يكون المعنى: ان الله لا يستحيي ان يضرب مثلا ما بين بعوضة إلى ما فوقها , كما قالت العرب: هي أحسن ما قرنا فقدما , يعنون ما بين قرنها الى قدمها , فلما حذفت (بين) و (الى) انتصب (قدما) كما انتصب (بعوضة) ليدل النصب على المحذوف , وذكر ان هذا أحب الوجوه إليه[١] . وذكر الزجاج ان الاختيار عنده وعند ((جميع البصريين أن تكون (ما) لغوا))[٢] يريد بذلك انها زائدة.

والقول بزيادة (ما) في هذه الاية هو القول المشهور لدى جمهور النحاة والمفسرين[٣].

---

(١) معاني القرآن ٢١/١-٢٢.

(٢) معاني القرآن وإعرابه ١٠٤/١.

(٣) مجاز القرآن ٥٨/٢, ١٦٠, ومعاني القرآن للاخفش ٥٣/١, وجامع البيان ٤٠٤/١ - ٤٠٥, وإعراب القرآن للنحاس ١٥٣/١ , والبغداديات ص٢٦٠, ومشكل إعراب القرآن٨٣/١ , والكشف في نكت المعاني والإعراب ١/ ٢٢ ومجمع البيان في تفسير القرآن ١/ ٦٦والمفردات في غريب القرآن ص٧٢٧ , وزاد المسير ٥٥/١ , وكشف المشكل في النحو ٣٤٣/١ , وقواعد المطارحة

ومنهم من اجاز ان تكون (ما) زائدة على النفي , نحو: جئت لأمر ما, وتقديره : ما جئت إلا لأمر , وهو شبيه بقول العرب : شر أهر ذا ناب , أي : ما أهره الا شر[1] ولا يخفى تكلف هذا الوجه وتكلف التأويل الذي بني عليه.

وأشار سيبويه[2]والفراء[3] والاخفش[4] وغيرهم[5], إلى جواز رفع (بعوضة) ونسبوا هذه القراءة إلى رؤبة بن العجاج وناس من بني تميم وأجازوا في (ما) ثلاثة أوجه :

الأول: انها زائدة.

والثاني: انها صفة , ورفعت (بعوضة) في هذين الوجهين على أنها خبر لمبتدأ محذوف , والتقدير: هو بعوضة.

والثالث: انها موصولة بمنزلة (الذي) حذف صدر صلتها , والتقدير: الذي هو بعوضة , وحذف هذا الضمير جائز عند الكوفيين وممتنع عند البصريين[6] وقد ضعفه ابن جني لكونه ليس فضلة , لذلك أجاز أن تكون

ص٢١٩ , ومدارك التنزيل ١/٣٥ – ٣٦, وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ١/٦٤ , وإرشاد العقل المليم ١/٥٨ , وفتح القدير ١/٥٦.

(١) شرح المفصل لابن يعيش ٨/١٣٣.

(٢) الكتاب ٢/١٣٧–١٣٨, ٢٨٦.

(٣) معاني القرآن ١/٢١–٢٢.

(٤) معاني القرآن ١/٥٣.

(٥) قواعد المطارحة، ص٢١٩، والبحر المحيط ١/ ١٢٢– ١٢٣ ، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ١/ ٦٤ وفتح القدير ١/٥٧.

(٦) معاني القرآن وإعرابه ١/ ١٠٤.

(ما) استفهامية في محل رفع على الابتداء , وبعوضة خبرها[1]. واستحسن الزمخشري هذا الوجه[2] واشار إليه غيره, كالرازي في تفسيره[3]

وكذلك ذهبوا الى ان (ما) زائدة في قوله تعالى: **(جُندٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ الأَحْزَابِ)** [ص: ١١][4]

ومنهم من ذهب الى انها ((اسم نكرة صفة لـــ(جند) وفيها معنى التحقير)) [5]

وذهبوا أيضا الى القول بزيادة (ما) في قوله تعالى: **(فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاء رَكَّبَكَ)** [الانفطار:٨], ومنهم من أجاز ان تكون شرطية والتقدير : في أي صورة ما شاء ان يركبك فيها ركبك[6]

والوجه ان تكون (ما) في هذه الآيات هو الوجه الثاني الذي أشار اليه الفراء في الآية الأولى واختارته القلة من النحاة , وهو: ان تكون (ما) صفة غير موصوفة , استعملت لزيادة الابهام , او لغرض التنويع او التحقير والتقليل او التعظيم, واستشهدوا على ذلك بنحو: لامر ما جدع قصير انفه, ونحو :

---

(١) المحتسب ١/ ٦٤، ٢٣٤، ٢٣٥، ٢/ ٢٥٥.

(٢) الكشاف ١/١١٤-١١٥.

(٣) مفاتيح الغيب ٢/١٣٥.

(٤) معاني القرآن الفراء ٢/٣٩٩, وجامع البيان ١٣/٢٣, ومعاني القرآن وإعرابه ٣٢٣/٤, والازهية ص٧٥, ومشكل العرب القرآن ٢/٦٢٤, والكشاف ٤/٨٧, والاماني الشجرية ٢/٢٤٦, ومجمع البيان في تفسير القرآن ٨/٤٦٧, والتبيان في إعراب القرآن ٢/١٠٩٨.

(٥) معترك الاقران ٢/٤١٥.

(٦) معاني القرآن وإعرابه ٥/٢٩٦, وإعراب القرآن للنحاس ٣/٦٤٥, والبيان في غريب إعراب القرآن ٢/٤٩٨, والتبيان في إعراب القرآن ٢/١٢٧٤, وإرشاد العقل السليم ٩/١٢١.

لأمر ما يسود من يسود

أي: لأمر , أي امر كان , ونحو : أعطني كتابًا ما , أي: أي كتاب كان , واضربه ضربا ما , أي: أي ضرب كان[1] الا ان الذين اختاروا هذا الوجه لم يفسروا كيف افادت (ما) معنى الابهام والتنويع.

يكثر حذف المفرد والجملة في اللغة لدلالة فحوى الكلام على المحذوف او لإعمام معناه ، وعدم تحديده ، كحذف المفعول به او الصلة من قولهم : جاء بعد اللتيا والتي[2] ويحذف موصوف (ما) او صلتها لأحد هذين الغرضين, والمحذوف منهما لاعمام معناه لا يصح إظهاره او تقديره : لانه نكرة عامة , ولكن يمكن ان يعبر عنه باضافة (كل) او (اي) الى ما يدل عليه من الالفاظ , ويلزم في هذه الحالة إظهار الآخر او تقديره , لانه لم يحذف الا لكونه مفهوما من السياق.

وحذف صلة الاسم الموصول لا يجيزه النحاة ، وهذا الحكم يصح تطبيقه على (الذي) وفروعها لأنها يراد بها التعيين فلا يلائمها حذف الصلة , لان هذا الحذف يراد به التنكير فيكون مناقضا لمعناها والغرض من استعمالها ; بخلاف (ما) فان حذف الصلة يلائمها لإبهامها , فقد جعل العرب هذا المعنى من وظيفتها , وهذه الوظيفة لا تتحقق الا بأحد أمرين :

---

(١) الازهية ص٧٥, والكشاف ١/١١٤-١١٥, والايضاح في شرح المفصل ٢/٢٢٨, وشرح جمل الزجاجي لابن عصفور ٢/٤٥٦, تسهيل الفوائد ص٣٦, وشرح الرضي على الكافية ٣/٥٢-٥٣, والبسيط في شرح الكافية ١٢١٥, ورصف المباني ٣١٧, وارتشاف الضرب ١/٥٤٥, والإعراب عن قواعد الإعراب ص٩٩, وهمع الهوامع ١/٣١٨, وأسرار النحو لابن كمال باشا ص١٨٦-١٨٧, ونتائج التحصيل ٢/٧٨٥.

(٢) المثل السائر لابن الأثير الجزري ١/٢٧٥, ٣٠٤, والإيضاح في علوم البلاغة ص١٠٦-١١١.

اما بحذف موصوفها وهو الغالب او بحذف صلتها , فإذا قلنا مثلا: اقرأ ما ينفعك , كان المراد: أي شيء كان ينفعك, كتابا او مجلة او جريدة فلم نحدد نوع الموصوف (المقروء) وانما حددنا صفته بان يكون نافعا لا ضارا فأفادت (ما) في هذا المثال ونحوه اعمام معنى الموصوف , فكانت وصلة لوصف ما هو مبهم عام بصلتها الظاهرة او المقدرة , واذا قلنا : اقرأ كتابا ما , او كتبا ما , حددنا ان يكون الموصوف كتابا لا مجلة او جريدة او مما لاينطبق عليه اسم الكتاب الا اننا أبهمنا معنى صفته , فليكن ما يكن نافعا او ضاراً او كتابا في اللغة او التفسير او التاريخ او أي نوع آخر فأفادت ما في هذا المثال ونحوه اعمام معنى الصفة ، فكانت وصلة لوصف موصوفها الظاهر او المقدر بما هو مبهم عام.

وكما نابت (ما) مناب موصوفها المحذوف الدال على العموم فاخذت دلالته وأعربت إعرابه نابت مناب صلتها التي دلت على العموم لحذفها فأخذت دلالتها وأعربت إعرابها صفة نكرة مبهمة , ومن هنا , أفادت (ما) معنى الابهام والعموم والتنويع , وجعلت بتقدير: أي كتاب كان , واي ضرب كان , واي امر كان , في الأمثلة التي استشهد بها النحاة , وهذا هو المعنى المراد من الآيات المذكورة, فتكون (ما) في قوله تعالى: (**إِنَّ اللَّهَ لاَ يَسْتَحْيِي أَن يَضْرِبَ مَثَلاً مَّا**) نكرة تامة عامة صفة لـ(مثلا) والمعنى: مثلا أي مثل كان و(بعوضة) صفة أخرى , وتكون (ما) صفة لـ (جند) في قوله تعالى: (**جُندٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ الأَحْزَابِ**) والمعنى: جند , أي جند كان , و(هنالك) و(مهزوم) و (من الأحزاب) صفات أخرى, ، وتكون (ما) في الشاهد الثالث صفة لـ (صورة) في قوله تعالى: (**فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاء رَكَّبَكَ**), والمعنى: في أي صورة ، أي صورة كانت , و (شاء) و (ركبت) صفتين أخريين.

ومن قرا (بعوضة) بالرفع وجعل (ما) بمنزلة (الذي), جاز ان تكون (ما) بدلا من (مثلا) وما جاز ان تكون صفة لها , لأنه لا يجوز الجمع بين ذكر موصوفها وذكر صلتها.

ب_ المقدر موصوفها:

ثمة موضع في القرآن الكريم وردت فيه (ما) محذوفة الصلة الا انها لم تعد زائدة, هو قوله تعالى: (إِن تُبْدُواْ الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ) [البقرة:٢٧١] وقد قيل في إعراب (ما) في هذه الآية أقوال مختلفة والمشهور عند النحاة انها نكرة تامة او معرفة تامة وان في الكلام مضافا محذوفا هو المقصود بالمدح والتقدير: نعم الشيء شيئاً ابداؤها , فحذف الإبداء وأقيم الضمير المضاف اليه مقامه : لانه ليس المراد مدح الصدقات بل مدح إظهارها[١]

والظاهر ان (ما) هنا محذوفة الصلة ؛ لذلك سميت تامة[٢] فهي في هذا الموضع كمواضعها في الايات التي تقدم ذكرها الا ان موصوفها حذف لكونه مفهوما من السياق ويقدر بالنكرة (صدقات) لا بالمعرفة بدلالة ظهوره بهذا الوجه في الشواهد السابقة , نابت (ما) منابه فأخذت دلالته ولزم لوقوعها موقع فاعل (نعم) ان تكون اعم من الصدقات المذكورة في نص الآية ومن المخصوص (هي) العائد عليها ؛ لذلك حذفت صلتها لاعمام معناها لوصف الموصوف المقدر بهذا العموم , ولتكون بتقدير : أي صدقات كانت, والمخصوص بالمدح (هي) يعني الصدقات التي نبديها ،

---

(١) معاني القرآن وإعرابه١/١٧٣، ٣٥٤ والبغداديات ص ٢٥٩, والكشاف ١/٣١٦, والمقتصد في شرح الإيضاح لعبد القاهر الجرجاني ١/٣٧٤, والبيان في غريب إعراب القرآن ١/ ١٧٧-١٧٨, ومفاتيح الغيب ٧/٢٢, وشرح الرضي على الكافية ٣/٥٢, والبسيط في شرح الكافية ص ٧٦٨, والجنى الداني ص ٣٣٦, والبرهان في علوم القرآن ٤/٤٠٥.

(٢) الحلل ص٣٥٢.

فالمراد مدح الصدقات المتصفة بالإبداء لا مدح الإبداء ، والمعنى: ان تبدوا الصدقات فنعم صدقات, أي صدقات كانت, الصدقات التي تبدونها.

(٢)

المحذوفة الصلة إيجازاً

تلحق (ما) الأسماء (اذ) و (حيث) و (كيف) فتغيرها من أدوات غير شرطية وغير جازمة الى أدوت شرطية وجازمة , لذلك سميت مغيرة او (مسلطة) وهي ضد (الكافة) [١], وعدت عند نحويين غير زائدة[٢] من جهة الإعراب.

اما (اين) و (متى) و (أي) , فانها تكون شرطية بدون (ما) فاذا دخلت عليها كانت زائدة للتوكيد[٣].

وقد علل ابن يعيش صلاح (اين) و (متى) للشرطية بدون (ما) لانهما اسمان مبهمان لعدم إضافتهما إلى ما بعدهما , بخلاف (حيث) فأنها اقل إبهاماً للزوم اضافتها الى المعرفة[٤].

ويبدو ان (ما) لحقت اسماء الشرط لا لتأكيد معانيها الخاصة وانما لتأكيد معنى العموم فيها , وأدت هذه الغرض, لانها وقعت وصلة لوصف موصوف دال على معنى اسم الشرط بصلتها , وحذف الموصوف , لاعمام معناه , فنابت (ما) منابه فاكتسبت دلالته العامة , اما الصلة فلم تحذف لهذا

---

(١) الكتاب٣/٥٦، ٢٢١، ٣٣١، ٤/٢٢١ والازهية ص٩٧, والاقتضاب ٢/ ١٢٠, والمفردات في غريب القرآن ص٧٢٧, والتبيان في إعراب القرآن ١/١٢٧, والبرهان في علوم القرآن ٤/٤٠٨.

(٢) شرح الرضي على الكافية ٤/٤٣٥.

(٣) الكتاب ٣/٥٨-٥٩, ومشكل إعراب القرآن ١/٢٠٣, والتبيان في إعراب القرآن ١/٣٧٤, وشرح المفصل لابن يعيش ٧/٤٦.

(٤) شرح المفصل ٨/١٣٣.

الغرض , وانما حذفت استغناء عنها بالشرط المذكور لان معناها هو معنى الشرط نفسه فتكون (ما) في (كيفما) دالة على الحال , وبمعنى: أي حال كان , فقولنا: كيفما تكن اكن: معناه كيف تكن_ أي حال كان تكون فيه_ اكن. وهي في (متى ما) دالة على الزمان وبمعنى: أي زمان كان , فقولنا: متى ما تذهب اذهب , معناه: متى تذهب _ أي زمان كان تذهب فيه_ اذهب , وهي في (أين ما) دالة على المكان وبمعنى : أي مكان كان فيكون قوله تعالى: (وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوِهَكُمْ شَطْرَهُ) [البقرة :١٤٤_١٥٠] معناه وحيث كنتم_ أي مكان كان كنتم_ فولوا وجوهكم شطره وقوله تعالى: (أَيْنَمَا تَكُونُواْ يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ) [النساء: ٧٨] معناه: اين تكونوا _ أي مكان كان تكونون فيه _ يدرككم الموت.

اما مجيء (ما) بعد (اي), فقد ذهب جمهور النحاة والمفسرين الى القول بزيادتها في قوله تعالى: (أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ الأَسْمَاء الْحُسْنَى) [الإسراء: ١١٠][١], وأجاز الفراء ان تكون (ما) شرطية وجاز اجتماعها مع (اي) الشرطية لاختلاف لفظيهما[٢] ، وهذا ما ذهب اليه في أدوات أخرى , كاجتماع (ما) النافية و(ان) النافية[٣], وأشار غيره الى جواز هذا الوجه[٤].

---

(١) الكتاب ٣/٦٠, ومعاني القرآن للاخفش ٢/٣٩٢, ومعاني القرآن وإعرابه ٣/٢٦٤, والازهية ص٧٥, ومشكل إعراب القرآن ١/٤٣٦, ومجمع البيان ٦/٤٤٥ والكشاف ٢/٧٠٠, والتبيان في إعراب القرآن ٢/٨٣٦.

(٢) معاني القرآن ٢/١٣٣.

(٣) المصدر نفسه ١/١٧٦.

(٤) جامع البيان ١٥/١٨٣, والتبيان في تفسير القرآن ٦/٥٣٣, والبيان في غريب إعراب القرآن ٢/٩٨.

وكذلك ذهبوا الى القول بزيادتها في قوله تعالى: (أَيَّمَا الأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلا عُدْوَانَ عَلَيَّ) [القصص: ٢٨][1].

وتنسب الى ابن كيسان انه جعلها نكرة بمنزلة (شيء) [2]، وأشار العكبري الى هذا الوجه بصيغة التضعيف: (قيل) [3].

ويبدو أيضا ان (ما) بعد (اي) الشرطية ، مثل (ما) بعد أسماء الشرط التي تقدم ذكرها ، استعملت اداة لوصف موصوف دال على ما أضيفت اليه (اي) ظاهراً كان ام مقدرا ، وحذفت صلتها استغناء عنها بذكر الشرط ، فتكون (ما) في الآية الأولى بمعنى: أي اسم كان، وفي الآية الثانية بمعنى: أي اجل كان ، وقوله تعالى: (قُلِ ادْعُواْ اللّهَ أَوِ ادْعُواْ الرَّحْمَـنَ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ الأَسْمَاء الْحُسْنَى) معناه: قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن أي الاسمين تدعوا_ أي اسم كان منهما تدعون_ فله الأسماء الحسنى، وقوله تعالى (أَيَّمَا الأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلا عُدْوَانَ عَلَيَّ) معناه: أي الأجلين قضيت _ أي اجل كان منهما_ فلا عدوان علي.

ويجمع النحاة والمفسرون على ان (ما) بعد اذا و (ان) الشرطيتين زائدة للتوكيد[4].

---

(١) معاني القرآن للفراء ٣٠٥/٢، ومجاز ا لقران ١٠٢/٢، وجامع البيان ٦٥/٢٠ ومعاني القرآن وإعرابه ١٤٢/٤، وإعراب القرآن للنحاس ٥٥١/٢، والصاحبي في فقه اللغة ص١٧٤، والازهية ص٧٥، والبسيط في شرح الكافية ١٢١٤.

(٢) مشكل إعراب القرآن ٥٤٣/٢.

(٣) التبيان في إعراب القرآن ١٠١٩/٢.

(٤) معاني القرآن للفراء ٤١٤/١، ومعاني القرآن للاخفش ٦٧/١-٦٨، ومجالس الشعب ٥٥١/٢، وجامع البيان ٥٤٨/١-٥٤٩، ومعاني القرآن وإعرابه ٣٣٤/٢، والبغداديات ص٣١١، والتبيان في تفسير القرآن ١٧٣/١، والامالي الشجرية ٢٤٦/٢، والبسيط في شرح الكافية ص١٢٥١، ورصف المباني ص٣١٥.

وذكر د.- السامرائي ان قوة احتمال وقوع الشرط يعد سببا لزيادة (ما) للتوكيد بعد (اذا) و (ان) , فقال في قوله تعالى: **(فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا)** [مريم ٢٦]: ((واحتمال الرؤية احتمال قوي فاكدها)) وقال في قوله تعالى: **(فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى)** [طه: ١٢٣] ((واحتمال انزال الهدى أي: الرسالات السماوية مؤكدة فأكده وقد حصل)) وقال في قوله تعالى: **(قُل رَّبِّ إِمَّا تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُونَ)** [المؤمنون: ٩٣] ((واحتمال إراءته ما يوعدون احتمال قوي وقد أراه الله ذلك فيما بعد في بدر وغيرها)) [(١)]

بيد ان المعروف في كتب اللغة , ان التوكيد بعامة يستعمله المتكلم في المعاني التي يشك فيها المخاطب او ينكرها لضعفها ، أو لاستبعاد حصولها[(٢)], وهذا يعني ان الذي يحتاج الى توكيد هو الشرط الذي ضعف احتمال وقوعه وليس الذي قوي احتمال وقوعه.

وذهب ابن خالوية الى ان (ما) بعد (اذا) شرطية في قوله تعالى: **(فَأَمَّا الْإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ * وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ)** [الفجر: ١٥_١٦], وقدم هذا الوجه على القول بالزيادة[(٣)].

ومن المعاصرين من ذهب هذا المذهب , ففسر توكيدها بعد (اذا) بجعلها شرطية , فاجتمع شرطان , وسوغ اجتماعها مع (اذا) لاختلاف

---

(١) معاني النحو ٤/٤٧٧-٤٧٩.

(٢) الإيضاح في علوم البلاغة ص١٣-١٤.

(٣) إعراب ثلاثين سورة ص٧٩.

لفظيهما[1], وقد مر ان الفراء استند الى هذه العلة , عندما أجاز ان تكون (ما) شرطية بعد (اي) في قوله تعالى: **(أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ الأَسْمَاء الْحُسْنَى)**, وهذا قد يصح اذا لم يكن ثمة فرق أساسي بين الأداتين كاجتماع (ان) النافية مع (ما) النافية لانهما حرفان, واجتماع (ما) الشرطية مع (أي) الشرطية لأنهما اسمان ، الا أن القول بجواز اجتماع (ما) الشرطية مع (إذا) مذهب بعيد , لأن بينهما فرقا أساسيا في الماهية , اذ إن (اذا) حرف لا يدل على شيء , اما (ما) فانها اسم يدل على شيء , فهي مثلا تعني الشيء الذي ينفق في نحو : ما تنفقوا يوف إليكم فما الشيء الذي تدل عليه (ما) في نحو: إذا ما تدرس تنجح ؟ ؛ فهذا المثال ونحوه انما هو موضع (اذا) الشرطية لا (ما) الشرطية ، اذ يصح ان يقال : اذا تدرس تنجح , ولا يصح ان يقال: ماتدرس تنجح ، فلو كانت (ما) هنا مثل (اذا) الشرطية لصح المثال الثاني كما صح المثال الأول, لذلك لا يجوز اجتماعهما شرطيتين , لان الموضع الذي تصلح له إحداهما لا تصلح له الأخرى.

مر الكلام على (ما) الزمانية فنحو : أصاحبك ما صدقت , معناه : أصاحبك زمانا تصدق فيه , ومن النحاة من ذهب إلى أن (ما) المتصلة بالأفعال: (قل) و (كثر) و (طال) ظرفية , ((فنحو: طالما يقوم زيد , هو بتقدير طال زمان يقوم فيه زيد , ونحو: قلما يأتينا عمر , هو بتقدير: قل زمان يأتينا فيه عمر , ثم حذف الضمير فسقط الحرف)) [2].

وقد ترد بهذا الوجه في شواهد اخرى كقوله تعالى: **(لَقَد تَّابَ اللهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِن بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ)** [التوبة: ١١٧] فالظاهر ان (ما) هنا ليست

---

(١) مالك يوسف المطلبي- في التركيب اللغوي للشعر العراقي المعاصر. ص١١٨، ٢٢٣- ٢٢٤.

(٢) بدائع الفوائد ١/١٤٤.

موصولة او مصدرية او كافة كما قيل[1] بل هي زمانية بتقدير: من بعد زمان كاد يزيغ قلوب فريق منهم فيه.

وذهب كثير من النحاة والمفسرين الى ان (ما) في (كلما) الشرطية ليست زائدة بل هي دالة على الزمان بمعنى (وقت) او (حين) وجعلوا قوله تعالى: (كُلَّمَا أَضَاء لَهُم مَّشَوْاْ فِيهِ) [البقرة:٢٠] بتقدير: كل وقت أضاء لهم مشو فيه, وقوله تعالى: (كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا) [الإسراء:٩٧] بتقدير: في كل وقت خبت زدناهم سعيرا[2].

واكد ابن قيم الجوزية ان (ما) في (كلما) نكرة تامة ، وهي ظرف في المعنى والتقدير، فقولنا: كلما يفعل افعل، تقديره: كل وقت يفعل كذا افعل كذا ، واشار الى أن معنى الظرفية فيها واضح ، لا يمكن إلغاؤه[3].

وكما صح مجيء (ما) زمانية في (كلما) الشرطية صح مجيئها بهذا المعنى بعد (اذا) و (ان) الشرطيتين , وتتضح هذه المسالة بانه اذا أعرب النحاة (ما) في قوله تعالى: (وَلِيُتَبِّرُواْ مَا عَلَوْاْ تَتْبِيرًا) [الاسراء: ٧] ظرفية , ولم يجيزوا بالإجماع ان تكون زائدة للتوكيد ، وجب ان تكون عندهم بهذا المعنى والإعراب اذا قيل في الكلام : ليتبروا اذا ما علو تتبيرا ، واذا أعربوا (ما) في نحو: ولا يأب الشهداء ما دعوا , ظرفية زمانية ولم يجيزوا بالإجماع ان تكون زائدة للتوكيد , وجب ان تكون عندهم أيضاً بهذا المعنى والإعراب في قوله تعالى: (وَلاَ يَأْبَ الشُّهَدَاء إِذَا مَا دُعُواْ) [البقرة: ٢٨٢] ذلك ان معنى (ما) بعد (اذا) في هذه الآية والمثال الذي قبلها , بقي من غير ان يتغير, سوى انه أضيف اليه معنى الشرط بدخول (اذا) فيهما

---

(١) بدائع الفوائد ١/١٤٤-١٤٦.

(٢) البغداديات ص ٢٧٩-٢٨٠, والازهية ص ٩٥-٩٦, واصلاح الخلل ص٣٥٥, والامالي الشجرية ٢/٤٤٣, ورصف المباني ص ٣١٤, زمغنى اللبيب ١/٣٠٥.

(٣) بدائع الفوائد ١/ ٤٦.

واجتماع الشرط والظرفية الزمانية وارد في اللغة والقرآن الكريم كاجتماعهما في (كلما), وقد مر ان النحاة قسموا (ما) الشرطية قسمين : شرطية غير زمانية , وشرطية زمانية, واستشهدوا على القسم الثاني بنحو : ما تقم أقم , وبقوله تعالى: **(فَمَا اسْتَقَامُواْ لَكُمْ فَاسْتَقِيمُواْ لَهُمْ)** [التوبة:٧].

ويذكر النحاة ان (ما) تزاد بعد (اذا) لغرضين : احدهما للتأكيد والثاني للإبهام فنحو : سأزورك اذا جن الليل ، يكون القصد منه على الأرجح ليل ذلك اليوم ولا يتعين ذلك اليوم في نحو : سأزورك اذا ما جن الليل, بل يحتمل الليالي الأخرى القادمة[١] الا ان إفادة (ما) بعد (اذا) لمعنى الإبهام يحتاج الى تفسير, ونقول هنا ما قلناه هناك في (ما) المتصلة بأسماء الشرط من انها دلت على ما ذكر النحاة؛ لانها وقعت وصلة لوصف موصوف دال على الزمان بصلتها , حذف لاعمام معناه , ثم نابت (ما) منابه فاكتسبت دلالته العامة , اما الصلة فلم تحذف لهذا الغرض, بل للاستغناء عنها بذكر الشرط , لانها بتقديره.

فاستعمال (ما) بعد (اذا) الشرطية اريد به ربط الجزاء بالشرط, بمعنى الشرطية وبمعنى المعية الزمانية العامة , وبهذا تفسر شواهدها في القرآن الكريم.

فقد استعملت (ما) في قوله تعالى: **(وَلاَ يَأْبَ الشُّهَدَاء إِذَا مَا دُعُواْ)** لأنه أراد ان يأمر الشهداء بالحضور للشهادة اذا دعوا اليها دون إمهال , لانها أمر يتطلب التعجيل في تنفيذه , ودلالة (ما) على هذا الغرض في قوله تعالى: **(لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُواْ إِذَا مَا اتَّقَواْ وَّآمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ)**[المائدة: ٩٣] يوضحه ويدل عليه

---

(١) شرح المفصل لابن يعيش ٩٨/٤, ومعاني النحو ٤٧٢/٤.

سبب نزول هذه الآية , انه حين انزل الله آية تحريم الخمر , قال رجل: يا رسول الله , فما ترى فيمن مات وهو يشربها فانزل الله: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُواْ﴾[1]. والمعنى لا جناح على الذين شربوا الخمر في أي وقت , كان الخمر فيه لم يحرم شربه , اذا كانوا في ذلك الوقت يؤمنون بالله ويتقونه ويعملون الصالحات.

وكذلك استعملت لهذا المعنى في قوله تعالى: ﴿لَّيْسَ عَلَى الضُّعَفَاء وَلاَ عَلَى الْمَرْضَى وَلاَ عَلَى الَّذِينَ لاَ يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُواْ لِلّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ * وَلاَ عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لاَ أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّواْ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلاَّ يَجِدُواْ مَا يُنفِقُونَ﴾ [التوبة: ٩١-٩٢] فقوله تعالى: ﴿وَلاَ عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لاَ أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ تقديره: ولا على الذين اذا أتوك في أي وقت كان , قلت لهم وقت إتيانهم لا اجد ما أحملكم عليه . فعبارة (في أي وقت كان) تقدير لدلالة عمومها وعبارة (وقت إتيانهم) تقدير لمعنى المعية الزمانية فيها , فقد أُريد باستعمال (اذا) و (ما) اعمام هذه الحالة الخاصة واعمام حكمها لتشمل كل من أشبه حالهم حال هذا النفر , لتدخل ضمن الحالات العامة الثلاث التي ذكرت في الآية التي سبقتها.

واستعمل (ما) في قوله تعالى: ﴿أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ آمَنتُم بِهِ آلآنَ وَقَدْ كُنتُم بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ﴾ [يونس:٥١] لان المشركين لايؤمنون الا وقت وقوع العذاب عليهم, لذلك قال (الآن) وقوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ الْإِنسَانُ أَئِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا﴾[مريم: ٦٦] تعني بذكر (ما) ان الإنسان غير المؤمن بالله يصعب عليه ان يصدق ان يحيى في وقت هو في ظنه وقت موت

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٩٤/٢.

وفناء , لا وقت بعث وحياة وكذلك ذكرت في قوله تعالى: **(وَلا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاء إِذَا مَا يُنذَرُونَ)** [الأنبياء: ٤٥] لان المراد ان عدم استجابتهم للحق كان وقت ندائهم وإنذارهم ، لا قبله او بعده , ليدل هذا على شدة كفرهم وليس الأمر كذلك في قوله تعالى: **(وَلا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاء إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ)** [النمل: ٨٠], اذ هذا الإدبار لا يتحقق الا عند فوات أوان سماعهم لنداء الحق, فيكون عند غيابهم عنه لا عند شهودهم له واستعمل (ما) في قوله تعالى: **(حَتَّى إِذَا مَا جَاؤُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ)**[فصلت:٢٠] ليكون المعنى انهم اذا جاؤوها في أي وقت كان ، شهدت عليهم وقت مجيئهم ، جوارحهم من دون ان يكون هناك امهال لحسابهم، فقد امهلوا في الدنيا ، والله اليوم سريع الحساب.

وقد تتضح دلالة(ما) هذه في قوله تعالى: **(فَأَمَّا الْإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ * وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ)** [الفجر: ١٥-١٦] فهذه هي طبيعة الإنسان لا يشعر بان الله قد أكرمه الا وقت إنزال النعمة عليه وتمتعه بها وهو يظهر سخطه وشعوره بان الله قد أهانه وقت ابتلائه بالفقر.

وتتضح هذه الدلالة اكثر في قوله تعالى في المنافقين: **(وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَـذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُواْ فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ * وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كَافِرُونَ)** [التوبة: ١٢٤-١٢٥]. فزيادة الإيمان يكون وقت نزول الآية , ثم يستقر بعد ذلك حتى نزول آية أخرى اما قلوب المنافقين فتزداد رجسا فوق رجسهم وكذلك كان قوله تعالى: **(وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ هَلْ يَرَاكُم مِّنْ أَحَدٍ)** [التوبة:١٢٧], فنظر المنافقين بعضهم الى بعض, انما يكون وقت نزول الآية , او وقت سماعهم لها ، فالمرء تثار مشاعره عندما يسمع ويرى ما يثيره أول وهلة ,

ثم يهدأ بعد ذلك. ولهذا الغرض الأساسي ذكرت في قوله تعالى: (وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ) [الشورى: ٣٧], فاغلب الناس يعفون عمن أساء إليهم وأغضبهم, بعد ان تهدا سورة غضبهم بزمن يطول أو يقصر, فلو قال جل شانه : واذا غضبوا هم يغفرون ، لاحتمل وصف المؤمنين بهذه الصفة التي يتصف بها الاكثرون, وهو خلاف المراد من سياق الآية التي كانت لبيان ثناء الله سبحانه، على صفوة مختارة خاصة تحلت بأسمى الخلق الذي قلما يتحلى به الناس , لذلك كان المراد من الآية ان يصفهم الله بأنهم يغفرون ويعفون عن الناس ساعة وقوع الإساءة منهم, والمعنى: واذا غضبوا في أي وقت كان فهم وقت غضبهم يغفرون, يؤيد ذلك قول الرسول صلى الله عليه وسلم : (ليس الشديد بالصُّرَعة , انما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب) [1].

وكذلك كان هذا هو الغرض من استعمال (مَا) بعد (ان) الشرطية كقوله تعالى: (فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) [البقرة: ٣٨] وقوله تعالى: (فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى) [طه: ١٢٣] لانه اراد اقتران انزال الرسالات السماوية او بقائها نقية غير محرفة بالحث على اتباع هداها , وإلا فلا.

واستعمل (ما) في قوله تعالى (وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ) [يونس: ٤٦] لانه اراد ان يكون المعنى ان قضية رجوعهم الى الله حقيقة قائمة في زمن كل حالة.

وقد يجب العمل بمعناها كالذي في قوله تعالى: (وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ) [الأعراف: ٢٠٠] ففي هذه الآية أمر

---

(١) رواه البخاري ومسلم عن ابي هريرة رضي الله عنه, الترغيب والترهيب, ٧٠٤/٣.

بالاستعاذة من الشيطان وقت نزغه لابعده , ونظيره قوله تعالى: (**فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ**) [الأنفال:٥٧] فالله سبحانه , يأمر رسوله الكريم ان ينكل بأعدائه ليعتبر من سواهم(١), وان يفعل ذلك وقت الحرب والظفر بهم لا بعده , لأنهم بعد ذلك يعدون أسرى لايحل أذاهم, وفي قوله تعالى: (**فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا**) [مريم: ٢٦] لو جاء النص بغير (ما) وقال: وإن ترين , لجاز لمريم , عليها السلام ان تبقى ساكتة وأن تؤخر إجابة من يسألها في شان ابنها عيسى , عليه السلام , مدة تختارها وان تجيبهم في الساعة التي ترغب فيها لكنه , جل شانه , لما قال (**فَإِمَّا تَرَيِنَّ**) أصبح عدم تأخير الجواب أمراً, وتأخيره معصية وإثماً.

اما (ما) في (إنما), فقد مر ان النحاة جعلوها مثل (ما) في (حيثما), غيرت (اذا) من اداة غير شرطية , وغير جازمة الى اداة شرطية وجازمة , ويبدو ان (اذ ما) هي (اذا) الشرطية وقعت بعدها (ما) الظرفية الزمانية ويدل على ذلك انها عند النحاة مركبة من (اذ) و (ما) , وهي اداة شرطية تجزم فعلين , حرف عند سيبويه واسم عند المبرد وابن السراج وابي على النحوي(٢).

وهذا الاختلاف جاء فيما يبدو لكون (انما) اصلها (اذا) الشرطية و (ما) الظرفية الزمانية فمن لحظ الجزء الاول من هذا الاصل جعلها حرفا بمنزلة (ان) الشرطية ومن لحظ الجزء الثاني جعلها اسما بمعنى الظرف.

ويدل على ذلك ايضا ما ذكره ابن يعيش, فقد قال مالفظه ((فان قيل (اذ) ظرف زمان ماض والشرط لا يكون الا للمستقبل فكيف يصح

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣٢٠/٢.

(٢) الجنى الداني ص ٤٧٢, ومغني اللبيب ٨٧/١.

المجازاة بها))[1]. وهذا يعني ان هناك من يرى ان (اذ) في (اذما) اصلها (اذا) التي هي ظرف لما يستقبل من الزمان متضمنة معنى الشرط , وليس (اذ) التي هي ظرف لما مضى.

فلعل (انما) أصلها (اذا ما) التي نحن الان بصدد تفسير شواهدها في القرآن الكريم, الا ان العرب عمدوا في امثلة معينة الى تقوية شرطية (اذا) بقطع حركة اخرها ليوافقوا بذلك دلالة (ما) على العموم , فلما قووا الشرط باسكان (اذ) جزمت فصارت مثل (ان) في لفظها وجزمها , ولم يستعملها القرآن الكريم, لانه استعمل عوضا عنها (إن ما) التي ترسم بعد الإدغام (إمَّا), وهي بمعنى (انما) وأقوى منها أصالة,

والمعية الزمانية التي افادتها (ما) بعد (اذا) و (ان) الشرطيتين في الشواهد القرآنية السالفة الذكر يمكن ان تؤدى في الكلام باستعمال (ان) على نحو ما بيناه في قوله تعالى: **(وَلَمَّا أَن جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ)** [العنكبوت: ٣٣] وقوله تعالى: **(مِن بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ)** [الفتح: ٢٤]. الا انه لا عموم فيها فلا تكون مثل (ما) ملائمة لمعنى الشرط وقد صلحت من دونها في هاتين الآيتين لانهما تتحدثان عن حالتين خاصتين وقعتا , وما أريد إعمامهما ولا التعبير عنهما بمعنى العموم.

تبين في هذا البحث ان (ما) لكونها استعلمت لابهام احد ركنيها بحذف الاخر لا يصح الجمع بين ذكر موصوفها وصلتها ولا حذفهما معا للغرض نفسه فإذا حذفت صلتها لاعمام معناها لزم إظهار موصوفها وجاز حذفه وتقديره لوجود ما يدل عليه , وقد ورد ظاهرا في القرآن الكريم في ثلاثة مواضع, بصيغة الافراد في قوله تعالى (مثلا ما) وقوله تعالى (في أي صورة ما), وبصيغة الجمع في قوله تعالى(جند ما), وورد محذوفا

---

(١) شرح المفصل ٤٧/١.

مقدرا في موضع واحد هو قوله تعالى (فنعما هي), واذا حذفت الصلة لوجود ما يدل عليها لزم تقديرها وحذف موصوفها لاعمام معناه وشواهدها في القرآن الكريم (ما) التي لحقت أدوات الشرط: (كلما) و (أين) و (حيث) و(أي) و (إذا) و (إن).

ووردت (ما) ظرفية مكانية ملحقة بـ (أين) الشرطية مرة منفصلة عنها كقوله تعالى: **(أَيْنَ مَا تَكُونُواْ يَأْتِ بِكُمُ اللّهُ جَمِيعًا)** [البقرة: ١٤٨], ومرة متصلة بها كقوله تعالى: **(فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ اللّهِ)** [البقرة: ١١٥], ووردت موصولة بمنزلة (الذي) منفصلة ملحقة بـ(أين) الاستفهامية كقوله تعالى: **(قَالُواْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللّهِ)** [الأعراف: ٣٧] وقوله تعالى: **(ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ)** [غافر:٧٣].

المبحث الثالث

(ما) المفردة الصلة

ذهب النحاة والمفسرون الى القول بزيادة (ما) في قوله تعالى: (**فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللّهِ لِنتَ لَهُمْ**) [ال عمران: ١٥٩] والتقدير: فبرحمة من الله وقوله تعالى : (**فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِم بَآيَاتِ اللّهِ**) [النساء: ١٥٥] وقوله تعالى: (**فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعنَّاهُمْ**) [المائدة: ١٣] والتقدير فيهما: فبنقضهم ميثاقهم[١].

وذهب ابن قيم الجوزية الى انها تفيد الحصر, والتقدير : فما لنت لهم الا برحمةٍ من الله, وما لعناهم الا بنقضهم ميثاقهم[٢], ورد عليه الدكتور فاضل السامرائي, بان معنى الحصر الذي ذكره متأت من التقديم لا من زيادة (ما) [٣]وهو رد سليم وقيل : ان (ما) في قوله تعالى: (**فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللّهِ لِنتَ لَهُمْ**) للاستفهام التعجبي[٤], وهو وجه بعيد ((يرده ثبوت الألف وان خفض (رحمة(لا يتجه)) [٥].

---

(١) الكتاب ١/١٨٠-١٨١, ٣/٧٦, ٤/٢٢١, ومعاني القرآن للفراء ١/٢٤٤-٢٤٥, ومجاز القرآن ١/١٤٢, ومعاني القرآن للاخفش ١/١٣٥, ٢٢٠ ,٢٤١, والمقضب ١/٤٨ ,٣/٥٢, ومعاني القرآن وإعرابه ١/٤٨٢, ٢/١٢٧, ومعاني الحروف للرماني ص ١٥٤-١٥٥ والاصول في النحو لابن السراج ٢/٣٤٢, والمحلى لابن شقير ص ٢٩٠, وإعراب القرآن للنحاس ١/٣٧٤ ,٤٨٧, وكتاب الجمل للزجاجي ص ٣٢١, وسر صناعة الإعراب ١/٢٦١-٢٦٢ ٢٩٩, والازهية ص٧٥, وشرح اللمع لابن برهان العكبري ١/٧٦.

(٢) بدائع الفوائد ٢/١٥١.

(٣) معاني النحو ٣/٩٩-١٠٠.

(٤) التبيان في تفسير القرآن ٣/٣١, وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ١/٤٢٠. وفتح القدير ٩/٦٢.

(٥) مغنى اللبيب ١/٢٩٩.

وكذلك ذهبوا الى القول بزيادة (ما) في قوله تعالى: (**عَمَّا قَلِيلٍ لَيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ**) [المؤمنون: ٤٠] أي: عن قليل[١], وقوله تعالى: (**مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا**) [نوح: ٢٥] أي: من خطيئاتهم[٢].

والقول بزيادة (ما) في هذه الايات هو قول الأكثرين , وحكى الزجاج ان (((ما) بإجماع النحويين صلة)) [٣], وحكى الطوسي[٤], والطبرسي[٥], انها هنا ((زائدة بإجماع المفسرين .....وجميع أهل التأويل)) وهم يذكرون جميعا انها زائدة لمعنى التوكيد, الا انهم لا يفسرون كيف أفادت هذا المعنى[٦], لذلك أثرت قلة منهم جعلها نكرة بمنزلة (شيء) والتقدير : بشيء رحمة من الله لنت لهم وبشيء نقضهم ميثاقهم , وبزمن قليل , وبشيء من خطيئاتهم[٧], لان (ما) عندهم كما تقع نكرة موصوفة بالجملة , تقع نكرة

---

(١) معاني القرآن للفراء ٢١/١, ٢٤٤, ١٣٣/٢ ,٤٠٠, ومجاز القرآن ٥٨/٢, ١٦٠/٢ , وادب الكاتب لابن قتيبة ص ١٩٦, ومعاني القرآن وإعرابه ١٣/٤, والمحلى لابن شقير ص ٢٩٠, وسر صناعة الإعراب ٢٦٢/١ والازهية ص٧٦, والكشاف ٨٧/٤.

(٢) معاني القرآن للفراء ١٨٩/٣-١٩٠, ومجاز القرآن ٢٧١/٢ وجامع البيان ١٠٠/٢٩, وإعراب القرآن للنحاس ٥١٧/٣, وسر صناعة الإعراب ٢٦٢/١, ومشكل إعراب القرآن ٧٦٢/٢, والكشاف ٦٢٠/٤, والتبيان في إعراب القرآن ١٢٤٢/٢, والبسيط في شرح الكافية ١٢١٥.

(٣) معاني القرآن وإعرابه ٤٨٢/١.

(٤) التبيان في تفسير القرآن ٣١/٣.

(٥) مجمع البيان في تفسير القرآن ٢/ ٥٢٦.

(٦) مجالس ثعلب ص ٢٤٩, والتبيان في إعراب القرآن ٩٥٥/٢, ولسان العرب ٤٧٣/١٥-٤٧٤.

(٧) التبيان في إعراب القرآن, ٩٥٥/٢, ولسان العرب ٤٧٣/١٥-٤٧٤.

موصوفة بالمفرد نحو: رأيت ما معجبا لك[١] وجئت بما خير من ذلك[٢], ونسب الى ابن كيسان انه كان يتلطف في ان لا يجعل شيئا زائدا في القرآن , ويخرج له وجها يخرجه من الزيادة, كالقول بجعل (ما) نكرة بمنزلة (شيء) في هذه الآيات ونحوها[٣], وذكر احد الباحثين ان القول بهذا الوجه ابلغ من القول بالزيادة[٤].غير أن أبا البركات بن الانباري رد على القائلين بهذا الوجه ووصفه بأنه ((ليس بشيء)) وقال ((ان زيادة (ما) كثير في كلام العرب , والقرآن نزل بلغتهم فالاولى ان تكون حرفا زائدا على ما ذهب الأكثرون)) [٥] وذكر الشوكاني ان القول بالزيادة ((أولى بقواعد اللغة)) [٦] وقال بعض الدارسين ((انه لا معنى في تأويلها بـــ(شيء) وهي زائدة للتوكيد)) [٧] وذهب باحثون الى ان (ما) في هذه الايات افادت تفخيم ما دخلت عليه[٨].

وكذلك قالوا بزيادة (ما) في قوله تعالى: **(وَإِنَّ كُــلاًّ لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ)** [هود: ١١١], وقوله تعالى: **(وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ)** [يس: ٣٢], وقوله تعالى: **(وَإِن كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا)** [الزخرف: ٣٥] وقوله تعالى: **(إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ)** [الطارق:

---

(١) الازهية ص ٨٠ وشرح الرضي ٥١/٣.

(٢) معاني الحروف للرماني ص ١٥٤.

(٣) مشكل إعراب القرآن ١٧٨/١, ٥٤٣/٢.

(٤) من بلاغة القرآن لاحمد بدوي ص ١٠١– ١٠٢.

(٥) البيان في غريب إعراب القرآن ٢٢٩/١, ٢٧٣, واسرار العربية ص١٤.

(٦) فتح القدير ٣٩٣/١.

(٧) دراسة في حروف المعاني الزائدة ص ١٩٠.

(٨) ينظر من بلاغة القرآن للدكتور احمد بدوي ص ١٠١–١٠٢, وينظر الجرس والايقاع في تعبير القرآن للدكتور كاصد ياسر الزيدي, وهو بحث منشور في مجلة اداب الرافدين العدد(٩) لسنة ١٩٧٨ م ص٣٤٠.

٤]. فقد قرئت (لما) بالتشديد وقيل في اصلها وفي معناها وإعرابها اقوال شتى , أشهرها ما ذهب اليه سيبويه وجمهور البصريين وهو ان (لما) بمعنى (الا), وقرئت (لما) بالتخفيف فذهب سيبويه وجمهور النحاة الى ان لام (لما) للتوكيد و (ما) زائد و(ان) مخففة من الثقيلة[١].

والوجه ما ذهب اليه الفراء[٢] وتبعه الطبري[٣], وهو جعل (ما) في هذه الآيات موصولة عائدة على أجناس الناس , والمعنى في الآية الاولى: ((ان كل هؤلاء الذين قصصنا عليك يا محمد قصصهم في هذه السورة ليوفيهم ربك اعمالهم)), وكذلك تكون (ما) في قوله تعالى: **(وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ)**, وقوله تعالى: **(إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ)**, وتكون (ما) موصولة عائدة على زخارف الدنيا في قوله تعالى: **(وَإِن كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا)** و التقدير: وان كل ذلك للذي هو متاع الحياة الدنيا[٤].

---

(١) الكتاب ١٣٩/٢, ١٠٩/٣, ومجاز القرآن ١٦٠/٢, ٢٩٤, والمقتضب ٥٠/١ , ٣٦٣/٢, ومعاني القرآن وإعرابه ٨١/٣-٨٢ , ٢٨٦/٤ , ٣١١/٥ , وإعراب القرآن للنحاس ١١٤/١-١١٦ , وكتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد ص ٣٩٩- ٣٤٠, والحجة لابن خالوية ص ١٩١ , ٢٨٧, ٣٦٨ , وإعراب ثلاثين سورة ص ٤٢, والبغداديات ص ٣٨٨-٣٨٩, والمحتسب ٣٢٨/١, ٢٥٥/٢, وسر صناعة الإعراب ٣٧٧/١ والكشف عن وجوه القراءات لمكي القيسي ٥٣٧/١ – ٥٣٨, ومشكل إعراب القرآن ٣٧٤/١- ٣٧٦, ٤١٥, ٢٨٣/٢, والكشاف ٤٣٢/٢ , ١٤/٤, ٧٣٤.

(٢) معاني القرآن ٢٨/٢- ٢٩ , ٣٧٧, ٢٥٤/٣ – ٢٥٥.

(٣) جامع البيان ٤٩٨/١٥.

(٤) المحتسب ٢٥٥/٢ , والبيان في غريب إعراب القرآن ٣٥٤/٢.

وصلة (ما) جملة في الآية الأولى , والظاهر انها مفرد في الآيات الأخرى ولا يجيز النحاة ان تكون صلة الاسم الموصول مفردا[1], وإذا وردت مفردا مرفوعا أوّل على انه خبر لمبتدا محذوف : نحو اكلت ما طيب , والتقدير: أكلت الذي هو طيب, واذا وردت مفردا تابعا جعلوا (ما) زائدة او جعلوها نكرة بمنزلة (شيء) وتكون صلتها المفرد صفة لها ، نحو : أكلت ما طيبا ، والتقدير أكلت شيئا طيبا[2], والوجه ان تكون (ما) نكرة الا انها ليست نكرة موصوفة , اذ انها وصلتها كالاسم الواحد. لذا لا يصح ان توصف بصلتها ، ومن النحاة من صرح بمنع ذلك ونعيد هنا ما قلناه في مبحث النكرة الموصوفة بالجملة من ان (ما) لا يصح ان تكون بمنزلة (شيء) ، ذلك ان نكرة (شيء) تدل على الآحاد والإفراد، ونكرة (ما) تدل على الجميع والعموم ، وقد اكتسبت هذه الدلالة لكونها وصلة لوصف ما هو شيء مبهم عام بصلتها ، ولوجوب حذف هذا الموصوف ، نابت (ما) منابه وأخذت حكمه ومعناه الدال على العموم ، وتوضيح ذلك انه اذا قيل: مررتُ بخير منك ، احتمل هذا المثال معنى الإفراد والعموم ، الا انه باستعمال (ما) وقولنا : مررتُ بما خير منك ، يتعين المراد الثاني ، وليس المراد بالعموم هنا أن يكون التقدير: مررتُ بكل رجل هو خير منك وانما المعنى: ان الذين مررتُ بهم جميعهم خير منك وليس ثمة رجل واحد منهم من دون ذلك ، وكذلك اذا قيل: اكلتُ ما طيبا ، او اكلتُ ما طيب ، فليس المعنى أكلت كل شيء طيب فهذا العموم متعذر حصوله، بل المعنى ان الاشياء التي اكلتها هي جميعها من الطيبات ، وليس ثمة شيء منها غير طيب.

---

(١) أسرار العربية ص ٣٨١ - ٣٨٢.

(٢) الازهية ص ٨١.

فموصوف (ما) لا بد من تقديره في كل موضع ذلك ان هذا الموصوف هو المقصود وليس (ما) وصلتها فحين نقول مثلا : اقرأ ما ينفعك ، لا يكون المأمور بقراءته هو (ما ينفعك) بل الموصوف بجملة (ينفعك) التي كانت (ما) وصلة لوصفه بهذه الجملة ، وتتضح هذه الحقيقة بما استشهد به النحاة من كلام العرب، كقولهم : دع ما زيد ، فان (ما) هنا تعد عندهم موصولة بمنزلة (الذي) ، وتعرب مفعولا به في محل نصب و (زيد) خبر لمبتدأ محذوف ، والجملة صلة الموصول لا محل لها من الإعراب ، والتقدير: دع الذي هو زيد[1]، وهذا الإعراب يوهم ان (ما) عائدة على زيد ، فتكون عائدة على مفرد عاقل ، كما تبدو في المثال ، ويوهم أيضاً ان الذي قصد ان يدعه المخاطب هو (زيد) ، وليس الأمر كذلك، لانه لو كان هذا هو المعنى المراد لقيل: دع زيدا ، لكنه عند استعمال (ما) أبعدنا (زيد) من معنى المفعولية ، وجعلناه صفة لموصوف محذوف ، وهذا الموصوف هو المفعول به والمراد تحذير المخاطب من مصاحبته ، فان (ما) في هذا المثال ما أريد ان تعود على زيد بعينه وشخصه ، بل أريد منها ان تعود على اجناس الناس الذين هم على شاكلة زيد بصفاته واخلاقه ، أي ليس المقصود صلة (ما) بل الموصوف بهذه الصلة ، كأنَّ المعنى : دع المتشبهين بزيد ، واستعملت (ما) لا (من) لانه أريد معنى الجنس.

ومن اجل ان نزيد في توضيح هذه المسالة لأهميتها نقول: انه اذا قلنا مثلا: لا تصاحب أمرأ القيس ، جعلنا (امرأ القيس) مفعولا به ويكون هذا المثل غير معقول لانه من غير المعقول ان ننهى المخاطب عن مصاحبة

([1]) الكتاب ٢/٢٨٦، والاستغناء في احكام الاستثناء ص١١٢، والفوائد العجيبة ضمن كتاب نصوص محققة ص٧٧٥.

رجل مات قبل مئات السنين ، لكن هذا المثل يصح اذا قسنا على الشاهد الوارد في كلام العرب واستعملنا (ما) وقلنا : لا تصاحب ما امرؤ القيس ، لانه باستعمال هذه الأداة لم نجعل (امرؤ القيس) مفعولا به بل جعلناه صفة للمفعول به الذي تقديره : الناس الذين يعيشون في الوقت الحالي ، وهم الذين حذرنا المخاطب من مصاحبتهم.

فباستعمال (ما) لا يكون المعنى: لا تصاحب امرأ القيس، الشاعر الجاهلي الذي عاش ومات قبل الإسلام ، بل المعنى: لا تصاحب أجناس الرجال الذين هم الآن مثل امرئ القيس في ضلاله ومجونه.

وكذلك كان المراد من قوله تعالى: **(وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنْ الْخُلَطَاء لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ)** [الصف: ٢٤].

وتعد (ما) في هذه الآية زائدة عند جمهور النحاة والمفسرين[١]، وأجاز الفراء مع هذا الوجه ان تكون مصدرية ، بتقدير: وقليل ما تجدنهم[٢]، ولا يخفى بعد هذا المذهب ، وأجاز الطبري وجها ثالثا ، هو ان تكون موصولة بمنزلة (الذي)، وذكر انه روي عن ابن عباس رضي الله عنه، انه جعل الآية بمعنى: وقليل الذين هم كذلك[٣].

والقول بزيادة (ما) في هذه الآية اقتضى ان يكون الموصوف بالقلة هو الضمير (هم) العائد على الذين امنوا وعملوا الصالحات، لانها تكون

---

(١) معاني القرآن وإعرابه ٣٢٧/٤.

(٢) معاني القرآن للفراء ٤٠٠/٢.

(٣) جامع البيان ١٤٥/٢٣، ومجمع البيان ٤٧٠/٨.

بتقدير: وقليل هم ، و (هم) مبتدأ و (قليل) خبره ، بل هذا هو المعنى الذي يجمع عليه النحاة والمفسرون حتى عند جعل (ما) موصولة[1].

على حين ان هذا الضمير أريد منه باستعمال (ما) ان يكون صفة لموصوف محذوف ، وهذا الموصوف هو الموصوف بالقلة ، وقد تبين من الشاهدين السابقين ، ان العرب أجازوا باستعمال (ما) الوصف بالضمير والعلم ، فباستعمال هذه الأداة لا تكون الآية بالمعنى الذي ذكرته كتب الإعراب والمعاني والتفسير، فهي ليست بمعنى: قل الذين امنوا وعملوا الصالحات، بل هي بمعنى: قل المتصفون والمقتدون بهم أي: قل أمثالهم.

ولم يظهر هنا عدم صحة المعنى الذي اقتضاه القول بالزيادة، لكون صلة (ما) وردت ضميرا ، عائدا على جماعة الغائبين ، فصح وصف معناه بالقلة ، الا انه كما جاز الوصف بهذا الضمير ، جاز الوصف بالضمير العائد على المفرد الغائب او المخاطب، وان يقال مثلا في الكلام ؛ وقليل ما هو ، وقليل ما زيد ، لمن نريد مدحه، ومعناه وقليل امثاله ، وإذا قلنا : وكثير ما أنت ، وكثير ما عمرو ، فقد أردنا ذمه ، ومعناه : وكثير امثالك ، وكثير امثاله ، فعندئذ يظهر عدم صحة القول بالزيادة ... لانه يمتنع المعنى الذي يقتضيه ، اذ لا يصح وصف الذات المفردة بأنها قليل أو كثير، بل هو وصف الموصوفين بها ، وهم الناس.

فالقول بزيادة (ما) يمنع القياس عليها ، والقول بانها وصلة لوصف موصوف محذوف دال على العموم ، كما هي الحقيقة، يفتح باب هذا

---

(1) جامع البيان ١٤٥/٢٣، والكشاف ٨٧/٤-٨٨ والكشف عن نكت المعاني والإعراب ٤٨٥/٢. وزاد المسير ١٢٢/٧، ومفاتيح الغيب ١٩٧/٢٦ والجامع لاحكام القرآن ١٧٩/١٥ ومدارك التنزيل ٣٩/٤. وانوار التنزيل واسرار التاويل (تفسير البيضاوي) ص٦٠١.

القياس فتحيا بذلك هذه الآية باستعمال نظائرها في الكلام ، وهو أسلوب جميل في إنشاء المدح أو الذم.

وكذلك الأمر في قوله تعالى: (فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ)، فانه لا يصح ان تكون (ما) زائدة لانه ما قصد ان يكون المعنى: ان رسول الله، صلى الله عليه وسلم ، لان لقومه بالرحمة المذكورة في نص الآية بل بما هو موصوف بها ، وهذا الموصوف دال على معنى العموم، والمراد به أعماله وأخلاقه وسيرته ، فباستعمال هذه الأداة تحققت دلالتان هما: عموم معنى الرحمة ، والممارسة العملية لمعناها، فهو صلى الله عليه وسلم، لان لقومه بهذه الرحمة بدلالتيها هاتين.

فبهذا المعنى لا تكون (ما) زائدة بتقدير: فبرحمة من الله لنت لهم ، ولا نكرة موصوفة بمنزلة (شيء) بتقدير: فبشيء رحمة من الله لنت لهم ، بل هي بدلالة موصوفها نكرة عامة بتقدير: فبكل شيء يصح ان يوصف بانه رحمة لنت لهم.

فقد أريد باستعمال (ما) استغراق أنواع الرحمة ومعانيها ، لتكون الآية بمعنى: انه صلى الله عليه وسلم لان لقومه برحمة عظيمة واسعة مارس سلوكا وسيرة كل نوع من أنواعها وكل معنى من معانيها.

وقرئت (رحمة) بالرفع وهي قراءة شاذة على جعل (ما) بمنزلة (الذي) و (رحمة) خبرا لمبتدأ محذوف، بتقدير: فبما هو رحمة من الله لنت لهم.

ومعنى (ما) في القراءتين واحد، والجر أكثر ملاءمة من حيث اللغة لان الصفة تتبع الموصوف في الإعراب، وأكثر ملاءمة من حيث المراد ، لان الباء أفادت معنى السببية ، وهو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لان لقومه بذاته ، وانما كان ذلك بعموم الرحمة الممنوحة له من الله

سبحانه ، فرفع (رحمة) يقلل من قوة هذا المعنى ، والجر يزيدها توكيدا ، وجعل (رحمة) نكرة يزيد من اعمام معنى (ما) وهو المقصود في الآية.

وكذلك قوله تعالى: (فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعنَّاهُمْ) فقد أريد اعمام هذا النقض وليس إفراده.

وقد تبين في الفصل الأول ان العائد على (ما) الموصولة لم يرد جمعا الا في موضعين ، ولا يكون ذلك الا لوجه بلاغي، وكذلك الحال في (ما) هنا المفردة الصلة ، فانها تعبر عن معنى الجمع والعموم بصلة تكون بصيغة الافراد، الا انها قد وردت في موضع واحد بصيغة الجمع ، وهو قوله تعالى: (مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا) [نوح: ٢٥] واستعمال صيغة الجمع في هذه الآية كان لتأكيد أنهم أغرقوا لكثرة خطاياهم، وهذا ما يتناسب والعقاب الذي حل بهم ، وهو الطوفان الذي غطى الارض جميعها فغمرها بالمياه ، فالعقاب كان عاما وشاملا، ولم ترد صلة (ما) بصيغة الجمع في قوله تعالى: (فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللّهِ)، لأنه أريد من إفرادها ان الرحمة التي اتصف بها وان تنوعت ، فهي في الاصل رحمة واحدة يحكمها ويحركها قلب واحد.

تبين في هذا الفصل ان (ما) التي عدها النحاة والمفسرون زائدة انما هي في الحقيقة أداة استعملت للوصف، الا ان كتب النحو التعليمية القديمة والحديثة لم تعامل (ما) حتى التي سميت موصولة على انها وصلة للوصف بالجملة بل عاملتها على انها اسم لا يختلف عن الأسماء الأخرى ، ففي قولنا مثلا: أعجبني ما صنعته، تعرب (ما) عند النحاة فاعلا ، و (صنعته) صلة لا محل لها من الإعراب، وهذا الإعراب لا يظهر أنَّ في هذه الجملة صفة وموصوفا ، والحق ان الفاعل ليس (ما) بل الموصوف المحذوف ، وان (صنعته) ليست جملة لا محل لها من الإعراب بل هي الصفة لهذا الموصوف ، و (ما) ليست الا مجرد أداة استعملت للربط بينهما ، أي :

إذا كانت (الذي) الموصولة استعملت وصلة لوصف المعرفة بالجملة ، كما صرح بذلك النحاة ، فإنَّ (ما) الموصولة استعملت وصلة لوصف ما هو مبهم عام بالجملة ، بل قد تبين أنَّ هذا الغرض في (ما) عام يشمل الوصف بالجملة وبالمفرد ويشمل معانيها المختلفة ما عدا التعجبية والنافية ، بل وجدت هذا الغرض فيها أصيلا حتى انها استعملت للوصف بالمفرد الجامد كالوصف بالمصدر والضمير والعلم.

الخاتمة

نختم هذا البحث بذكر ما توصلنا اليه من نتائج، نجملها فيما يأتي:

١-تبين ان معنى (ما) الموصولة هو أكثر معاني (ما) استعمالا وورودا في القران الكريم ، ومعنى (ما) الزائدة أشدها اشكالا ، لذلك تميز الفصلان اللذان تضمنا هذين المعنيين بطولهما بالقياس الى الفصول الأخرى.

٢-تبين ان النحاة لما جعلوا (ما) موصولة معرفة لزم عندهم ان يكون موصوفها معرفة ، فجعلوا نحو: أعجبني ما صنعته بتقدير: أعجبني الشيء الذي صنعته، فتكون (ما) عندئذ وصلة لوصف المعارف بالجمل، وهذا خلاف ما صرحوا به بان هذا الغرض هو ما اختصت به (الذي) وفروعها من دون (ما).

٣-لا يصح ان تكون (ما) بمنزلة (من)، لان (من) مختصة بالعاقل و (ما) غير مختصة بجنس معين ، ولا يصح ان تكون بمنزلة (شيء)، لانها تدل على الجميع ولاتدل على الإفراد ، ولايصح ان تكون بمنزلة (الذي) العهدية او الجنسية لانها لا تدل على فرد بعينه ولا على جنس بعينه ، وما صح ان تكون معرفة عامة الا في موضع واحد ، هو الموضع الذي سميت فيه (كافة) وصح ذلك ، لانها بمعنى الصلة، فهي دالة على صلتها وصلتها دالة عليها ، فكانت كشأن الخبر الذي هو نفس المبتدأ في المعنى وهذه المعرفة العامة ، وان قدرت بلفظ المعرف بــ(ال) الجنسية، الا انها لا تعني جنسا معينا فتكون دالة على الإفراد، بل تعني الأجناس جميعها مما جعلها معادلة لمعنى النكرة العامة ، فهي في معانيها جميعها اسم مبهم في غاية الإبهام كما قالوا، بل لم أجد في اللغة اداة أعم من معناها.

٤-تشمل (الذي) الجنسية افراد الجنس في الأعم الأغلب اما (ما) فتشمل افراد الجنس على وجه الاستقصاء ، وهذا المعنى ابلغ من الأول وأدل على قدرة الله على الإحاطة بخلقه ، لذلك وردت الآيات المعبرة عن هذا المعنى باستعمال (ما) لا باستعمال (الذي).

٥-يكثر احتمال (ما) الموصولة لمعاني (ما) الأخرى واكثر المعاني التي تحتملها معنى المصدرية ، ويترجح معنى الموصولية من السياق ويتحدد بعود الضمير عليها.

٦-تستعمل (ما) لغير العاقل ، ولا تستعمل لاعيان العاقلين وأشخاصهم، بل للمعاني العائدة عليهم مما يعامل معاملة غير العاقل كمعنى الجنس او الشيء.

٧-(ما) التي سميت نكرة موصوفة هي (ما) الموصولة نفسها ، لا فرق بينهما في المعنى اذ كلتاهما نكرة عامة.

٨-ورد حذف (ما) النكرة في القران الكريم في حالتين: احداهما: حالة كون صلتها ظرفا والثانية حالة عطفها على (ما) نكرة قبلها بشرط ان تكون صلتهما شبه جملة (جاراً ومجروا)، ولم ترد صلة (ما) المعطوفة الا مع لفظين : هما: (الارض) في عدة مواضع، و (البحر) في موضع واحد واذا ذكرتْ لا يصح ان يعد ذكرها تكرارا لانها غير (ما) المعطوفة عليها ، لذلك يجب عند حذفها إضمارها وتقديرها

٩-(ما) اسم مبهم عام تستعمل دائما للتعبير عن المعاني العامة الا انه يلزم ان يكون الضمير في صلتها العائد عليها مفردا ولم يرد في اللغة مثنى الا شذوذا وفي شاهد واحد ، ولم يرد جمعا في القران الكريم الا في موضع واحد لسبب اقتضاه المقام.

١٠-ذهب النحاة الى ان (ما) التعجبية في صيغة (ما افعله) اسم ، لأن في (افعل) فاعلا مستترا يعود على (ما) ، الا انه تبين ان منصوب

هذه الصيغة الظاهر هو الفاعل ، وليس ثمة فاعل مستتر، فلا تكون (ما) التعجبية هذه عندئذ اسما لعدم ما يدل على اسميتها ، بل هي حرف او اداة استعملت لمعنى التعجب.

١١-جعل النحاة كلا من (ما) الاستفهامية والشرطية نكرة متضمنة معنى الحرف، فالأولى متضمنة معنى همزة الاستفهام ، والثانية متضمنة معنى (ان) الشرطية أي: ان كلا من هذين المعنيين ليس أصيلاً في (ما) بل هو حادث بالاستعمال عن طريق التضمين ، والظاهر ان كلا منهما هي في الأصل (ما) التي سميت موصولة التي حدد النحاة غرض استعمالها بانها وصلة لوصف ما هو مبهم عام بصلتها ، ولهذا ذكروا ان (ما) صلحت لمعنى الاستفهام والشرط لإبهامها. وتعرب كل من الاستفهامية والشرطية حسب ما بعدها ، وتعرب الموصولة حسب ما قبلها.

١٢-يكثر احتمال (ما) الشرطية لمعنى الموصولية ، ويتعين الوجه الأول بجزم الفعل، او بربط الجواب بالفاء ، و (ما) الشرطية ، وان بقيت على اصل لفظها الا انه قوي معناها بالشرط فكان الجزم لقوة المعنى ، شانها في ذلك شان (لا) النافية فانها لا تجزم الفعل المضارع بعدها الا انه اذا قوى معناها بالنهي جزمت.

١٣-أكثر المعاني التي تحتملها (ما) الاستفهامية المفردة معنى النفي ومرده في الأغلب خروجها اليه مجازا ،والأصل والأكثر في ألفها ان تحذف عند جرها بحرف الجر او بالإضافة اما (ماذا) الاستفهامية المركبة ، فقد تبين انها لم تستعمل الا لمعنى الاستفهام الحقيقي او المجازي.

١٤-تدخل (ما) النافية على الجملة الاسمية، وتكون مهملة بلغة بني تميم، وعاملة بلغة أهل الحجاز ، وهي اللغة التي نزل بها القران الكريم، الا ان خبرها ورد مجرورا في الأعم الاغلب، ولم يرد منصوبا الا في ثلاثة مواضع

١٥-تبين ان النحاة فرقوا بين (ما) الموصولة و (ما) المصدرية بان الأولى ما عاد عليها الضمير ظاهرا او مقدرا، والثانية مالم يعد عليها ضمير لا ظاهر ولا مقدر، ومعنى (ما) الموصولة هو أكثر معاني (ما) ورودا في القران الكريم، وشاع حذف الضمير العائد عليها ، حتى ان ذكره كان في مواضع معدودة ، وجاز في أكثر هذه المواضع تقدير هذا الضمير وجاز عدم تقديره ، لذلك كثر احتمال (ما) لهذين الوجهين ، ويترجح احدهما بالمعنى المفهوم من السياق، او قد يلزم القول به عند امتناع الوجه الاخر لعدم صحة معناه.

١٦-في جملة الصلة عناصر ظاهرة ، هي: الفاعل والمفعول به والمجرور بالإضافة او بحرف الجر، وعناصر غير ظاهرة ، وهي: مصدر الجملة وزمان حدوثها ومكانه ، ولكون (ما) الموصولة تمثل عنصرا ظاهرا من عناصر صلتها وجب ان يعود عليها ضمير هذا العنصر ظاهرا او مستترا او مقدرا محذوفا ، وهذا هو السر في تجرد (ما) المصدرية الظرفية وغير الظرفية من الضمير العائد عليها ، كونها تمثل عنصرا غير ظاهر، اما (ما) التي سميت كافة فقد تجردت من الضمير العائد لانها بمعنى صلتها بعناصرها كافة فشانها شان المبتدأ الذي لا يحتاج الى رابط اذا كان خبره بمعناه.

١٧-ذكر النحاة ان (ما) المصدرية مثل (أن) المصدرية استعملت في الكلام لتسبك بما بعدها بمصدر ، والظاهر ان العرب لم يستعملوا هاتين الأداتين لهذا الغرض ، فهم لم تكن لهم حاجة في اداة للتعبير عن هذا المعنى ، لأنهم اذا أرادوه استعملوا المصدر الصريح ، فاما (ما) التي سميت مصدرية فقد أريد باستعمالها وصف ما دل على معنى المصدر بصلتها ولوجوب حذفه نابت (ما) منابه فاكتسبت دلالته واما (ان) التي سميت مصدرية ، فالغرض الأساسي من استعمالها ان تكون مهيئة لتسليط

المعنى على الجملة الفعلية الذي لا يمكن تسليطه عليها من دونها ، فحقها ان تسمى مهيئة لا ان تسمى مصدرية.

١٨-سمى النحاة (ما) زائد ة، لانه لا يتغير بذكرها او حذفها اصل المعنى وقصدوا بمصطلح الزيادة أينما استعملوه الزيادة المعنوية والمرادفة لمعنى التوكيد ، وجعلوا (ما) الزائدة بصفة عامة قسمين: كافة وغير كافة ، فالكافة ما أثرت في عمل غيرها ، فهي زائدة من حيث المعنى لا من حيث الاعراب ، اما التي لم تمنع إيصال عمل ما قبلها بما بعدها فقد سموها غير كافة فتكون زائدة من حيث الإعراب والمعنى.

١٩-تبين ان (ما) التي سميت عند النحاة زائدة ليست زائدة ، وانما هي في الاصل (ما) التي حدد النحاة غرضها بانها تستعمل في الكلام وصلة لوصف موصوف مبهم عام بصلتها ، فهي اذن لا تفترق في الأساس عن (ما) التي سميت موصولة او نكرة موصوفة او مصدرية وانما تفترق عن معاني (ما) هذه في نوع صلتها في حالتين: في حذفها وفي ورودها مفردة لا جملة وتفترق عنها أيضاً بدلالة موصوفها ، فقد يرد بمعنى الصلة بعناصرها جميعها لا بمعنى عنصر من عناصرها.

٢٠-تبين من كلام النحاة ان (الذي) أداة اختصت بتعريف الجملة ، ولهذا لزم ان تكون صلتها جملة وامتنع ان تكون مفردا ، ومن المعروف ان (ال) أداة اختصت بتعريف المفرد ، ولهذا لزم ان تكون صلتها مفردا وامتنع ان تكون جملة، اما (ما) فقد تبين من كلامهم انها لم تستعمل للتعريف ، لا لتعريف الجملة ولا لتعريف المفرد ، فهي لم تختص باحدهما ، لذلك جاز ان تكون صلتها جملة او مفردا وجاز في مواضع حذفها.

٢١-تنوب (ما) في الإعراب مناب موصوفها فتأخذ حكمه وهذا الموصوف تختلف دلالته حسب السياق والمعنى المراد فلتعدد دلالة موصوفها وتنوع صلتها تعددت واختلفت معانيها ، فنشأ من ذلك اغلب

اقسام (ما) الاسمية والحرفية التي ذكرت في كتب النحو ، وهي: الموصولة والنكرة الموصوفة والمصدرية والظرفية والشرطية والاستفهامية والزائدة ، فمعاني (ما) هذه تشترك جميعها بمعنى الموصولية ، أي : ان كلا منها وصلة للوصف. وخرجت من هذا الغرض العام: النافية والتعجبية ، وقد جعل النحاة كلا من (ما) الموصولة و (ما) المصدرية بمنزلة المفرد، لكون الأولى تؤول مع صلتها باسم الفاعل او المفعول والثانية بالمصدر الصريح والذي تبين ان كلتيهما صح جعلها بهذه المنزلة لكونها نابت مناب موصوفها الذي لا يكون الا مفردا.

٢٢-تبين من البحث ان (ما) لا تصح ان تكون بمنزلة (من) لان (من) مختصة بالعاقل و (ما) غير مختصة بجنس معين ، ولا تصح ان تكون نكرة موصوفة بمنزلة (شيء) لان نكرة شيء تدل على الإفراد ونكرة (ما) تدل على الجميع والعموم ، ولا تصح ان تكون بمنزلة الذي العهدية او الجنسية لانها لا تدل على فرد بعينه ولا على جنس بعينه ، بل لم اجد في اللغة اداة اعم من معناها ، واذا بدت (ما) في آيات من القران الكريم عائدة على معرفة او شيء يدل على الإفراد فانا لم نحل هذا الاشكال بجعلها كذلك كما تبدو فتشذ (ما) عن حقيقتها ودلالتها الاصلية بل عالجنا هذه المسألة بجعل هذين المعنيين قد قصد ان يعبر عنهما بدلالة الإبهام والعموم لوجه من الوجوه البلاغية ولغة القران نحو وبلاغة.

٢٣-قد تبين ان الموصولة والنكرة الموصوفة كلتيهما بمعنى واحد لا فرق بينهما، وان التي سميت زائدة هي في الأصل الموصولة مما يستوجب دمج هذه الاقسام الثلاثة بتسمية الأخيرة فتجعل قسما واحدا، نكرة عامة، ويمكن توحيدها باسم (ما) الموصولة ، ويبدو ان هذه التسمية متأتية من غرضها العام الذي بيناه، وهو وصل الموصوف بصلته ، وقد عرف الاسم الموصول بانه أسم مفعول من وصل الشيء بغيره، اما (ما) في أقسامها

الأخرى باستثناء النافية والتعجبية فقد استعملت لهذا الغرض العام نفسه ، أي: هي موصولة أيضاً ، الا انها سميت بدلالة الموصوف بصلتها ، لكونه يدل على معنى خاص، فاذا دل على معنى المصدرية سميت مصدرية ، واذا دل على معنى الزمان سميت ظرفية زمانية وقد تبين ان هناك الظرفية المكانية والحالية ، واذا تضمن موصوفها معنى الاستفهام ، سميت استفهامية ، وإذا تضمن معنى الشرط سميت شرطية ، فيمكن بعد هذا كله تقسيم معاني (ما) قسمين: موصولية وتشمل: الموصولة والمصدرية والظرفية والاستفهامية والشرطية ، وغير موصولية ، وتشمل: النافية والتعجبية، وفي ضوء هذه الدراسة النحوية او على أساسها درسنا (ما) وفسرنا معانيها المختلفة في القران الكريم، ومما تقدم تفصيله تكون النتيجة العامة التي توصلنا إليها هي: ان (ما) استعملت في القران الكريم لثلاثة معان رئيسة، هي: الوصف، والنفي، والتعجب.

المصادر والمراجع

الرسائل الجامعية (غير المنشورة

-ركن الدين الاستراباذي وكتابه البسيط في شرح الكافية (ت٧١٥ او ٧٢٤هـ) تحقيق حازم مرزة الحلبي بإشراف الأستاذ إبراهيم الوائلي رسالة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة بغداد ١٤٠٤هـ-١٩٨٣م.

-قواعد المطارحة لابن اياز النحوي (ت٦٨١هـ) تحقيق علي الفضلي بإشراف الأستاذ الدكتور عبد الحميد السيد طلب رسالة ماجستير، دار العلوم، جامعة القاهرة، ١٣٩٢هـ=١٩٧٢م-١٩٧٣م.

-الكشف في نكت المعاني والإعراب وعلل القراءات المروية عن الأئمة السبعة، لابي الحسن علي بن الحسين ، الضرير الجامعي النحوي الاصبهاني (ت٥٤٣هـ)، تحقيق عبد القادر عبد الرحمن اسعد السعدي بإشراف الأستاذ الدكتور عدنان محمد سلمان رسالة دكتوراه، كلية الاداب، جامعة بغداد، ١٤٠٧هـ=١٩٨٦م.

-اللباب في علل البناء و الإعراب لابي البقاء العكبري (ت٦١٦هـ)، تحقيق خليل نبهان الحسون بإشراف الأستاذ الدكتور سيد يعقوب بكر والأستاذ الدكتور محمود حجازي، رسالة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة القاهرة ١٣٩٦هـ=١٩٧٦م.

-المختصر في النحو لموهوب بن احمد بن محمد الجواليقي (ت٥٤٠هـ)، تحقيق محرم جلبي، بإشراف الدكتور احمد ناجي القيسي، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة بغداد، ١٩٧٠م.

-معاني الأدوات والحروف والإعراب المنسوب الى الحسن بن الحسين البخاري المتوفى في القرن الخامس للهجرة تحقيق عبدالله

عبدالرحمن اسعد السعدي إشراف الدكتور طه محسن رسالة ماجستير كلية الآداب، جامعة بغداد، ١٤١٠هـ = ١٩٨٩م.

-المفضل في شرح المفصل لعلم الدين السخاوي (ت٦٤٣هـ)، تحقيق عبد الكريم جواد كاظم بإشراف الأستاذ الدكتور عبد العظيم علي الشناوي رسالة دكتوراه، كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر ١٣٩٩هـ=١٩٧٩م.

-الموشح في شرح الكافية لشمس الدين محمد بن ابي بكر محمد الخبيصي (ت٧٣١هـ) تحقيق محمد أمين عواد الكبيسي، رسالة ماجستير بإشراف الدكتور عبد الحسين الفتلي، كلية الآداب، جامعة بغداد ١٤١٠هـ=١٩٨٩م.

الكتب المطبوعة:

- الإتقان في علوم القران: السيوطي (ت٩١١هـ) جلال الدين، عبد الرحمن بن أبي بكر، تحقيق ابي الفضل إبراهيم، مصر، ١٩٧٤.

- أحكام القران: ابن العربي (٥٤٣هـ)، أبو بكر محمد بن عبد الله تحقيق محمد علي البجاوي، مصر ١٩٧٤م.

- أدب الكاتب: ابن قتيبة (ت٢٧٦هـ)، أبو محمد عبد الله بن مسلم، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، الطبعة الثالثة مطبعة السعادة، القاهرة، ١٣٧٧هـ= ١٩٥٨م.

- ارتشاف الضرب من لسان العرب: أبو حيان الاندلسي (ت٧٤٥هـ)، أثير الدين محمد بن يوسف، تحقيق الدكتور مصطفى احمد النماس، الطبعة الأولى، مطبعة النسر الذهبي ومطبعة المدني، القاهرة ١٤٠٤هـ =١٩٨٤م.

- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القران الكريم: أبو السعود العمادي (ت٩٥١هـ) محمد بن محمد، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان

(د– ت).

– الازهية في علم الحروف: الهروي (ت٤١٥هـ)، علي بن محمد، تحقيق عبد المعين الملوحي، مطبعة الترقي، دمشق، ١٣٩١هـ =١٩٧١م.

– أساليب النفي في القران، للدكتور احمد ماهر البقري الإسكندرية، ١٩٨٩م.

– الاستغناء في أحكام الاستثناء: (القوافي ت٦٨٢هـ)، شهاب الدين، تحقيق الدكتور طه محسن، مطبعة الإرشاد، بغداد، ١٤٠٢هـ=١٩٨٢م.

– أسرار التكرار في القران: الكرماني (توفي في الأرجح في النصف الثاني من القرن السادس للهجرة) محمود بن حمزة بن نصر، تحقيق الدكتور عبد القادر احمد عطا، الطبعة الأولى، دار بو سلامة للطباعة، تونس (د– ت).

– أسرار العربية: أبو البركات بن الانباري (ت٥٧٧هـ) عبد الرحمن بن محمد بن أبي سعيد، تحقيق محمد بهجت البيطار، مطبعة الترقي، دمشق، ١٣٧٧هـ= ١٩٥٧م.

– أسرار النحو: ابن كمال باشا (ت٩٤٠هـ) شمس الدين احمد بن سليمان، تحقيق الدكتور احمد حسن حامد، دار الفكر، عمان (د–ت).

– الأشباه والنظائر في النحو: للسيوطي، تحقيق طه عبد الرؤوف سعيد شركة الطباعة الفنية، القاهرة، ١٣٩٥هـ= ١٩٧٥م.

– الأصول في النحو: ابن السراج (ت٣١٦هـ)، ابو بكر محمد بن السري تحقيق الدكتور عبد الحسين الفتلي، ج١، مطبعة النعمان، النجف الاشرف ١٣٩٣هـ=١٩٧٣م، ج٢ مطبعة الاعظمي، بغداد، ١٣٩٣هـ=١٩٧٣م.

- إعراب ثلاثين سورة من القران: ابن خالويه (ت٣٧٠هـ)، أبو عبد الله الحسين بن احمد، مطبعة دار الكتب المصرية – القاهرة، ١٣٦٠هـ= ١٩٤١م.
- الإعراب عن قواعد الإعراب: ابن هشام (ت٧٦١هـ) جمال الدين بن يوسف بن احمد بن عبد الله الأنصاري، تحقيق الدكتور علي فودة نيل، الرياض، ١٩٨١م.
- إعراب القران: النحاس (ت٣٣٨هـ)، أبو جعفر احمد بن محمد بن إسماعيل، تحقيق زهر غازي زاهد، مطبعة العاني، بغداد، ١٣٩٧هـ=١٩٧٧م.
- إعراب القران المنسوب الى الزجاج: تحيق ابراهيم الابياري، المؤسسة المصرية العامة للطباعة والنشر – القاهرة، ١٣٨٤هـ=١٩٦٥م.
- الاقتضاب في شرح أدب الكتاب: ابن السيد البطليوسي (ت ٥٢١هـ)، ابو محمد عبد الله بن محمد، تحقيق مصطفى السقا والدكتور حامد عبد الحميد، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٧٣م.
- امالي السهيلي: السهيلي (ت ٥٨١هـ)، عبد الرحمن بن عبد الله الاندلسي، تحقيق محمد إبراهيم البنا، الطبعة الأولى، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٣٩٠هـ= ١٩٧٠م.
- الامالي الشجرية: ابن الشجري (ت ٥٤٢هـ) أبو السعادات هبة الله، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت (د –ت).
- الامالي النحوية: ابن الحاجب (ت ٦٤٦هـ)، أبو عمرو عثمان بن عمر، تحقيق الدكتور عدنان صالح مصطفى، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ = ١٩٨٦م.
- الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين،

لأبي البركات بن الانباري، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، مصر، ١٩٦١م.
- أنوار التنزيل وأسرار التأويل: البيضاوي (ت ٦٨٥هـ) ناصر الدين أبو سعيد عبد الله عمر، المطبعة العثمانية، ١٣٠٥هـ.
- أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك لابن هشام تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، بيروت، ١٩٨٠م.
- الإيضاح في شرح المفصل: لابن الحاجب، تحقيق الدكتور موسى بناي العليلي، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٨٢- ١٩٨٣م.
- الإيضاح في علل النحو: الزجاجي (ت ٣٤٠هـ)، أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق، تحقيق الدكتور مازن المبارك الطبعة الثانية، بيروت، ١٣٩٣هـ- ١٩٧٣م.
- الإيضاح في علوم البلاغة: القزويني (ت ٧٣٩هـ) جلال الدين بن قاضي القضاة سعد الدين محمد بن عبد الرحمن، مطبعة محمد علي صبيح وأولاده، مصر، ١٣٨٥هـ= ١٩٦٦م.
- البحر المحيط: لأبي حيان للاندلسي، مطبعة السعادة، مصر، ١٣٢٨هـ.
- بدائع الفوائد لابن قيم الجوزية (ت٧٥١هـ) ابو عبد الله محمد بن ابي بكر الدمشقي، إدارة الطباعة المنزلية، مصر.
- البرهان في علوم القرآن: الزركشي (ت٧٩٤هـ)، بدر الدين بن محمد بن عبد الله، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم، الطبعة الثالثة، دار المعرفة، بيروت (د- ت).
- البرهان في وجوه البيان: ابن وهب للكاتب (ت ق٤هـ) ابو الحسين إسحاق بن إبراهيم بن سليمان، تحقيق الدكتور احمد مطلوب، والدكتورة خديجة الحديثي، الطبعة الأولى، بغداد، ١٣٨٧هـ= ١٩٦٧م.

– البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن: ابن الزملكاني (ت ٦٥١هـ)، كمال الدين عبد الواحد بن عبد الكريم، تحقيق الدكتورة خديجة الحديثي والدكتور احمد مطلوب، الطبعة الاولى، مطبعة العاني، بغداد، ١٣٩٤هـ= ١٩٧٤م.
– بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: الفيروز ابادي (ت٨١٧هـ)، مجد الدين محمد بن يعقوب، تحقيق الاستاذ محمد علي النجار وعبد الحليم الطحاوي، القاهرة: ١٩٦٤م- ١٩٧٣م.
– البهجة المرضية شرح الالفية: للسيوطي، دار المطبعة المحمودية التجارية، مصر (د – ت).
– البيان في غريب إعراب القرآن: لابي البركات بن الانباري: تحقيق الدكتور طه عبد الحميد طه، مراجعة مصطفى السقا، الهيئة المصرية للكتاب العربي، القاهرة، ١٣٨٩هـ=١٩٦٩م.
– تأويل مشكل القران: ابن قتيبة (ت٢٧٦هـ) ابو محمد عبد الله بن مسلم، تحقيق السيد احمد صقر، الطبعة الثانية، دار التراث، القاهرة، ١٣٩٣هـ=١٩٧٣م.
– التبيان في إعراب القران: العكبري (ت٦١٦هـ) ابو البقاء عبد الله بن الحسين، تحقيق محمد علي البجاوي دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي، مصر ١٩٧٦.
– التبيان في تفسير القران: الطوسي (ت٤٦٠هـ) ابو جعفر محمد بن الحسن، تحقيق احمد حبيب العاملي المطبعة العلمية، النجف الاشرف، ١٩٥٧-١٩٦٩م.
– التدريب في تمثيل التقريب: لأبي حيان الاندلسي، تحقيق نهاد فليح ، مطبعة الإرشاد، بغداد، ١٩٨٧م.
– تذكرة النحاة: لأبي حيان الاندلسي، تحقيق الدكتور عفيف عبد

الرحمن، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٦هـ=١٩٨٦م.
- الترغيب والترهيب من الحديث الشريف: الامام الحافظ المنذري (ت٦٥٦هـ) زكي الدين عبد العظيم بن عبد القوي، تحقيق محمد خليل، هراس دار الاتحاد العربي للطباعة، القاهرة ١٣٨٩هـ=١٩٦٩م.
- تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد: ابن مالك (ت٦٧١هـ) جنال الدين أبو عبد الله محمد، تحقيق محمد كامل بركات دار الكتب العربي للطباعة، مصر ١٣٨٧هـ=١٩٦٧م.
- التعبير القرآني، للدكتور فاضل مهدي صالح السامرائي، جامعة الموصل ١٣٨٦هـ=١٩٨٧م.
- تفسير الجلالين: جلال الدين محمد بن احمد المحلي وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، مكتبة الملاح للطباعة والنشر، دمشق ١٣٨٩هـ= ١٩٦٩م.
- تفسير القران العظيم: ابن كثير (ت٧٧٤هـ) عماد الدين أبو الفداء إسماعيل الدمشقي، دار المعرفة، بيروت ١٤٠٠هـ=١٩٨٠م.
- التفسير القيم: ابن قيم الجوزية، جمعه محمد اويس الندوي، وحققه محمد حامد الفقي، دار الفكر، بيروت ١٩٤٨.
- التلخيص في علوم البلاغة: القزويني (ت٧٣٩هـ) جلال الدين بن قاضي القضاة سعد الدين ابو محمد عبد الرحمن تحقيق الأستاذ عبد الرحمن البرقوني، دار الكتاب العربي، بيروت.
- تهذيب اللغة: الازهري (ت٣٧٠هـ) محمد بن احمد، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار القومية العربية للطباعة، مصر ومطابع سجل العرب، القاهرة، ١٩٦٤-١٩٦٧م.
- تيجان البيان في مشكلات القران: لمحمد أمين العمري، تحقيق حسن مظفر الرزو، الطبعة الأولى مطابع جامعة الموصل، الموصل

١٩٨٥م.
- جامع البيان عن تاويل أي القران: الطبري (ت٣١٠هـ) أبو جعفر محمد بن جرير، تحقيق محمود محمد شاكر الاجزاء(١-١٤) الطبعة الثانية مطبعة مصطفى البابي بقية الأجزاء مصر ١٣٧٣هـ =١٩٥٤م.
- الجامع الصغير لابن هشام، مطبعة دار التاليف، القاهرة، ١٤٠٠هـ=١٩٨٠م.
- الجامع لأحكام القرآن: القرطبي (ت٦٧١هـ) محمد بن احمد الأنصاري، الطبعة الثالثة، دار الكتاب العربي، القاهرة، ١٣٨٣هـ=١٩٦٧م.
- الجنى الداني في حروف المعاني: المرادي (ت٧٤٩هـ) حسن بن قاسم، تحقيق طه محسن، مؤسسة دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل، ١٣٩٦هـ=١٩٧٦م.
- جوهر الكنز (تلخيص كنز البراعة في إدراك ذوي البراعة) ابن الأثير الحلبي (ت٧٣٧هـ) نجم الدين احمد بن إسماعيل، تحقيق الدكتور محمد زغلول سلام، الإسكندرية، مصر (د- ت).
- حادي الأرواح إلى بلاد الافراح: ابن قيم الجوزية، تحقيق محمود حسن ربيع، الطبعة الرابعة، مطبعة محمد علي صبيح، مصر ١٣٨١هـ=١٩٦٢م.
- حاشية الصبان على شرح الاشموني على الفية بن مالك: محمد بن علي الصبان (ت١٢٠٦هـ) مطبعة عيسى البابي الحلبي، مصر ١٣٦٦هـ=١٩٤٧م.
- حاشية محمد الخضري على شرح ابن عقيل على ألفية بن مالك:

الخضري (ت١٢٨٧هـ) محمد بن مصطفى بن حسن، دار إحياء الكتب العربية، مصر، القاهرة ١٩٤٠.

- الحجة في القراءات السبع: ابن خالويه، تحقيق الدكتور عبد العال سالم مكرم، الطبعة الثانية، دار الشروق، القاهرة ١٣٩٧هـ=١٩٧٧م.

- الحروف: ابو الحسين المزني (ت ق٣هـ)، تحقيق الدكتور محمود حسين والدكتور محمد حسن عواد، الطبعة الاولى، دار الفرقان للنشر، عمان الاردن ١٤٠٣هـ=١٩٨٣م.

- الحروف: ابو نصر الفارابي (ت بعد ٣٢٠هـ) تحقيق محسن مهدي، دار المشرق، بيروت (د-ت).

- حروف المعاني: الزجاجي، تحقيق الدكتور علي توفيق الحمد، الطبعة الأولى، دار الأمل، اربد، الأردن ١٤٠٤هـ=١٩٨٤م.

- الحلل في إصلاح الخلل من كتاب الجمل لابن السيد البطليوسي، تحقيق سعيد عبد الكريم سعودي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت ١٩٨٠.

- خزانة الادب ولب لباب لسان العرب على شواهد شرح الكافية لعبد القادر بن عمر البغدادي، الطبعة الأولى والثانية، مكتبة الخانجي، القاهرة: ١٤٠٢هـ=١٩٨١م-١٤٠٩هـ=١٩٨٩م.

- الخصائص: ابن جني (ت٣٩٢هـ)، ابو الفتح عثمان، تحقيق محمد علي النجار، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٥٥-١٩٥٦.

- خطى متعثرة على طريق تجديد النحو العربي، للدكتور عفيف دمشقية، الطبعة الأولى، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٠م.

- دراسات في الأدوات النحوية للدكتور مصطفى النحاس، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ=١٩٨٦م.

- دراسات لأسلوب القران: محمد عبد الخالق عضيمة، دار

وعبد الله الجبوري، الطبعة الأولى، بغداد، ١٣٩١هـ= ١٩٧١م.

-من بلاغة القرآن للدكتور احمد بدوي، الطبعة الثالثة، مكتبة نهضة مصر، القاهرة، ١٣٧٠هـ = ١٩٥٠م.

-نحو المعاني للدكتور احمد عبد الستار الجواري، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد ١٣٩٤هـ = ١٩٧٤م.

-النحو الوافي: عباس حسن، دار المعارف، مصر، ١٩٦٣هـ= ١٩٦٦م.

-نظم الفوائد وحصر الشرائد: المهلبي (ت٥٨٣هـ) مهدي الدين مهلب بن حسن بن بركات، تحقيق الدكتور عبدالرحمن العثيمين، الطبعة الأولى، مطبعة المدني، القاهرة، ١٤٠٦هـ = ١٩٨٦م.

-النكت في تفسير كتاب سيبويه: الأعلم الشنتمري (ت ٤٧٦هـ) يوسف بن سليمان بن عيسى، الطبعة الأولى، الكويت، ١٤٠٧هـ= ١٩٨٧م.

-همع الهوامع شرح وجمع الجوامع للسيوطي، تحقيق عبدالعال سالم مكرم، دار البحرين العلمية، الكويت ١٣٩٥هـ= ١٩٧٥م.

-وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لابن خلكان (ت٦٨١هـ) تحقيق الدكتور إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ١٣٦٨هـ = ١٩٧٢م.

البحوث

-التعجب بين البصريين والكوفيين للدكتور محيي الدين توفيق ، مجلة آداب الرافدين، جامعة الموصل، العدد الخامس، ١٩٧٤م.

-الجرس والإيقاع في تعبير القرآن للدكتور كاصد ياسر الزيدي، مجلة

آداب الرافدين، جامعة الموصل، العدد التاسع ١٩٧٨م.

-حروف الزيادة وجواز وقوعها في القرآن الكريم للدكتور عبد الرحمن تاج، مجلة مجمع اللغة العربية، الجزء الثلاثون، ١٣٩٢هـ نوفمبر ١٩٧٢م.

-فعل الشرط دلالته وزمنه للدكتور فاضل السامرائي، مجلة الضاد، الجزء الأول، بغداد ، جمادي الآخرة، ١٤٠٨هـ = ١٩٨٨م.

-الموفقي في النحو لابن كيسان، تحقيق الدكتور عبد الحسين الفتلي، والدكتور هاشم طه شلاش، مجلة المورد، المجلد الرابع ، العدد الثاني، ١٣٩٥هـ= ١٩٧٥م.

تحقيق الدكتور حنا جميل حداد، الطبعة الاولى، مكتبة المنار، الزرقاء، الاردن ١٤٠٦هـ=١٩٨٥م.
- شرح قطر الندى وبل الصدى لابن هشام، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، الطبعة الثالثة، مطبعة السعادة مصر، ١٣٨٣هـ=١٩٦٣م.
- شرح الكافية: ابن جماعة (ت٧٣٣هـ) احمد بن ابراهيم بن سعد الدين، تحقيق محمد عبد النبي مجيد، الطبعة الاولى، مطبعة دار البيان، مصر ١٤٠٨هـ=١٩٨٧م.
- شرح الكافية الشافية لابن مالك، تحقيق عبد المنعم احمد هريدي، الطبعة الاولى، مكة المكرمة ١٤٠٢هـ=١٩٨٢م.
- شرح اللمحة البدرية في علم العربية: لابن هشام،تحقيق الدكتور هادي نهر، مطبعة الجامعة، بغداد ١٣٩٧هـ=١٩٧٧م.
- شرح اللمع لابن جنى: ابن برهان العكبري (ت٤٥٦هـ) تحقيق الدكتور فائز فارس، الطبعة الاولى، الكويت ١٤٠٤هـ=١٩٨٤م.
- شرح المفصل: نشره جوستاف ياهن، ابن يعيش (ت٦٤٣هـ) موفق الدين يعيش بن علي بن يعيش النحوي، القاهرة ١٣٨٦هـ.
- شرح الوافية نظم الكافية: ابن الحاجب، تحقيق الدكتور موسى بناي علوان العليلي، مطبعة الاداب النجف الاشرف، ١٤٠٠هـ=١٩٨٠م.
- شفاء العليل في ايضاح التسهيل (السلسبيلي ت٧٧٠هـ) ابو عبد الله محمد بن عيسى، تحقيق الدكتور الشريف عبد الله علي الحسيني البركاني، الطبعة الاولى، بيروت، ١٤٠٦هـ=١٩٨٦م.
- الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها: ابن فارس (ت٣٩٥هـ-٩ ابو الحسين احمد تحقيق الدكتور مصطفى الشويمي، مؤسسة بدران للطباعة والنشر، بيروت ١٣٨٢هـ=١٩٦٣م.

- صحيح البخاري بشرح الكرماني، مطبعة مؤسسة المطبوعات الاسلامية، القاهرة.
- الطراز المتضمن لاسرار البلاغة وعلوم حقائق الاعجاز: العلوي (ت٧٤٩هـ) يحيي بن حمزة، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٠هـ=١٩٨٠م.
- عمدة القارئ شرح صحيح البخاري: البدر العيني (ت٨٥٥هـ) بدر الدين ابو محمد محمود بن احمد، ادارة الطباعة المنيرية، مصر.
- الغرة المخفية لابن الخباز (ت٦٣٩هـ) في شرح الدرة الالفية لابن معط (ت٦٢٨هـ)، تحقيق حامد محمد العبدلي، الطبعة الاولى، مطبعة العاني، بغداد ١٤١١هـ=١٩٩١م.
- فاتحة الإعراب في إعراب الفاتحة: الفاضل الاسفراييني (ت٦٨٤هـ)، تاج الدين محمد بن محمد بن احمد، تحقيق الدكتور عفيف عبد الرحمن ١٤٠٠هـ=١٩٨١م.
- الفاخر لابي طالب المفضل بن سلمة بن عاصم (ت٢٩١هـ) تحقيق عبد العليم الطحاوي، الطبعة الاولى، القاهرة ١٣٨٠هـ=١٩٦٠م.
- فتح الباري شرح صحيح البخاري: ابن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ) الحافظ شهاب الدين ابو الفضل، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر ١٣٧٨هـ=١٩٥٩م.
- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير لمحمد بن علي الشوكاني (ت١٢٥٠هـ) مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر ١٣٤٩هـ=١٩٦٤م.
- فعلت وافعلت: السجستاني (ت٢٥٥هـ) سهل بن محمد بن عثمان تحقيق الدكتور خليل إبراهيم العطية، مطابع جامعة البصرة ١٩٧٩م.

- الفعل زمانه وأبنيته للدكتور إبراهيم السامرائي مطبعة العاني، بغداد، ١٣٨٦هـ=١٩٦٦م.
- فقه اللغة العربية، للدكتور كاصد ياسر الزيدي، دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل ١٤٠٧هـ=١٩٨٧م.
- فقه اللغة وأسرار العربية، الثعالبي (ت٤٢٩هـ) ابو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل، دار مكتبة الحياة، بيروت (د-ت).
- الفهرست لابن النديم (٣٨٥هـ) محمد بن اسحاق دار المعرفة بيروت ١٣٩٨هـ=١٩٧٨م.
- الفوائد الضيائية شرح كافية ابن الحاجب: الجامي (ت٨٩٨هـ) نور الدين عبد الرحمن، تحقيق اسامة طه الرفاعي، مطبعة وزارة الأوقاف بغداد، ١٤٠٣هـ=١٩٨٤م.
- الفوائد العجيبة في إعراب الكلمات الغريبة، لابن عابدين ضمن كتاب نصوص محققة في اللغة والنحو للدكتور حاتم صالح الضامن بغداد، ١٩٩١م.
- فوائد في مشكل القران: عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام (ت٦٦٠هـ) تحقيق الدكتور سيد رضوان علي الندوي، الطبعة الثالثة، دار الشروق، جدة.
- في التركيب اللغوي للشعر العراقي المعاصر: مالك يوسف المطلبي، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٨١م.
- في النحو العربي، قواعد وتطبيق للدكتور مهدي المخزومي، الطبعة الاولى، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ١٣٨٦هـ=١٩٦٦م.
- في النحو العربي، نقد وتوجيه للدكتور مهدي المخزومي، الطبعة الاولى، بيروت، ١٩٦٤م.

- القطع والائتناف لابي جعفر النحاس، تحقيق الدكتور احمد خطاب العمر، الطبعة الأولى، مطبعة العاني، بغداد، ١٣٩٨هـ=١٩٧٨م.
- كاشف الخصاصة عن ألفاظ الخلاصة: ابن الجزري (ت٨١٣هـ)، شمس الدين أبو الخير محمد بن الخطيب، تحقيق الدكتور مصطفى النحاس، مطبعة السعادة، مصر، ١٤٠٣هـ=١٩٨٣م.
- الكتاب: سيبويه (ت١٨٠هـ) ابو بشر عمرو بن عثمان: تحقيق عبد السلام محمد هارون، الطبعة الاولى، دار القلم، القاهرة ١٩٦٦م.
- كتاب الاقناع في القراءات السبع: ابن الباذش (ت٥٤٠هـ)، ابو جعفر احمد بن خلف الانصاري، تحقيق الدكتور عبد المجيد قطامش، الطبعة الاولى، مطبعة ركابي، دمشق ١٤٠٣هـ.
- كتاب التسهيل لعلوم التنزيل: ابن جزي الكلبي (ت٧٤١هـ)، محمد بن احمد، الطبعة الاولى، مطبعة مصطفى محمد، مصر، ١٣٥٥هـ.
- كتاب الجمل للزجاجي، تحقيق الدكتور علي توفيق الحمد، الطبعة الرابعة، دار الامل، اربد، الاردن، ١٤٠٨هـ=١٩٨٨م.
- كتاب السبعة في القراءات: ابن مجاهد (ت٣٢٤هـ)، ابو بكر احمد بن موسى، تحقيق الدكتور شوقي ضيف، دار المعارف، مصر ١٣٩٢هـ=١٩٧٢م.
- كتاب الفصول في العربية: ابن المبارك الدهان النحوي (ت٥٦٩هـ)، ابو محمد سعيد، تحقيق الدكتور فائز فارس، الطبعة الاولى، اربد، بيروت، ١٤٠٩هـ=١٩٨٨م.
- كتاب الواضح: الزبيدي (ت٣٧٩هـ) محمد بن عبد الله بن بشر، تحقيق الدكتور عبد الكريم خليفة.
- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه

التاويل: الزمخشري (ت٥٢٨هـ) جار الله محمود بن عمر، دار الكتاب العربي، بيروت.

- الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها: القيسي (ت٤٣٧هـ) مكي بن ابي طالب، تحقيق الدكتور محيي الدين رمضان دمشق ١٣٩٤هـ=١٩٧٤م.

- كشف المشكل في النحو: الحيدرة اليمني (ت٥٩٩هـ)، علي بن سليمان، تحقيق الدكتور هادي عطية مطر، الطبعة الاولى، مطبعة الارشاد، بغداد، ١٤٠٤هـ=١٩٨٤م.

الكناش في النحو والصرف: ابو الفداء الملك المؤيد (ت٧٣٢هـ)، عماد الدين اسماعيل بن علي، تحقيق الدكتور علي الكبيسي والدكتور صبري ابراهيم الدوحة، ١٤١٢هـ=١٩٩٢م.

- لسان العرب: ابن منظور (ت٧١١هـ) جمال الدين محمد بن مكرم، دار صادر بيروت، ١٣٧٦هـ=١٩٥٦م.

- اللمع في العربية لابن جني، تحقيق الدكتور حسين محمد محمد شريف، الطبعة الاولى، عالم الكتب، القاهرة، ١٣٩٨هـ=١٩٧٨م.

- ليس في كلام العرب لابن خالويه، تحقيق احمد عبد الغفور عطار، الطبعة الثانية، مكة المكرمة، ١٣٩٩هـ=١٩٧٩م.

- المثل السائر في ادب الكاتب والشاعر: ابن الاثير الجزري (ت٦٣٧هـ) ضياء الدين ابو الفتح نصر الله بن ابي الكرم محمد بن محمد الشيباني، الجزء الاول، تحقيق الدكتور احمد الحوفي، والدكتور بدوي طبانة، الطبعة الاولى، مطبعة نهضة مصر، القاهرة، ١٣٧٩هـ=١٩٥٩م.

- مجاز القرآن: ابو عبيدة (ت ٢١٠هـ) معمر بن مثنى، تحقيق محمد فؤاد سركين، مطبعة السعادة، مصر، ١٣٧٤هـ= ١٩٥٤م-

١٣٨١هـ = ١٩٦٢م.
- مجالس ثعلب: ثعلب (ت ٢٩١هـ) ابو العباس احمد بن يحيى، تحقيق عبد السلام محمد هرون، الطبعة الثالثة، دار المعارف، مصر ١٩٥٦م- ١٩٦٠م.
- مجالس العلماء للزجاجي، تحقيق عبد السلام محمد هرون، الطبعة الثانية، مطبعة المدني، مصر ١٤٠٣هـ = ١٩٨٣م.
- مجمع البيان في تفسير القرآن: الطبرسي (ت٥٤٨هـ) ابو علي الفضل بن الحسين تحقيق السيد هاشم الرسولي المحلاتي، دار احياء التراث، بيروت (د.ت).
- المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والايضاح عنها لابن جنى، تحقيق علي النجدي ناصف، والدكتور عبد الحليم النجار والدكتور عبد الفتاح اسماعيل شلبي، القاهرة، ١٣٨٦هـ = ١٩٦٦م.
- المحلى (وجوه النصب): ابن شقير (ت ٣١٧هـ) ابو بكر احمد بن الحسن، تحقيق الدكتور فائز فارس، الطبعة الاولى، دار الامل، اربد، الاردن، ١٤٠٨هـ= ١٩٨٧م.
مختصر في شواذ القراءات من كتاب البديع لابن خالويه، تحقيق برجشتراسر، المطبعة الرحمانية لجمعية المستشرقين الالمانية بمصر، ١٩٣٤م.
مدارك التنزيل وحقائق التاويل: النسفي (ت٧١٠هـ) عبد الله بن احمد محمود، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.
-المرتجل في شرح الجمل للجرجاني: ابن الحشاب (ت ٥٦٧هـ) ابو محمد عبد الله بن احمد بن عبد الله بن نصر، تحقيق علي حيدر منشورات دار الحكمة، دمشق، ١٣٩٢هـ= ١٩٧٢م.
-المسائل المشكلة المعروفة بالبغداديات: ابو علي النحوي (ت

٣٧٧هـ) الحسن بن احمد بن عبد الغفار بن سليمان، تحقيق صلاح الدين عبد الله السنكاوي، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٨٨م.

-المشكاة الفتحية على الشمعة المضية للسيوطي، تحقيق هشام سعيد محمود، مطبعة وزارة الأوقاف، بغداد، ١٤٠٣هـ= ١٩٨٣م

مشكل إعراب القرآن لمكي القيسي، تحقيق الدكتور حاتم صالح الضامن، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٣٩٥هـ= ١٩٧٥م.

-المطالع السعيدة في شرح الفريدة للسيوطي، تحقيق الدكتور نبهان يس حسين، مطبعة الجامعة المستنصرية، بغداد، ١٩٧٧م.

معاني الحروف: الرماني (ت ٣٨٤هـ) علي بن عيسى، تحقيق الدكتور عبد الفتاح اسماعيل شلبي، دار نهضة مصر للطبع، القاهرة، ١٩٧٣م.

-معاني القرآن: الاخفش (ت٢١٥هـ) سعيد بن مسعدة المجاشعي، تحقيق الدكتور فائز فارس، الطبعة الثانية، دار الامل، ١٤٠١هـ+ ١٩٨١م.

-معاني القرآن: للفراء (ت٢٠٧هـ) ابو زكريا يحيى بن زياد، تحقيق احمد يوسف نجاتي ومحمد علي النجار، وعبد الفتاح اسماعيل شلبي، الطبعة الثانية، عالم الكتب ، بيروت، ١٩٨٠م.

-معاني القرآن وإعرابه: الزجاج (ت٣١١هـ) ابو اسحاق ابراهيم بن السري، تحقيق الدكتور عبد الجليل عبده شلبي، الطبعة الاولى، القاهرة، ١٩٧٣م ١٩٧٤م.

-معاني النحو للدكتور فاضل صالح مهدي السامرائي، بغداد، ١٣٨٦هـ = ١٩٨٧م، ١٩٩٠م.

-معترك الاقران في اعجاز القرآن للسيوطي، تحقيق محمد علي البجاوي، طبع دار الفكر العربي، مصر، ١٩٦٩م.

-معجم الأدوات النحوية للدكتور محمد التونجي، الطبعة الخامسة، بنغازي، ١٩٧٤م.
-معجم الجملة القرآنية، القسم الاول، الحروف الزائدة في ضوء الدراسات القرانية، للدكتور طالب محمد اسماعيل الزوبعي، بغداد.
-المعجم الوسيط قام باخراجه: ابراهيم مصطفى واحمد حسن الزيات وحامد عبد القادر ومحمد علي النجار واشرف علي طبعه عبد السلام هرون، المكتبة العلمية، طهران.
-مغني اللبيب عن كتب الاعاريب لابن هشام، تحقيق محيي الدين عبد الحميد ، القاهرة.
مفاتيح الغيب في تفسير القرآن او التفسير الكبير للرازي (ت ٦٠٦هـ) الإمام فخر الدين، المطبعة البهية، ١٣٥٣هـ = ١٩٣٤-١٣٥٧هـ = ١٩٣٨م.
-مفتاح العلوم: السكاكي (ت٦٢٦هـ) ابو يعقوب يوسف بن ابي بكر بن محمد بن علي، تحقيق اكرم عثمان يوسف، الطبعة الأولى، مطبعة دار الرسالة، بغداد، ١٤٠٢هـ = ١٩٨٢م.
-المفردات في غريب القرآن: الراغب الاصبهاني (ت٥٦٥هـ) على الأرجح) الحسين محمد ، تحقيق الدكتور محمد احمد خلف الله، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة.
-المقتصد في شرح الإيضاح لعبد الله القاهر الجرجاني (ت ٤٧١ أو ٤٧٤هـ)، تحقيق الدكتور كاظم بحر المرجان، دار الرشيد، بغداد، ١٩٨٢م.
-المقتضب: المبرد (ت٢٨٥هـ) محمد بن يزيد، تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة، دار الكتب، القاهرة، ١٩٦٥م.
-المقرب لابن عصفور، تحقيق الدكتور احمد عبد الستار الجواري

الحديث، مصر ١٣٩٢هـ=١٩٧٢م.

- دراسة في حروف المعاني الزائدة: عباس محمد السامرائي، الطبعة الأولى، مكتبة دار الشرق، بيروت.

- درة التأويل وغرة التنزيل في بيان الآيات المتشابهات في كتاب الله العزيز: الخطيب الاسكافي (ت٤٢٠هـ)، برواية أبي الفرج الارد، الطبعة الأولى، دار الأفاق الجديدة، بيروت ١٣٩٣هـ=١٩٧٣م.

- دلائل الإعجاز: عبد القاهر الجرجاني (ت٤٧١ او ٤٧٤هـ)- أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد، دار المعرفة، بيروت، لبنان ١٣٩٨هـ =١٩٧٨م.

- رصف المباني في شرح حروف المعاني: المالقي (ت٧٠٢هـ) احمد بن عبد النور، تحقيق احمد محمود الخراط مطبوعات مجمع اللغة العربية، مطبعة زيد بن ثابت، دمشق، ١٣٩٥هـ=١٩٧٥م.

- الروض الانف في شرح السيرة النبوية لابن هشام: السهيلي، تحقيق عبد الرحمن الوكيل، دار النصر للطباعة القاهرة ١٩٦٧م.

- زاد المسير في علم التفسير: ابن الجوزي (ت٥٩٧هـ) ابو الفرج البغدادي، الطبعة الأولى، دمشق ١٣٨٤هـ=١٩٦٥م.

- سر صناعة الإعراب: لابن جني، تحقيق الدكتور حسن هنداوي، الطبعة الاولى، دار العلم، دمشق ١٤٠٥هـ =١٩٨٥م.

- السيرة النبوية لابن هشام، تحقيق مصطفى السقا وابراهيم الابياري وعبد الحفيظ الشلبي، الطبعة الأولى، بيروت، ١٤١٠هـ=١٩٩٠م.

- شرح ابن عقيل على ألفية بن مالك: ابن عقيل (ت٧٦٩هـ) بهاء الدين عبد الله، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد الطبعة الرابعة عشر، مطبعة السعادة، مصر، ١٣٨٤هـ=١٩٦٤م.

- شرح ألفية ابن مالك: ابن الناظم (ت٦٨٦هـ) بدر الدين محمد بن محمد بن عبد الله مطبعة القدس، بيروت ١٣١٢هـ.
- شرح التصريح على التوضيح: الازهري (ت٩٠٥هـ) خالد بن عبد الله الجرجاوي، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة ١٤٠٣هـ=١٩٨٤م.
- شرح جمل الزجاجي: ابن عصفور الاشبيلي (ت٦٦٩ت) على بن مؤمن، تحقيق الدكتور صاحب ابو جناح، احياء التراث الاسلامي، بغداد ١٤٠٠هـ=١٩٨٠م- ١٤٠٢هـ=١٩٨٢م.
- شرح الحدود النحوية: الفاكهي (ت٩٧٢هـ): عبد الله بن احمد بن علي، تحقيق الدكتور فهمي الالوسي.
- شرح ديوان الفرزدق، شرح ايليا حاوي، الطبعة الاولى، دار الكتاب اللبناني ١٩٨٣.
- شرح ديوان المتنبي، شرح الواحدي، برلين ١٨٩١م، وشرح عبد الرحمن البرقوقي، بيروت، لبنان.
- شرح الرضي على الكافية: الرضي الاستراباذي (ت٦٨٦هـ) محمد بن الحسن، تحقيق يوسف حسن عمر، بيروت ١٣٩٨هـ=١٩٧٨م.
- شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب لابن هشام، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، الطبعة التاسعة، مطبعة السعادة، مصر، ١٣٨٢هـ=١٩٦٣م.
- شرح شواهد المغني للسيوطي تحقيق احمد ظاهر كوجان، دمشق ١٩٩٦م.
- شرح عمدة الحافظ وعدة اللافظ لابن مالك، تحقيق عبد المنعم احمد هريدي، الطبعة الاولى، مطبعة الامانة، القاهرة، ١٩٧٥م.
- شرح عيون الإعراب: المجاشعي (ت٤٧٩هـ) علي بن فضال،

المحتويات